مجلة المجمع العلمي العراقي



الجزء الأول - المجلد الأربعون

بغداد

١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م

مجلة المجمع العلمي العراقي



الجزء الأول ـ المجلد الأربعون

بغـــداد

١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م

مجلة المجمع العلمي العراقي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

★

توجه الرسائل والبحوث الى مدير التحرير

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها .

المقالات لا ترد الى اصحابها نشرت او لم تنشر .

★

العنوان : الوزيرية/بريد الاعظمية/ص.ب ٤٠٢٣

بغـداد ـ العراق

المعالم العمرانية في مكة المكرمة

في القرنين الاول والثاني

الدكتور صالح احمد العلي
رئيس المجمع العلمي العراقي

مكانة مكة وأهلها :

لمكة اهمية متميزة في تاريخ العرب والاسلام ، فكانت قبل الاسلام من أهم مراكز التجارة والدين ، وفيها ولد ونشأ الرسول (ص) ونزل عليه الوحي وقضى السنوات العشر الاولى بعد نزول الوحي يبشر بالدين الجديد ، فآمن به من اهلها من كان منهم جلّ السابقين الاولين والصحابة المهاجرين، كما لاقى المعارضة والعنت والاضطهاد من كثير من أهلها الى ان هاجر الى المدينة ، وقضى ثماني سنوات بعد الهجرة يناضل مشركي قريش الى ان تم فتحها وانضمت الى دولة الاسلام ، وآمن أهلها بالاسلام وقام رجالها بخدمته وتعزيز دولته فكان منهم الخلفاء وأبرز القادة والولاة كما أن اعداداً كبيرة منهم شاركت في الجيوش الاسلامية التي قاتلت في مختلف الجبهات وخاصة جبهة بلاد الشام ومصر وشمال افريقية ، بالاضافة الى اسهام عدد كبير منهم في الادارة والحياة الاقتصادية وانماء الحياة الفكرية .

ولا ريب في أن نمو المدينة المنورة بعد ان اصبحت قاعدة الرسول(ص) ومقام الخلفاء الراشدين أثر في مكانة مكة حيث انتقل عدد من أهلها ، وخاصة ذوى المكانة ، للاقامة في المدينة ، غير أن هذا عوضته مكانة مكة في الاسلام

حيث كانت فيها الكعبة قبلة المسلمين في صلواتهم الخمسة اليومية ، ومركز الحج الذي هو احد اركان الاسلام الخمسة . ولابد أن هذا أثار اهتمام الناس والمفكرين بها ، فبالاضافة الى الاعداد الكبيرة التي كانت تؤمها من مختلف الأرجاء لاداء فريضة الحج ، فان الفقهاء أولوا بعض معالمها المتصلة بالقبلة والحج اهتماماً خاصاً وتطرقوا الى بحثها في كتبهم الفقهية ، إضافة الى ما أولاه البلدانيون من عناية خاصة بوصفها .

التطورات بعد الاسلام :

ولا ريب في أن مجيء الاسلام أحدث تطورات واسعة في الأحوال العشائرية وتنظيماتها وخططها .

فمن ذلك أن عدداً من المهاجرين صودرت أملاكهم فأخذ ابو سفيان البيت الذي ولد فيه الرسول (ص) واخذ عقيل البيت الذي كان يسكنه الرسول (ص) ، وأخذ بنو سفيان دورآل جحش .

غير أن هذه الحوادث فردية ، فالمهاجرون افرادٌ من عشائر متعددة ، وعددهم غير كبير ، وحظي بعضهم بحماية عشيرته .

ثم ان عدداً غير قليل من أهل مكة ، وخاصة ذوى المكانة هاجروا الى المدينة بعد الهجرة ثم بعد الفتح واستقروا فيها . ومع ان كثيراً منهم احتفظ بعلاقته بمكة ، كابن الزبير ، والعباس ، وآل ابي العاص الا ان بعضهم اتخذ المدينة مقاماً دائماً ، وترك اقامته في مكة .

وشارك عدد غير قليل من أهل مكة في القضاء على حركات الردة وفي الفتوح الاولى ، خاصة في جبهة الشام ، فقتل بعضهم في المعارك ، واستقر بعضهم في الأقاليم التي امتدت اليها دولة الاسلام . وخاصة في الأمصار التي استوطنها العرب .

ولم تحتفظ مكة بعد الاسلام بما كان لها قبله من مركز متميز في التجارة العالمية ، ذلك ان مركزها كان قائما بالدرجة الاولى على الافادة من العداء

الروم والفرس ، فكانت باستقلالها ومهارة أهلها وموقعها الأمين مركزاً لنقل السلع بين الدولتين المتخاصمتين اللتين كانتا تهيمنان قبل الاسلام على معظم اقاليم الشرق الاوسط .

فلما جاء الاسلام وكوّن دولته الواسعة أزال الحدود الفاصلة القديمة وأحل السلم والأمن مكان الحروب والتقاطع ، وانمى مراكز جديدة للاستهلاك والنشاط الاقتصادي ، فحوّل أهل مكة نشاطهم الى هذه المراكز الجديدة ، واحتفظوا بالافادة منها ، ومع ان بعضهم جلب شيئا من ثرائه الى مكة ، الا أن هذا كان أقل مما السابق .

ولا بد ان الحج عوّض بعض هذا ، حيث انه لم يعد مقصوراً بعد الاسلام على العرب وانما اصبح فريضة على كافة المسلمين من كافة الأرجاء ، غير أنه يجب عدم المبالغة في أثر الحج في النشاط الاقتصادي في مكة ، فهو يتم في مدة محدودة قصيرة يعود بعدها الحجاج الى بلادهم ، ومعظمهم يؤمون مكة بدافع العبادة وليس لاستغلال اقتصادي ، بل حتى كراء البيوت كان محدوداً وعمل الخلفاء على منعه .

وادى هذا ان تكون اغلب التجارة في مكة بعد الاسلام محلية داخلية ، ويتجلى هذا في الأسواق التي ذكرت فيها وهي الحناطون ، والجزارون ، والعطارون ، والحذاؤون ، واصحاب الكتب ، كما توجد اشارة الى الحاكة ، ومعظم هذه الصناعات محلية .

وقد عمل الخلفاء على تيسير الحياة في مكة ، فاقام كل من عمر بن الخطاب ، وابن الزبير ، وعبدالملك ، والمهدي ، ردُماً لصد اخطار السيول ، وتم حفر حفر أبار وعيون وبرك ، وابرزها سداد الحجاج وبرك القسرى ثم عين زبيدة ، ليتيسر الماء الذي يكون مشكلة في الحياة المعاشية في مكة . واقيمت عدة بساتين « حوائط »

ويسر نشر الامن توسيع رقعة السكن في المناطق في اطراف مكة وفي جبالها ، وتقاطر عدد غير قليل من خارجها للسكن فيها .

ويروى ابن شبة في كتاب مكة بسند عن رجل من القارة اسمه خيثم قال « أتيت عمر بن الخطاب وهو يقطع الناس عند المروة فقلت اقطعني لى ولعصبتي فأعرض عني ، وقال هو حرّم الله سواءٌ العاكف فيه والبادى ، قال خيثم فأدركت الذين اقطعوا باع بائعهم وورث مورثهم ومنعت انا لاني قلت لي ولعصبتي » (١) .

ولعل غير قليل ممن امتلك في المروة رباعاً ودوراً يرجع أصلها الى هذا الاقطاع الذي ربما امتد الى مناطق اخرى من مكة وفي زمن بقية الخلفاء أيضاً .

يظهر مما ذكره الازرقي أن أكثر من عنى باعمار مكة هم عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الله بن الزبير ، وهارون الرشيد وعدد من المتصلين به .

فأما عمر فلم يعرف عنه حرص على امتلاك أراض أو اعمار بيوت في مكة ، وانما قام بعمل الردم الأعلى الذي كان له أثر في احياء المنطقة التي في شمالي المسجد .

واما معاوية فقد بنى البيوت الست المتقاطرة ، كما أعمر عدة حيطان

واما عبد الله بن الزبير فقد أقام ردما ، واقتنى بيوتاً .

واما العباسيون فكانت عماراتهم واسعة ، وشملت ما اعمره الخلفاء وافراد اسرتهم والمتصلون بهم من ذوى المكانة .

ذكرت بعض المصادر المبالغ التي دفعت اثمانا للبيوت التي ادخلت في المسجد الحرام او لنقل ملكيتها ، وهي مبالغ كبيرة ، ولا نعلم هل ان ذلك

(١) الاصابة ٤٥٥/١ (٢٣٢٦) .

دليل على ارتفاع اسعار الاراضي ، وخاصة في اوائل العصر العباسي ام ان بعضه يرجع ارضاءًا لأصحابها .

وعلى اي حال فان تزايد السكان، وتكاثر الثروة لابد أن يؤدي الى انفجار اقتصادي ترتفع معه الاسعار وخاصة للاماكن القريبة من المركز .

عشائر مكة :

ذكر المعنيون بالأنساب انه كان أهل مكة عند ظهور الاسلام كلهم من قريش ، وهم مجموعتان : قريش الظواهر ، وقريش البطاح . فاماقريش الظواهر فكانوا يسكنون اطراف مكة وهم خمسة عشائر هي : محارب والحارث ابني فهر ، وتيم الأدرم غالب ، وهلال بن لؤي ، ومعيص بن عامر .

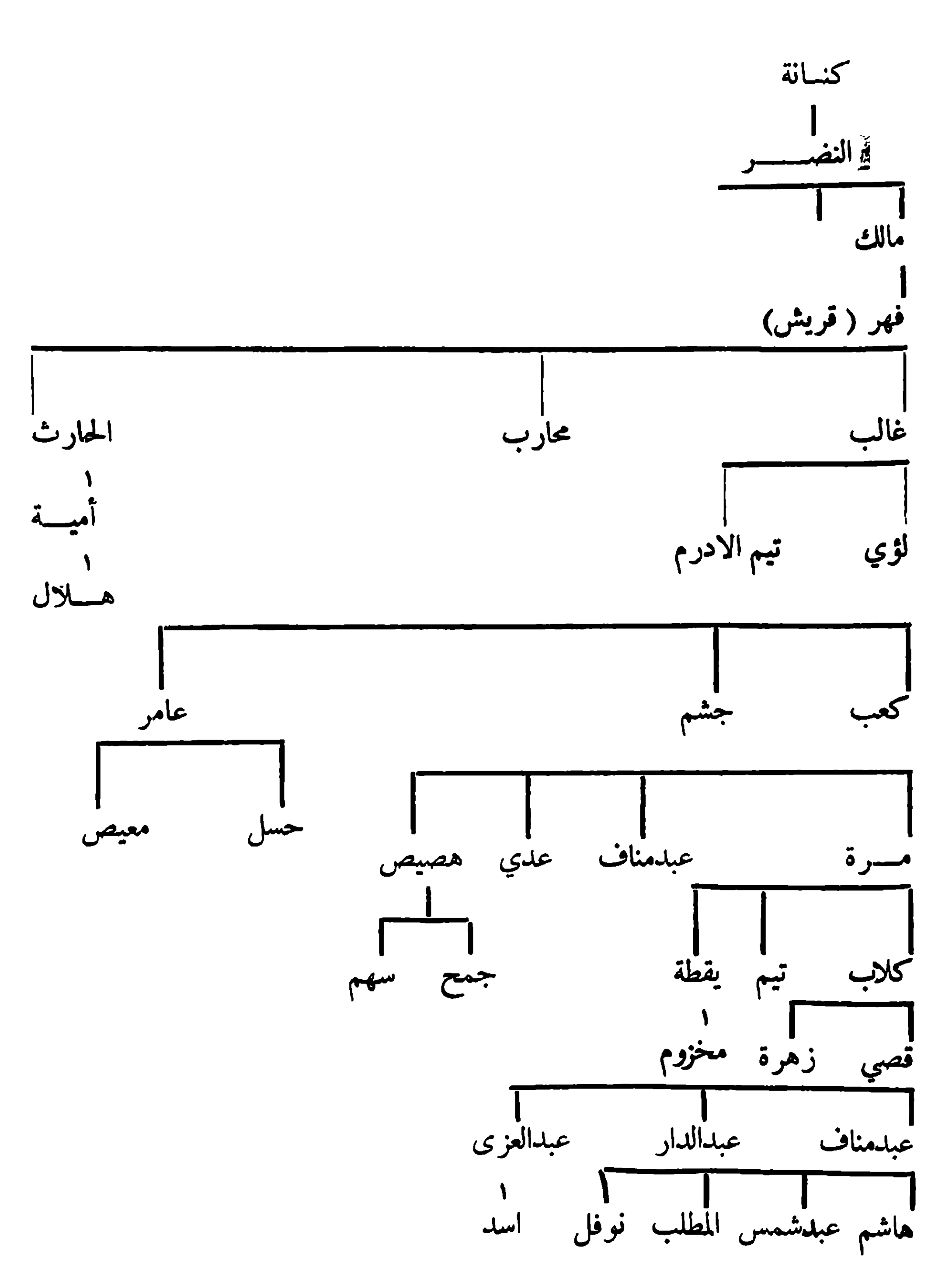
واما قريش البطاح فكانت تقيم في داخل مكة وهم عبد مناف ، وعبد الدار ، واسد بن عبدالعزى ، وزهرة ، وتيم ،ومخزوم ، وجمح ، وسهم ، وعدى ، وحسل ، وهلال بن اهيب ، وهلال بن مالك (٢) .

وشارك في حلف لعقة الدم عبد مناف وعبد الدار وسهم وجمح ومخزوم وعدى .

وشارك في حلف الفضول بنو هاشم (٣) ، وبنو المطلب ، وزهرة ، وتيم ، والحارث بن فهر (٤)

وروى ابن حبيب في المحبر انه بعد موت حرب اصبح لكل عشيرة رئيس منها ، وذكر اسماء هؤلاء الرؤساء لبني هاشم ، وأمية ، ونوفل بن عبد مناف ، وأسد بن عبد العزى ، واضاف اليهم في

(٢) المحبر ١٦٨ ، البكرى ٢٥٧ ، ياقوت ٦٥٩/١ عن الزبير ، وانظر عن قريش الظواهر البكرى ٨٩ عن ابن شبه الازرقي ١٠١/١ .
(٣) المحبر ١٦٦ ، ابن هشام ٢١٣/١ .
(٤) المحبر ، وانظر ابن هشام ١٤٢/١ .


كنانة
النضر
مالك
فهر (قريش)
غالب
محارب
الحارث
أمية
هلال
لؤي
تيم الادرم
كعب
جشم
عامر
حسل
معيص
مرة
عبدمناف
عدي
هصيص
جمح
سهم
كلاب
تيم
يقظة
مخزوم
قصي
زهرة
عبدمناف
عبدالدار
عبدالعزى
اسد
هاشم
عبدشمس
المطلب
نوفل

المنمق عبد الدار وزهرة ، وتيم بن مرة ، ومخزوم ، وعدى بن كعب ، وسهم ، وجمح ، وعامر بن لؤي ، ومحارب بن فهر ، والحارث بن فهر (٥) .

وشارك في بناء الكعبة ، بنو عبد مناف ، وزهرة ، وعبد الدار ، وأسد بن عبد العزى ، وتيم ، ومخزوم ، وسهم ، وجمح ، وعدى(٦) .

وهذه العشائر شاركت في حلف المطيبين مع الحارث بن فهر (٧) .

لاريب في أن التنظيم القبلى ظل قائماً في مكة بعد الاسلام إذكان أساس الوراثة والعاقلة ، وقدرتب عطاء المقاتلة على أساسه في الديوان ، وقد ذكرت المصادر اشارات الى ترتيبه في المدينة حيث كان يقيم عدد من مهاجري قريش ، أما مكة فلم يذكر ترتيب الديوان فيها ، لان اهل مكة لم يدخلوا في العطاء .

غير ان تثبيت السلطة المركزية العليا في الاسلام ، واستتباب الامن ، وتوسع مجالات الحياة في مكة وخارجها ادى الى تبدلات وتطورات غير قليلة ، فهاجر عدد من أهل مكة ، وقدمها عدد من مختلف العشائر .

فقد ذكر البلاذرى ان بني الادرم وقيس بن غالب درجوا ، وكان آخر من بقى منهم هلك في زمن خالد بن عبد الله القسري في ولايته مكة من قبل الوليد (٨) .

---

(٥) المحبر ١٦٥ ، المنمق ٤١١ ، ويروى ابن حبيب عن ابي عبيدة ان هذه العشائر شاركت في حرب الفجار : المنمق ١٩٩ — ٢٠٠ .

(٦) انساب الاشراف ٩٩/١ ، المنمق ٣٣٢ ، الطبرى ١١٣٧/١ .

(٧) المحبر ١٦٦ ، ويقول البلاذري ان المطيبين هم مخزوم ، وجمح ، وعدى (انساب الاشراف ٥٦/١ ، ابن هشام ٢١١/١ .

(٨) انساب الاشراف ٣٩/١ .

وذكر ابن حبيب جماعات دخلت في قريش في الاسلام بغير حلف الابصهر او صداقة او برحم اوولاء ، وذكر من عشائر قريش التي دخل فيها غيرهم : هاشم ، وعبد شمس ، ونوفل ين عبد مناف ، وبني الحارث ابن عبدالمطلب ، والمطلب بن عبد مناف ، وعبدالدار ، واسد بن عبد العزى ، وزهرة (٩) .

ولابد ان اعداداً اخرى استوطنت مكة من غير محالفات وكان لها أثر في تغير عدد افراد العشائر ، وربما في مجموعات العشائر ، غير أن كتب النسب والفقه لم تذكرها سوى ما ذكر الشافعي ممايشير الى العشائر في أواخر القرن الثاني فقال « إذا كان رجل من بني عبد مناف جنى فحملت جنايته ينو عبد مناف فترفع الى بني قصي ، فان لم تحملها رفعت الى بني كلاب ، فان لم تحملها رفعت الى بني لؤي ، فان لم تحملها رفعت الى بني غالب، فان لم تحملها رفعت الى بني فهر ، فان لم تحملها رفعت الى بني مالك ، فان لم تحملها رفعت الى بني النضر ، فان لم تحملها رفعت الى بني كنانة كلها وهكذا » (١٠) . ولا ريب في ان الشافعي يصف في هذا عشائر مكة في زمنه ، وهو لا يذكر الاسماء القديمة ، ولكن يمكن القول بان التسميات تبدلت خاصة وان الدية تنحصر في المصر الذي حدثت فيه الجناية .

وعند مقارنة تسميات الشافعي بما ذكرته كتب النسب مما يتطابق مع الاحوال عند ظهور الاسلام يتجلى ان بني عبد مناف وبني هاشم ، وعبد شمس والمطلب ، ونوفل وبني قصي هم عبد الدار ، واسد بن عبد العزي ، وبني كلاب هم زهرة ، وبني مرة هم مخزوم ، وبني كعب هم عدى وسهم وجمح ، وبني لؤي هم عامر ومعيص وبني غالب هم تيم الادرم وبني فهر هم محارب والحارث .

---

(٩) الملحق ٣٠١ ـ ٩ ، وانظر ما بعدها .
(١٠) الام ١٠١/٦ .

ذكر الأزرقي عدداً من الابار حفر كلاً منها عشيرة قبل الاسلام وهي لبني أمية ، وهاشم ، وبني أسد بن عبد العزي ، وعبد الدار ، ومخزوم وتيم ، وعامر بن لؤي (١١) .

وذكر من أبواب المسجد لكل من بني سهم ، وجمح ، وتيم ، ومخزوم ، وعبد شمس ، واشار الى رباع بني عدى التي كانت عند المسجد ثم انتقالهم الى الاطراف الشمالية من بني سهم (١٢) .

ووضع عنواناً لرباع بني نوفل بن عبد مناف ، وعبد الدار بن قصي وزهرة ، ومخزوم وحلفاء كل منهم ، كما وضع عنواناً لرباع أسد بن عبد العزى ، وتيم ، وعدى بن كلب ، وجمح ، وسهم ، وذكر رباع بني عامر ابن لؤي ، والحارث ين فهر والخزاعيين (١٣) .

واشار الى مايرجع الى زمن الرسول (ص) في بعض الرباع والدور ، غير أن أكثر ما ذكره في رباع العشائر هو دور ومنازل افراد من رجالهم ، واكثرهم مما كان بعد الاسلام ، وخاصة في زمن الامويين واول زمن العباسيين .

ويتجلى عدم شمول كلامه عدداً من العشائر من اغفاله ذكر رباع بني اسد بن عبد العزي . وزهرة ، وعدى بعد انتقالها الى اطراف رباع سهم .

وذكر عنوانا لرباع آل قارض الأنماريين ، وآل انمار القاريين وعدد من الخزاعيين ، وآل الاخنس بن شريق . وآل عدى بن ابي الحمراء الثقفي (١٤) .

(١١) انظر عن الابار ١٧٩/٢ .
(١٢) ٦٩/٢ — ٧٤ .
(١٣) ١٨٩/٢ فما بعد .
(١٤) ٢٠٦/٢ — ٩ .

وافاض في الكلام عن رباع بني عبد شمس ورجالهم، فتحدث عن رباع بني عبد شمس ، وربيعة بن عبد شمس ، وامية بن عبد شمس ، وعدى ابن امية بن عبد شمس ، وكريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، ورباع آل ابي الصاص ، وآل سعيد بن العاص ، وأُسيد بن أبي العاص ، وآل عقبة بن أبي معيط ، ورباع حلفاء بني عبد شمس وآل الازرق ، وآل الحضرمي (١٥) .

ومما ذكر رباع بني عبدالمطلب وحلفائهم ودور بعض البارزين من رجالهم (١٦) .

وذكر املاك عبدالله بن الزبير ، وابنه حمزة ؛ وأكثر كلامه عن دور وبيوت افراد في زمن الامويين واوائل زمن العباسيين ، واشار الى تسميات مواضع ، من شعاب وجبال ، باسماء رجال كثير منهم ممن عاش في مكة بعد الاسلام ، ولم يكونوا من الشخصيات البارزة ، وقليل منهم ممن ولى مناصب ادارية او قيادة في الجيش ، ولم يذكر من تملك من الخلفاء غير معاوية ، والرشيد وفيهم عدد فليل من مواليهم ومن حواشي خلفاء بني العباس .

فبحثه يتركز على المعالم العمرانية البارزة وليس على خطط الجماعات ، والواقع ان بعض العشائر امتلك أفراد منها املاكا في أماكن متفرقة ، وهذا يظهر أن التنظيم العشائري لم يكن قوي الأثر فلم يشمل افراد العشيرة

(١٥) ٢/١٩٠ – ٢٠١ .
(١٦) ٢/٨٧/١٨٩ .

للسكن في منطقة واحدة وقد لايقتصر هذا على الشخصيات البارزة وانما يمتد الى بقية أفراد العشيرة .

واكثر من ذكرت املاكهم ممن اقتصرت اقامتهم في مكة ، غير أن عدداً منهم كانت له دور في المدينة . وعني الازرقي بذكر المعالم الجغرافية بما في ذلك اسماء الجبال والشعاب والابار ، واولى اهتماما بتدقيق الابعاد والمسافات وبوصف تفاصيل بناء بعض المساجد وخاصة المسجد الحرام، واشار الى مواقع بعض اصنام الجاهلية وبعض الاسواق والحامات ، والى مكان مقام الخلفاء عند زيارتهم مكة والى دار الامارة ومقر صاحب البريد، وذكر حديثا طويلا عن تطور احوال دار الندوة ، غير انه لم يذكر مراكز تجمع الناس كنوادي القوم التي اشار اليها القرآن الكريم ، أو مساجد العشائر التي كانت في الامصار الاخرى ، ومجالس الاشراف ، كما ذكر اسماء عمال بعض الدور الفخمة ، ومواد بنائها ومقاطع الاحجار واسعار بعض البيوت .

وفصّل الكلام في المسجد الحرام وما كان بقربه ، ثم في رباع بني امية واعمال عبد الله بن الزبير وتحدث باقتضاب عن رباع بني عبد المطلب .

قد يرجع تفصيله في بعض المواضع ، واختصاره في اخرى الى ان فصل في المهم ، واختصر في قليل الاهمية ، اوقد يرجع الى اهتماماته الشخصية التي تتجلى في التفاصيل التي اوردها عن رباع ودور آل الازرق والامويين، وعلى اي حال فان اهتمامه بالمعالم الجغرافية يساعد على رسم صورة لخطط مكة ، اما المعالم العمرانية ففيها فائدة كبيرة في معرفة البناء العمراني في مكة غير أنه باغفاله المعلومات عن العشائر وغيرهم ، وبقلة عنايته بتحديد زمن امتلاك هذه الدور ومدى سعتها ، فانه لايقدم صورة كاملة عن احوال مكة العمرانية

وتطورها ، فبحثه يقـدم أساساً لدراسة ينبغي ان تكمل من مصادر اخرى اذا اريد لها ان تكون شاملة للتطور العمراني والحضاري في مكة ابان القرنين الاول والثاني .

مصـادر دراسـة المعالم العمرانية

ان ماتميزت به مكة من اهمية خاصة عززتها مكانتها في نشأة الاسلام وفرائضه ، ودور أهلها في تاريخ الدولة الاسلامية لاتتناسب مع قلة المعلومات عن تطور خططها وعمرانها ، فالفصول الطويلة التي كتبها الفقهاء عن القبلة وعن الحج عنيت بالجوانب الفقهية والممارسات المتصلة باداء شعائر الحج ، ولم تذكر الا معلومات مقتضبة متفرقة عن أماكن محدودة تتصل بمناسك الحج فيها ، وكتب الأموال التي بحثت في العطاء وتوزيعه لم تذكر شيئاً ذى أهمية عن تنظيم أهل مكة في ديوان العطاء ، وقد يرجع بعض هذا الى أن العطاء لم يكن يوزع على اهل مكة المقيمين فيها .

كتب التاريخ والتراجم :

وهذا ينطبق على كتب التاريخ ، وابرزما وصلنا منها عن العهود الاسلامية الاولى تاريخ خليفة وتاريخ الطبري وتاريخ اليعقوبي،ومروج الذهب للمسعودي فان هذه الكتب اهتمت بأخبار الحوادث السياسية التي لم يحدث منها في مكة ابان القرنين الاول والثاني حوادث خطيرة سوى حركة عبد الله بن الزبير الذي عندما أعلن خلافته اتخذ مركزه في مكة ، ومقرّه في المسجد الحرام ثم قتل بعد حصار قضى على حركته ، والحركة الاخرى هي ثورة الحسين الطالبي شهيد فخ ، واخبار كلتا الحركتين اقتصرت على سرد الحوادث ولم

تذكر الا إشارات قليلة الى بعض المواضع في مكة ، وهي في الغالب مواضع بارزة معروفة ، ولا تذكر كافة المواضع ، ولا التطورات العمرانية والاجتماعية في مكة (١٧) .

اما كتب التراجم فان عدداً منها مرتب حسب الطبقات ، أي تبعاً للازمنة المتعاقبة التي عاشوا فيها واغلب هذه الكتب ترفق ذلك بترتيب الرجال تبعاً للمدن التي عاشوا فيها ، وأقدم ما وصلنا كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ، وكتاب الطبقات لخليفة بن خياط ، ويتميز الاول بسعة معلوماته وحرصه على ذكر اسانيد رواياته ، والكتاب مكون من ثماني مجلدات ، الجزئين الاولين منها عن سيرة الرسول (ص) ، وفيها قسط كبير عن حياته . اما الاجزاء الثلاثة التالية فهي في الغالب عن رجال أهل الحجاز ، وفيهم كثير من أهل مكة الذين هاجروا منها واستقروا في المدينة منذ أن هاجر الرسول(ص) اليها ، والجزء الثامن مخصص للنساء ، ومع ان معلومات ابن سعد واسعة وغزيرة ، وانه عني بذكر العلاقات النسبية والزيجات لمن ترجم لهم ، الا أنه عنى بعرض سلوك وعلم من ترجم لهم ولم يذكر كثيراً عن معالم العمران وتطوره في مكة ،وهذا ينطبق على كل طبقات الرجال التي الفها المعنيون بالحديث النبوي ورجاله(١٨) علماً بأن في المطبوع من كتاب ابن سعد نقص كبير في تراجم المكيين .

كتب النسب :

وتعنى كتب النسب بذكر القبائل والعشائر وعلاقاتها النسبية وابرز رجالها . وقد الف العرب عدداً كبيراً منها ، ومن ابرزها الكتاب الذي الفه

---

(١٧) انظر قائمة وافية عما ذكره ابن النديم من كتب التاريخ في القائمة التي الحقناها بالترجمة العربية لكتاب « علم التاريخ عند المسلمين » .

(١٨) انظر تفاصيل اوفى في كتاب « بحوث في تاريخ السنة المشرفة للدكتور اكرم ضياء العمرى .

هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤) والذي كان معتمد معظم من الف في الموضوع بما في ذلك ابن ماكولا . وقد خص ابن الكلبي ومن نقل عنه قريشاً بفصول طويلة ذكر فيها عشائرها وابرز رجالها وعلاقاتهم النسبية ، ولكن كتب النسب لم تستوعب كل سكان اهل مكة ولم تفصل في ما مر بها من تطور عمراني ومن معالم ، علماً بان ابحاثهم تنتهي بزمن خلافة هارون الرشيد في الغالب .

ذكر ابن النديم عدة كتب في النسب تدل عناوينها على اقتصاره على قريش وهي : نسب قريش وفضائل قريش للمدائني (١٩) وأنساب قريش وأخبارها للجمحي (٢٠) ، (ت ٢٣٢) ومناقب قريش (٢١) ، لابن عبدة ، فضائل قريش لمحمد بن ادريس الشافعي (٢٢) (ت ٢٠٤) كما ذكر جمهرة نسب بني هاشم لطيفور (٢٣) وأنساب عبد المطلب للسكرى (٢٤) ، وكل هذه الكتب مفقودة ولم نعلم نقلا منها .

وذكر ابن النديم أيضاً نسب قريش لمصعب الزبيري (٢٥) ، (ت ٢٣٦) ونسب قريش للزبير بن بكار (٢٦) (ت ٢٥٦) ، وحذف من نسب قريش لمؤرج السدوسي ، وقد وصلنا الكتاب الاول كاملاً ، كما وصلتنا قطعة كبيرة من الكتاب الثاني ، وكلها تبحث في عشائر مكة وعلاقاتها النسبية وبعض رجالها ، ولا تبحث في عمران مكة وتطوره .

---

(١٩) الفهرست ١١٤ (طبعة تجددى) ، وقد نقل الفاكهي عن ابى عبيدة احد عشر نصا في ابار مكة .

(٢٠) الفهرست ١٢٤ .

(٢١) الفهرست ١١٨ .

(٢٢) الفهرست ٢٦٤ .

(٢٣) الفهرست ١٦٢ .

(٢٤) الفهرست ١٢٠ .

(٢٥) الفهرست ١٣٣ .

(٢٦) الفهرست ١٥٠ ، وانظر قوائم وافية لكتب النسب في المقدمة التي كتبها زترستن للكتاب « طرفة الاحباب » و « كتاب موارد البلاذرى » للدكتور محمد حسن المشهداني .

ومما له صلة بالنسب كتاب المحبر و المنمق لمحمد بن حبيب ، وكتاب سيرة ابن هشام ، ففي كل منها معلومات عن آبار مكة وعشائرها وأحلافها وبناء الكعبة ، وفي المنمق معلومات عن بعض التطور الاجتماعي في مكة بعد الاسلام .

ومما يجمع بين النسب والتاريخ كتاب أنساب الاشراف للبلاذري ، وهو كتاب ضخم طبع قرابة ثلثه في خمسة أجزاء ضخمة ، وقد رتب على تقسيمات العشائر ، ولكن معلوماته مصنفة تبعاً لاعمال رجالها ، وفيهم عدد من أهل مكة ، ولكن اكثر اهتمامه بالحوادث السياسّية والأعمال الفردية ، والفصول التي كتبها عن بطون قريش مقتضبة ومعتمدة على ابن الكلبي ، وهي لاتقدم معلومات اضافية .

كتب البلدانيين والمصنفات عن مكة :

وقد بحثت عن مكة بعض كتب البلدان واخصها المسالك والممالك للأصطخري الذي نقله مع اضافات قليلة ابن حوقل ، و احسن التقاسيم للمقدسي ، والاعلاق النفيسة لابن رستة ، فاما الكتب الثلاثة الأولى فانها ذكرت نصوصاً عن مكة في القرن الرابع الهجري ، وفيها وصف مهم ولكنه مقتضب ، اما ابن رسته فقد نقل ماذكره الازرقي عن الكعبة والمسجد الحرام .

والمتوقع ان تكون اغزر مادة في الكتب التي اختصت بمكة او بعض معالمها ، وقد الفت فيها في العهود الاسلامية الاولى كتب كثيرة ذكر ابن النديم عدداً منها هي كتاب مكة والحرم لابي عبيدة (٢٧) و اخبار مكة للواقدي (٢٨) وكتاب مكة للمدائني (٢٩) وكتاب مكة لعمر بن شبه النمرى (ت ٢٥٣) (٣٠) .

(٢٧) الفهرست ٥٩ .
(٢٨) الفهرست ١١١ .
(٢٩) الفهرست ١١٧ .
(٣٠) الفهرست ١٢٥ .

و كتاب مكة واخبارها وجبالها واوديتها للازرقي (٣١) ، وكتاب « مكة واخبارها في الجاهلية والاسلام » للفاكهي (٣٢) ، وكتاب « مكة والحرم » لمحمد بن مسعود العياشي ٣٣) ، و« امراء مكة » لعمر بن شبة (٣٤) .

وفي كتاب « سيره الرسول » لابن اسحاق معلومات عن آبار مكة وعشائرها وحلفائهم قبيل الاسلام .

ونقل السمهودي عن الحكيم الترمذي في نوادره انه سمع الزبير بن بكار (ت ٢٦٣) يقول : صنف بعض اهل المدينة في المدينة كتابا ، وصنف بعض اهل مكة في مكة كتابا ، فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة يريد كل واحد منها ان يبرز على صاحبه بها حتى برز المدنى على المكى في خلة واحدة عجز عنها المكى . . ، ان هذه اشارة الى كتابين في المفاخرات والمفاضلات التي يحتوي ما نعرفه من نمطها عن المدن الاخرى انه يحتوي معلومات عن الخطط والمعالم العمرانية والمنتوجات ، ولكن لم نجد اشاره الى كتاب فيه مثل هذا النوع من المادة عن مكة ، وان ما وصلتنا من معلومات عن مكة انما تقتصر على وصف المعالم دون الاشارة الى المفاخرات .

وذكر البلاذرى في فتوح البلدان معلومات عن آبار مكة لاتزيد على ما ذكره ابن اسحاق

ومما يتصل بهذا كتاب « قصة الكعبة » لابي عبيدة (٣٥) و «كتاب بناء الكعبة » للمدائني (٣٦) ، و «حفر زمزم» لاسحاق بن اسماعيل بن عيسى العطار (٣٧) ، و « حفر زمزم » لاسحاق بن بشر (٣٨) ، وكذلك « فضل مكة على سائر البقاع » لابي زيد البلخي (٣٩) ، و « فضل المدينة على مكة » لابي بكر الأبهري (ت ٣٧٥) (٤٠) .

(٣١) الفهرست ١٢٥ .
(٣٢) الفهرست ١٢٢ .
(٣٣) الفهرست ٢٤٥
(٣٤) الفهرست ١٦٣ .
(٣٥) الفهرست ٥٩ .
(٣٦) الفهرست ١١٦ .
(٣٧) الفهرست ١٥٢ .
(٣٨) الفهرست ١١٦ .
(٣٩) الفهرست ١٥٣ .
(٤٠) الفهرست ٢٥٣ .

وذكر السخاوي من الكتب الأولى المؤلفة في تاريخ مكة كتاب كل من ابي الوليد الازرقي ، ومحمد بن اسحاق الفاكهي ، وعمر بن شبّة ، والزبير ابن بكار ، ثم عدّد الكتب التي لخصت كتاب الازرقي او الفت في القرن السادس وما بعده (٤٢) .

وفيما عدا كتابي الازرقي والفاكهي فان كافة الكتب التي ذكرها ابن النديم والسخاوي مفقودة ، والواقع ان بعض هذه الكتب الفها رجال ذوو مكانة في التأليف التاريخي ، ونقلت عنهم الكتب التي وصلتنا معلومات وافية عن مختلف جوانب التاريخ الاسلامي ، غير انه يصعب تحديد الكتب التي نقلت عنها هذه المعلومات . وجدير بالذكر ان الأزرقي ، وهو اوسع الكتب الاولى عن مكة نقل عن الواقدي والمدائني ، كما نقل عن غيره ، غير انه لم يذكر عنهم شيئاً يتعلق بمعالم مكة العمرانية وتطوراتها السكانية ، ولذلك لايمكن القطع بنطاق ماذكره واهميته .

وقد اوردت بعض الكتب نصوصاً لعدد ممن ذكرت المصادر تآليفهم كتبا عن مكة ، غير ان النقلة يذكرون الاخبار ورواتها دون ان يذكروا اسماء الكتب التي نقلوا عنها .

فاما المدائني فقد نقل عنه وكيع قائمة في اسماء من ولي القضاء بمكة الى زمن هارون الرشيد واشار الى انه « لم يذكر المدائني غير هؤلاء » (٤٣) .

ونقل وكيع عن مصعب الزبيري عدة روايات عن قضاة مكة (٤٤) .

(٤٢) الاعلان بالتوبيخ « منشور في » علم التاريخ عند المسلمين ٦٤٧ .
(٤٣) اخبار القضاة ١/٢٦٧ .
(٤٤) اخبار القضاة ١/٢٦٤ ــ ٢٦٦ .

ونقل الفاكهي عن الواقدي ـ ستة وعشرين نصاً اكثرها عن حصار الحصين ابن نمير لعبد الله بن الزبير .

ونقل الفاسي في كتاب « شفاء الغرام » عن الزبير اخباراً عن ولاة مكة (٤٥) وعن قاض في مكة (٤٦) كما نقل عنه في « العقد الثمين اخبارا عن المسجد الحرام ، وعن حليل بن حبشية ، وعن قصي (٤٧)

اخبار مكة لابن شبه :

ان كتاب عمر بن شبه النمري نقل عنه عدد من المؤلفين ، ومؤلفه من ابرز الرواة الاولين ، وقد ذكر له ابن النديم كتباً في تاريخ البصرة ، وقضاتها واحداثها كما ذكر له كتابا في تاريخ مكة ، وتاريخ المدينة ذكر السخاوي انه « على نمط الازرقي والفاكهي(٤٨) ، وكان هذا الكتاب معروفاً حتى القرن الثامن الهجري ، فقد ذكر ابن النديم في كلامه عن نشأة الخط العربي « قرأت في كتاب مكة لعمر بن شبة وبخطه ، اخبرني قوم من علماء مضر . (٤٩) ، وذكر السخاوي ان كتاب ابن شبه « لم يقف عليه الفاسي ، وكتبه صاحبنا ابن فهد بخطه» (٥٠) ويذكر الفاسي واظن اني رأيت بخط بعض اصحابنا من حفاظ الحديث ان لعمر بن شبه تأليفاً في أخبار مكة ، واظن ان كتاب عمر بن شبة في أخبار مكة ان صح ما رأيته من ذلك على نمط تاريخ الازرقي والفاكهي ، (٥١) .

وقد نقل البلاذري في انساب الأشراف ، نصوصاً عن ابن شبه بعضها يتعلق برجال من اهل مكة ، غير انه يصعب الجزم بانها نقلت من كتاب تاريخ مكة ، خاصة

(٤٥) شفاء الغرام ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٥ .
(٤٦) شفاء الغرام ١٣٤ .
(٤٧) العقد الثمين ٤٧/١ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، وانظر ١٣٦/١ .
(٤٨) الاعلان بالتوبيخ ٦٤٧ مطبوع ضمن « علم التاريخ عند المسلمين » .
(٤٩) الفهرست ٨ .
(٥٠) الاعلان بالتوبيخ ٧٤٧ . (٥١) العقد الثمين ١٠/١ .

وان البلاذري يقتصر على ذكر اسماء من روى عنهم دون ذكر كتبهم (٥٢) .

ونص ابن حجر في « فتح الباري في شرح صحيح البخاري على نقله عن كتاب اخبار مكة لابن شبه في عشر روايات عن الكعبة في كيفية الصلاة فيها (٥٣) وتكبير الرسول (ص) عندها (٥٤) وقسمة ماكان فيها من اموال (٥٥) ، وحديث نبوي عن تعظيمها (٥٦) ، وصورة مريم وفي حجرها عيسى فيهـا (٥٣) وعن السعي بين اساف ونائله قبل الاسلام (٥٨) كما اشار الى نقله عن ابن شبه في خبر عن ذي قار (٦٩) وان المدينة لايدخلها الدجال ولا الطاعون (٦٠).

ونقل ابن ظهيرة عن كتاب ابن شبه رواية عن توسيع عمر بن الخطاب الكعبة (٦١) .

ونقل عن هذا الكتاب العسقلاني في كتاب « الاصابة » خمس عشرة رواية عن مكة (١ – ٢٢٤ ، ٢٩٨ ، ٥٧٥ ، ٢ – ٣٥٧ ، ٣ – ٥٥٦ ، ٤ – ٧٢ ، ٣١٥ ، ٤٢٩ ، ٥٧٩ . ٥ – ١٢٨ ، ٧ – ٢٣٨ ، ٢٩٠ ، ٨ – ٣٠٨

ان المقتطفات القليلة التي وصلتنا من الكتاب تؤيد قول الفاسي ان ابن شبه بحث في خطط مكة ومعالمها العمرانية ولعله كتب عن مكة على غرار ماكتبه

(٥٢) انظر « موارد البلاذرى » الدكتور محمد جاسم المشهداني ١/٣٠٦ – ٣١٤ .

(٥٣) فتح البارى ٤/٢١٥ .
(٥٤) فتح البارى ٤/٢١٤ .
(٥٥) فتح البارى ٤/٢٠١ .
(٥٦) فتح البارى ٤/١٩٤ .
(٥٧) فتح البارى ٩/٧٨ .
(٥٨) فتح الباري ٤/٢٤٦ .
(٥٩) فتح البارى ٧/٧٣ .
(٦٠) فتح البارى ٢/٣٠٠ .
(٦١) العقد الثمين ١/١٩ ، ٤١١ ؛ وقد انجز السيد محمود عبدالله العبيدى اطروحة عن عمر بن شبه فيه من نقل عنه .

عن المدينة حيث ذكر خططها واخبار الحوادث التي مرت بها، غير انه لايمكن الجزم باجمال مابحثه وبتميزه على كتاب الازرقي . وعلى اي حال فان كتاب ابن شبه لم يحظ بالعناية التي حظى بها كتاب الازرقي .

وفي كتاب المناسك للحربي اربعون صحيفة (٤٧١ ـ ٥١١) عن مكة ، بحث فيها انصاب الحرم (٤٧١) ومكة (٤٧٢ ـ ٥) وصفة المسجد الحرام وابوابه (٤٧٥ ـ ٤٨١) والكعبة (٤٨١ ـ ٤٩٦) وذرع المسجد الحرام والكعبة (٤٩٦ ـ (٥٠٠) وزمزم (٥٠٠) والسقاية (٥٠٠) وذرع المسجد (٥٠١) وطريق منى (٥٠٣) ومسجد الخيف (٥٠٤ ـ ٦) والمزدلفة (٥٠٦ ـ ٨) وعرفة (٥٠٨ ـ ١١) . ولم يذكر مصادره الا في بحث انصاب الحرم ، واسم مكة ، وامر الكعبة واكثر من ذكر روايته عنه ابن جريج ، وشملت روايته انصاب الحرم ، وامر الكعبة وبنيانها .

كما روى عن الزبير بن بكار في انصاب الحرم(٤٧٢) وبنيان الكعبة (٤٨٢) بالاضافة الى عدد آخر من الرواة .

وذكر من رواته محمد بن الوليد (٤٧٢) ، والفاكهي (٤٩٧) .

واكثر معلوماته تتطابق مع ما ذكره الازرقي ، مما يدل على اعتماده عليه غير ان اشارته الى الفاكهي قد تدل على انه اخذ هذه المعلومات عن طريق الفاكهي الذي نقل بدوره عن الازرقي .

اخبار مكة للفاكهي :

والكتاب الثاني المهم في اخبار معالم مكة العمرانية هو الكتاب الذي الفه ابو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي ولد حوالي سنة ٢١٥ وتوفى حوالي سنة ٢٨٠ وكان من علماء مكة البارزين ، روى عنه عدد من

العلماء ، منهم البخاري (٦٢) ، والف كتابه في اخبار مكـة بعد سنة ٢٧٢ التي ذكر بعض الحوادث فيها في كتابه وكان معـروفا عند الاولين ، فذكر ابن حجر انه كتاب نفيس في خمسة اسفار(٦٣) وقال الفاسي فيه « امور كثيرة مفيدة جدا ليست في معنى تاليف الازرقي (٦٤) ونقل عنه عدد من المتأخرين ومن ابرزهم ياقوت الحمـــوي ، وتقي الدين الفاسي ، وابن حجر العسقلاني وابن فهد . وقد طبعه حديثاً عبد الملك بن عبد الله بن دهيش في اربع مجلدات ضخمة ووضع لها مقدمة ضافية في ترجمة المؤلف وشيوخه واهمية الكتاب، واحتوى المطبوع ابحاثا عن الحجر الاسود ، والملتزم ، والطواف والمقام ، وزمزم ، والمسجد الحرام ، والسعي بين الصفا والمروة ، واسماء مكة ،وقتال ابن الزبير ، وسيول مكة ، وبعض احوال مكـة ، واخبارها في الجاهلية والاسلام واوائل الاشياء التي حدثت في مـكة وحكم بيع دور مكة وكرائها وتملكها ، ورباعها ، وحدودها ، وآثار الرسول (ص) فيها ، وآبارها وعيونها وبركها ، وطرقاتها وشعابها . ثم بحث منى ، والمزدلفة ، وعرفة .

ويتجلى من المطبوع ان الفاكهي اتبع اسلوب المحدثين ، فذكر قرابة ثلاثة الاف حديث وأثر واشار الى مصادره فيها ، نقلها عن ٢٣١ شيخا واكثر ما نقل عن محمد بن يحى ت ٢٤٣ (٥٢٦ نصا) ويعقوب بن حميد (١٨٨ نصا) والزبير بن بكار (١٤٣ نصا) وبكر بن خلف (١٥٥ نصا) ، وسعيد بن عبد الرحمن المخزومي (١٥٢ نصا) كما نقل ايضا عن الواقدي والحميدي وابي عبيدة وآخرين .

---

(٦٢) الفاسى : العقد الثمين ١/ ٤١٠ .
(٦٣) تلفيق التعليق ٥/٤٧ .
(٦٤) شفاء الغرام ٤٨ .

بحث الفاكهي كثيرا من المواضيع التي بحثها الازرقي ، وهو يساير الازرقي في ترتيب مادتة في المعالم العمرانية ، ويطابقه في المعلومات مع بعض اضافات قليلة ، وان كانت مهمة ، غير انه يكثر من ذكر شيوخه ويشير الى الاحكام الفقهية ، ويشير إلى قيامه بفحص الكتابات ، ويورد اشعاراً واقوالا وبعض الاخبار التاريخية ، ومن هذا ذكر الفاسي ان كتاب الفاكهي كتاب حسن جداً لكثرة مافيه من الفوائد النفيسة ،وفيه غنية عن كتاب الازوقي وكتاب الازرقى لايغنى عنه ، لانه ذكر فيه اشياء كثيرة حسنة جداً لم يذكرها الازرقي ، . وافاد في المعنى الذي ذكره الازرقي اشياء كثيرة لم يفدها الازرقي (٦٥) .

ان التشابه الواسع بين ما ذكره الازرقي والفاكهي في المواضيع التي بحثاها ، وتسلسل ترتيبها وحرفية لفظها يدل على ان الفاكهي اطلع على كتاب الازرقي واعتمده في ترتيب موضوعاته ومادتها ،مع اضافات اكثرها استطرادية غير انه لم يشر في ما نقله الى الأزرقي صراحة ، وانما يكتفي بالقول بانها منقولة عن « بعض اهل مكة » أو عن كتاب لاشياخ من أهل مكة ، وقد يدل هذا على أن الفاكهي نقل عن الأزرقي دون ذكر اسمه ، أو ان كليهما نقل عن مصدر اقدم .

وقد ذكر عدد من القدماء نقولا عن الفاكهي منها عن بناء البيت ،وولاية الكعبة ، وابار خزاعة ، وقريش والانساء ، وقصي ، واصنام مكة ، وعام الفيل ، وعبد المطلب وحياة الرسول (ص) في مكة ، وصلح الحديبية ، وفتح مكة ، وبناء الكعبة .

وبسبب تأخر استلامي النسخة المطبوعة من كتاب الفاكهي ، فاني اقتصرت على الاعتماد على كتاب الازرقي ، واضفت اليه بعض مانفرد به كتاب الفاكهي ، وفي عملي هذا ثغرة ، ولكنها غير واسعة ، لان اضافات الفاكهي

(٦٥) العقد الثمين للفاسى ١/١١ ٤ .

في المعالم العمرانية ليست كبيرة ، سوى ماذكره عن الدور التي في اطراف المسجد الحرام

تاريخ مكة للازرقي :

لكتاب الازرقي في تاريخ المعالم العمرانية في مكة مكانة متميزة أشار اليها عدد من الباحثين ، ولخصه او نقل عنه عدد كبير من المؤلفين .

فاما عن مكانة الكتاب فان الفاسي يقول « وللامام الازرقي والفاكهي فضل السبق والتحرير والتحصيل ، فان ماذكراه هو الاصل الذي انبنى عليه هذا الكتاب ، واني لاعجب من اهمال فضلاء مكة بعد الازرقي التأليف على منوال تاريخه ، ومن تركهم تأليفا لتاريخ مكة يحتوي على معرفة اعيانها من اهلها وغيرهم من ولاتها وائمتها وقضاتها وخطبائها وعلمائها كما صنع فضلاء غيرها من البلاد . . ومن عصرهما الى تاريخه خمسمائة سنة ونحو اربعين سنة ، ولم يضف بعدهما في المعنى الذي أضفناه أحد »(٦٦) ، وقال أيضاً « لا اعلم أحداً جمع لمكة تاريخاً الا الازرقي والفاكهي وشريف يقال له زيد بن هاشم » وذكر أنه لم يطلع على كتاب زيد (٦٧) .

وقال السمعاني ان الوليد « صاحب كتاب اخبار مكة وقد احسن في تصنيف ذلك الكتاب غاية الاحسان » (٦٨)

وقال حاجي خليفة ان الأزرقي أول من ألف في تواريخ مكة (٦٩) .

وقال بروكلمان ان الازرقي اول من جمع الاخبار المأثورة عن تاريخ مكة القديم (٧٠)

---

(٦٦) الفاسي ٦٦/٢ (طبعة وستنفلد) ، علم التاريخ عن المسلمين لروزنثال ٢٢٧ .

(٦٧) العقد الثمين ٩/١ .

(٦٨) الانساب ٤٦/١ طبعة حيدر اباد .

(٦٩) كشف الظنون ٣٠٦/١ .

(٧٠) تاريخ الادب العربي ٢٢/٣ .

اشار بعض الباحثين الى عدم استيعاب الازرقي في كتابه كافة المعالم العمرانية ، فقال الفاسي « في كتاب الفاكهي وهومحمد بن اسحاق بن العباس المكي أمور كثيرة مفيدة جداً ليست من معنى تأليف الازرقي ولا في المعنى الذي الفناه ، وكانا في المائة الثالثة ، والفاكهي تأخر عن الازرقي قليلا في في غالب الظن .

وقال انه عزم على ان « يضم الى ما ذكره تاريخ الازرقي اموراً كثيرة مفيدة لم يذكرها الازرقي ، بعضها مما عني يجمعه ، وبعضها مما لم يصل به ، ضمن الاول احاديث نبوية ، واثاراً عن الصحابة والسلف ،واخباراً جاهلية لها تعلق بمكة واهلها وملوكها وغير ذلك »(٧١) .

وقال أيضا « لم يعن الازرقي بجمع ولاة مكة في الاسلام » وأن الازرقي والفاكهي لم يعنيا الا في أخبار الكعبة والمسجد وشبه ذلك (٧٢) .

ومن مظاهر أهمية ودلالة مكانته عناية العلماء به واعتمادهم عليه .

فكان كتاب عمر بن شبه في تاريخ مكة على نمط كتابي الازرقي والفاكهي.

والف محمد بن سعيد الجندي كتاب « فضائل مكة » على نمط كتاب الازرقي والفاكهي (٧٣) .

والف رزين العبدرى امام المالكية بالحرم (ت ٥٢٥) كتاباً في اخبار مكة رآه الفاسي وقال انه ملخص من كتاب الازرقي (٧٤) .

---

(٧١) الفاسي ٢/٦٦ طبعة وستنفلد ، علم التاريخ عند المسلمين ٢٢٦ .

(٧٢) العقد الثمين ١/٨٠ .

(٧٣) الفاسي ١٠٨ ، السخاوى ٦٤٧ .

(٧٤) العقد الثمين ٤/٣٩٨ ، السخاوى ٦٤٧ وسماه رزين بن معاوية السرقسطي .

والف سعدالله بن عمر الاسفراييني في سنة ٧٦٢هـ (زبدة الاعمال وخلاصة الافعال) في فضائل مكة والمدينة ، اختصره من تاريخ الازرقي كما ذكره في خطبة كتابه (٧٥) .

كما لخصه يحيى بن محمد الكرماني (ومنه نسخة في برلين رقم ٩٧٥٢) ونظمه الارمانتي (٧٦) .

واسهم في دراسته عدد من المحدثين ومنهم من غير العرب كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الادب العربي (٥) والاستاذ فؤاد سزكين في « تاريخ التراث العربي » ، ويوهان فوك في المقـال الذي كتبه ونشره في الكتاب المهدى لديللا فيدا ،وفي مقالة في دائرة المعارف الاسلامية ، كما تطرق الى بحثه روزنثال في كتابه « علم التاريخ عند المسلمين » وكتب رشدي صالح ملحس دراسة ضافية عن الازرقي في مقدمة نشره الكتاب .

ان كتاب الازرقي بصورته الحالية وصلنا باعداد ابي الوليد محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الازرق ، وبرواية ابي محمد بن اسحاق الخزاعي .

المؤلف وعنوانه :

والقسم الاكبر من الكتاب من اعداد أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي المنحدر من الأزرق الذي ذكر ابن سعد انه « كان روميا حداداً غلاماً للحارث بن كلدة الثقفي . وهو ممن خرج يوم الطائف الى النبي (ص) مع عبيد أهل الطائف ومنهم أبو بثرة اخو عمار لامه » واعتقهم الرسول » (٧٧) .

---

(٧٥) السخاوى ٦٤٧ .

(٧٦) مقدمة رشدى ملحس لكتاب تاريخ مكة .

(٧٧) ابن سعد ٣ ــ ١٧٦/١ ، انساب الاشراف للبلاذرى ١٥٧/١ (عن ابن سعد عن ابي الكلبي) ويذكر المنمق ٢١٣ ، ٣٠٢ ، ويذكر البلاذرى ان سمية هى ام اياد انساب الاشراف ٤٨٩/١ .

ويروى الأزرقي ان الرسول (ص) كتب لجدهم كتاباً يبيح لهم التزوج في اي قبائل قريش وولده ، وانهم احتفظوا بالكتاب الى ان تلف في سيل الجحاف سنة ٢١٨هـ (٧٨) .

ونسب الى الازرق انه قال للرسول (ص) قدمت من الشام وبها اهلي وعشيرتي » .

ويذكر ابن سعد ان بني الازرق كانوا في أول أمرهم يدعون أنهم من تغلب ثم من بني عكب ، ثم تزوج جبير بن مطعم احدى بنات الأزرق ، فولدت له بنية تزوجها سعيد بن العاص فولدت له عبد الله بن سعيد (٧٩) .

ويذكر محمد بن حبيب أن الأزرق تزوج سمية بنت خياط امة حذيفة بن المغيرة بن عبد الله المخزومي فولدت له عمرو وسلمة ، ويذكر أيضاً « أن سلمة تزوج آمنة بنت عفان اخت عثمان » (٨٠) ، ويذكر ابن سعد أن الازرق ولد له سلمة ، وعمرو ، وعقبة (٨١) .

ويذكر ابن سعد أن « الأزرق كان حليف بني أمية. وأنهم شرفوا في مكة وتزوج الازرق وولده في بني أمية وكان لهم منهم اولاد » ثم افسدتهم خزاعة ودعوهم الى اليمن وزينوا لهم ذلك وقالوا انتم لايغسل عنكم ذكر الروم الا ان تدعوا انكم من غسان فانتموا الى غسان بعد (٨٢) .

وذكر النسابون نسب الأزرق أنه « ابن عمرو بن الحارث بن ابي شمر الغساني ، وهو ماذكره في كتابه ، وكانت للأزرق دار الى جنب المسجد جددها وجدد المسجد

(٧٨) تاريخ مكة ٢٠٠/١ .
(٧٩) ابن سعد ١ ـ ١٧٦/١ .
(٨٠) المنمق ٣١٢ ، ويلاحظ ان مصعب الزبيرى لا يذكر ذلك وانما يقول ان امنة تزوجت عبدالله بن ابي سعد (نسب قريش) .
(٨١) ابن سعد ٢ ـ ١٧٦/١ انساب الاشراف ١٥٧/١ .
(٨٢) ابن سعد ٣ ـ ١٧٦/١ .

واحد وكان وجهها شارعاً على باب بني شيبة ، وكان عقبة بن الازرق يضع على جدرها مما يلي الكعبة مصباحاً « عظيماً » فكان أول من استصبح لأهل الطواف (٨٣) . وقد دخل بعضها في توسيع ابن الزبير المسجد ، ودخل بقيتها فيه عند توسيع المهدي ودفع كل منهما بضعة عشر الف دينار للازرق تعويضاً » عنها (٨٤) ، مما يدل على فخامتها ؛ وكانت لهم دار عند المروة الى جنب دار طلحة(٨٥) ، ثم صارت لابن سلمة الازرق دار الى جنب دار بني مرحب وهي قبالة دار حويطب بن عبد العزى (٨٦) ، وفخامة هذه الدور تدل على غناهم ومالهم من ثروة لم تذكر المصادر كيف حصلوا عليها ، علماً بانه لم يذكر عن احدهم تولى اي منصب اداري او امتلاكه مزارع أو دور في الاحداث .

اما ابو الوليد ، فهو احمد بن الوليد بن عقبة بن الازرق ، « فكان موثقاً » عند علماء الحديث ، قال عنه ابن سعد انه « ثقة كثير الحديث »(٨٧) ، وقال ابو حاتم وابو عوانة انه « ثقة » ، وقال الربيع انه كان احد أوصياء الشافعي (٨٨) .

وروى عنه مالك والشافعي وعمرو بن يحيى السعدى وابن عيينة والبخاري ، وابو حاتم . واختلف في تاريخ وفاته ، فذكر ابن حبان والسمعاني انه توفي سـنة ٢١١هـ . وقال ابو حاتم وعوانة انه كان حياً » سنة ٢١٧ (٨٩) ونقل الذهبي عن الحاكم انه توفي سنة ٢١١ (٩٠) .

(٨٣) تاريخ مكة ٢/١٨٧ ، ٢٠١ . (٨٤) تاريخ مكة ٢/١٩٩ .
(٨٥) تاريخ مكة ٢/٢٠١ .
(٨٦) تاريخ مكة ٢/٢٠٨ .
(٨٧) ابن سعد ٥/٣٦٧ .
(٨٨) تهذيب التهذيب ١/٧٩ .
(٨٩) الانساب للسمعاني ١/٤٦ (طبعة حيدر اباد) .
(٩٠) تهذيب التهذيب ١/٧٩ .

كان احمد بن الوليد الازرقي ممن نقل عنهم ابن سعد في كتابه الطبقات : وذكر ابن سعد رواته في مانقله عنه ، واكثر نقله عن مسلم بن خالد الزنجي ، ثم عبد الرحمن بن حسين ، ثم عمر بن يزيد . وندرج فيما يلي هؤلاء الرواة ، علماً باننا اعتمدنا فيها على المطبوع من كتاب الطبقات ، وهي طبقة فيها كثير من الخروم والنقائص ، وقد طبع احد هذه الخروم بمجلد يبلغ ٣٩٠ صفحة .

احمد بن محمد بن الوليد الازرقي – مسلم بن خالد الزنجي – دينار بن سعد – محمد بن المنكرر – صفوان بن مسلم – انس بن مالك

– عائشة ٨ / ٥٢ – ٥ / ٩٧

– عبد ابراهيم بن عمر – محمد بن كعب القرظي ٢ –٢ / ١٣

– ابن شهاب – سالم بن عبد الله بن عمر – ابيه عبد الله ١ – ٢ / ٨

– ابن ابي نجيح – مجاهد ٤ – ١

– ام هانيء ١ – ٢ / ١٣٤

– يعقوب بن عطاء ٥ / ٣٤٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥

– موسى بن عقبة – امه – ام كلثوم ٨ / ٦٧

– عبد الله بن معمر – نافع ٣ – ١ / ٢٥٤

– هشام بن عروة – ابيه ٣ – ١ / ٢٧٣

– المثنى بن الصباح ٥ / ٣٦٥

– عبد الكريم بن ابي المخارة ٣ / ٣٩٢ – ٣٩٦

– عبد الرحمن بن حسين – ابيه ٥ /

– ابن القاسم الازرقي – ابيه ٥ /

– ايوب بن موسى ٣ – ١ / ١٨٩ ؛

– عمرو بن يحيى بن سعيد ٤ – ١ / ١٢٥ – ٦ / ٢٠٧ ، ٢٠٨

– جده – عمه – خالد بن سعيد بن العاص ٤ – ١ /

– عبد الرحمن بن أبي الرحال – عبد الله بن عمـر ٧ / ١٢٧ ، ٨ /
– سفيان بن عيينة – ابن ابي نجيح – مجاهد ٤ – ١ / ١٢٩
– عطاف بن خالد – رجل – ابن شهاب ٥ / ٩٧ ، ٩٨
– عدة من اصحابهم – سليمان بن عمرو ٥ /
– ابو عبد الحارث بن عمير – رجل ٣ – ١ / ٢١٠
– داود بن عبد الرحمن – يحيى بن سعيد – القاسم بن محمد ٨ / ٤٩ ، ٥ / ٢٦٢ ، ٢٦٥

اكثر احمد بن محمد الازرقي من الرواية عن كل من سعيد بن سالم القداح ، ومسلم بن خالد الزنجي ، وسفيان بن عيينة ، وابراهيم بن محمد ابن ابي يحيى . ونقل عن كل من هؤلاء – روايات مسندة عن عدة شيوخ واكثر روايات سعيد بن سالم القداح من عثمان بن ساج وابن جريج ؛ واكثر روايات مسلم بن خالد الزنجي عن ابن جريج ، وروايته عن سفيان بن عيينة كثير منها من عمرو بن دينار . غير ان كلاً من هؤلاء وابراهيم بن محمد بن ابي يحيى يروي روايات مفردة عن عدد غير قليل من رواة آخرين .

وروى احمد بن محمد روايات مفردة عن شيوخ كثيرين نذكر منهم داود بن عبد الرحمن ، ويحيى بن سليم ، وابراهيم بن محمد بن المنتشر ، وعبد الجبار بن الورد ، وعبد الله بن معاذ الصنعاني ، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن ابي رواد ، ومحمد بن ادريس ، ومروان بن معاوية ، وسعيد بن عبد الرحمن المخزومي

ومن ابرز الشيوخ الذين نقل عنهم الازرقي ، هو محمد بن عمر الواقدي ، وقد نقل رواياته عن طريق محمد بن يحيى ومحمد بن ادريس

ونقل ابو الوليد كثيراً عن مهدي بن ابي المهدي الذي نقل بدوره عن عدد من الرواة ، وخاصة عبد الله بن معاذ الصنعاني ، وبشر بن السري البصري ، وعبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم ، اضافة الى روايات

مفردة نقلها عن ابراهيم بن الحكم بن ابان ، وابي ايوب البصري ، واسماعيل ابن عبد الكريم الصنعاني ، وعمر بن سهل ، وعبد الملك الزماري ، وعبد الرحمن بن عبد الله مولى بنى هاشم ، وعيسى بن يونس ، ومروان بن معاوية الفزاري ، ويحيى بن سليم ، ويزيد بن ابي الحكم .

ونقل ابو الوليد روايات مفردة عن ابراهيم بن محمد الشافعي ، واحمد ابن عيسى المكي ، وابن ابي سبرة ، وسعيد بن محمد ، وسعيد بن منصور ، وسعيد بن يحيى ، وعبد الله بن شبيب الربعي ، وعلي بن هارون بن مسلم المحلبي ، وابي الوليد بن ابا ن الرازي ، ومسافع بن عبد الرحمن الحجبي ، ومحمد بن اسماعيل بن ابي عصيدة ، ومحمد بن واضح ، ويعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس .

اما محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد فقد ذكر الفاسي انه مؤلف أخبار مكة ، حدث عن جماعة ، وذكر في الخطط ان القصر المسمى ستر والستار في الجاهلية صار للمنتصر امير المؤمنين ، أي أنه كان حياً في ذلك التاريخ ، واظهر عجبه من عدم عناية الباحثين بترجمة حياته (٩١) .

طبع تاريخ مكة على عدة نسخ ، ثم اعاد طبعه رشدي صالح ملحس على طبعة وستنفلد وثلاث مخطوطات اخرى كلها برواية ابي محمد اسحاق ابن احمد بن نافع الخزاعي رواها عن عم ابيه ابي الحسن محمد بن نافع الخزاعي المتوفى بعد سنة ١٥٠ ويتبين منها ان ابا محمد الخزاعي اضاف اليها نصوصاً عن غربي المسجد سنة ٢٨١ هـ (٩٢) .

(٩١) العقد الثمين ٢/٢٠٦ .

(٩٢) تاريخ مكة ٢/٧١ .

وعن دار الندوة في زمن المعضتد (٩٣) ، وابياتا لشاعر في حراء (٩٤) . واضاف ابو الحسن اليه خبراً «عن اضافة المقتدر جدار دار الندوة» (٩٥) .

وابو محمد اسحاق هو ابن احمد بن اسحاق بن نافع بن أبي بكر بن بكر بن يوسف بن عبد الله بن نافع بن الحارث الخزاعي ، وكان نافع ولي مكة لعمر بن الخطاب (٩٦) واشترى لعمر دار السجن في مكة (٩٧) .

اما ابو محمد اسحق فكان من كبار اهل القرآن وأحد فصحاء مكة ، ويذكر ابن الجزرى انه كان إماما «في قراءة المكيين ثقة ضابط حجة . وذكر عدداً من شيوخه ومن قرأ عليه من البارزين في علم القراءات وتوفي في الثامن من رمضان سنة ٣٠٨ » (٩٨) .

اما محمد بن نافع بن احمد بن اسحاق فيذكر الفاسي انه حدث عن عمه اسحاق بن احمد الخزاعي بتاريخ مكة للازرقي ، وله عليه حاشيتان تتعلقان بزيادة دار الندوة وزيادة باب ابراهيم . ونقل عن تاريخ المسبحي كان فيمن دخل الكعبة وشاهد الحجر الاسود فيها عندما عمل له الحجبة طوقاً يشد به بعد اتيان القرامطة به الى مكة في سنة ٣٤٠ ، وكان رده في موضعه يوم النحر سنة ٣٣٩ ، وكان محمد بن نافع هذا حياً سنة ٣٥٠ وله تأليف في فضائل مكة (٩٩) .

ويذكر ياقوت ان سعيد بن عثمان البلدي الاندلسي قرأ في مكة على ابي الحسن محمد بن نافع الخزاعي فضائل مكة من تأليفه وذلك في سنة ٣٥١(١٠٠).

---

(٩٣) تاريخ مكة ٨٧/٢ – ٩١ ، ٢٠٤ .
(٩٤) تاريخ مكة ١٣٣/٢ .
(٩٥) تاريخ مكة ٩٠/٢ .
(٩٦) تاريخ مكة ١١٤/١ ، ١٢٢ .
(٩٧) تاريخ مكة ١٣٣/٢ ، ٢١٣ .
(٩٨) العقد الثمين ٤١٨/٣ ، غاية النهاية لابن الجزرى ١٥٦/١ .
(٩٩) العقد الثمين ١٧٨/٢ .
(١٠٠) ياقوت ٧١٨/١ .

ان كتاب الأزرقي عنوانه « أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار » فهو يعني بالدرجة الاولى بالمعالم العمرانية فيها فيبحث التاريخ الموغل في القدم للبيت الحرام ، ونزول ابراهيم الخليل مكة ، وبناءه البيت ، وماطرأ على مكة بعده من تبدلات ، والاصنام فيها ، ثم تحدث بالتفصيل عن الكعبة عند ظهور الاسلام وبنائها وكسوتها وذرعها ، والحجر الاسود ، والطواف ، والمقام ، وزمزم ، والمسجد الحرام ، والصفا والمروة ، وحدود الحرم ، ومنى وعرفة ، والآبار والعيون ، ثم ختمها بفصل طويل عن الرباع .

وبحثه عن الكعبة والمسجد الحرام والاماكن التي تتم فيها مناسك الحج مستوعبة لايدانيها بحث آخر . ولذلك كانت معتمد الباحثين من بعده ، فنقلوا بعض ماذكر مع اضافات لبعض التطورات التي استجدت بعده .

واولى عناية خاصة بتدقيق الابعاد والمسافات والقياسات وبوصف الابنية المعمارية وتزويقها ، واسماء معمارييها احياناً » ، ومعلوماته في ذلك جديرة بدراسة لم تحظ بها ممن كتب في الاثار الاسلامية من المحدثين العرب والغربيين .

غير انه لايبحث في تاريخ الحوادث التي مرت فيها أو أسهم أهلها فيها ، كما أنه لايبحث عن رجالها أو ولاتها أو قضاتها أو من عمل في ادارتها ، الا مايذكره عرضاً لعلاقته بالمعالم .

وهو لايذكر عشائر مكة ، ولا الحوادث المتصلة بحياة الرسول(ص) في مكة الا عرضاً ، علماً بأن احداثاً مهمة جرت فيها كحرب الفجار وحلف الفضول والدعوة الاسلامية في سنواتها الاولى ، وفتح مكة ، وحجة الوداع ثم حركة ابن الزبير ، وحركة الحسين الطالبي ، كما انه لايذكر التطورات الاجتماعية والاقتصادية ولا يشير الى احكام فقهية ، وان كان يذكر ممارسات شخصيات بارزة تتعلق بالحج ، وهي تشمل علماء ، ورجال ادارة وخلفاء ، ويولى الامويين اهتماماً « فيذكر كثيراً من أعمالهم .

وبحثه عن رباع مكة رغم طوله ، شمل رباع عـدد من الأسر او البارزين من رجالها عند ظهور الاسلام وبعده ، ولم يعن بذكر خطط العشائر وتطورها ، كما أنه أغفل عدداً من المعالم التي اكملها الفاكهي في كتابه ، وبحثه عن الرباع فيه معلومات عن عدد كبير من الدور والبيوت ، ولكنه لايعطي فكرة شاملةعن سعة عمران مكة وشكله وتطوره .



الكعبة والمسجد الحرام

الكعبــــة :

يرجع قسط كبير من مكانة مكه قبل الاسلام وبعده الى انه كانت فيها الكعبة التي ذكرها القرآن الكريم بنصها « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » (المائدة ٩٧) ، وذكرها باسم البيت الحرام (المائدة ٩٧) ، والبيت المحرم (ابراهيم ٣٧) والبيت العتيق (الحج ٣٣) والبيت المعمور (الطور ٤) واشار الى انها بيت الله (ابراهيم ٣٧ ، البقرة ١٢٥ ، الحج ٢٦ وذكره « البيت » (البقرة ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، آل عمران ٩٦ ، ٩٧ ، الانفال ٣٥ ، الحج ٢٦ ، قريش ٣)

واشار الى قدمها « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا » (آل عمران ٩٦)

وذكر بعض الرواة ان قدسيتها موغلة في القدم ، غير ان كافة الروايات تجمع على ان ابراهيم كان له دور كبير في تثبيت مكانتها وذلك مصداقا لقوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » (البقرة ١٢٧) ، « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت » (الحج ٢٦) « رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم » (ابراهيم ١٣٧) .

وذكر القرآن الكريم الحج الى البيت (البقرة ١٥٨ ، آل عمران ٩٧ المائدة ٢ ، ٩٧ ، الحج ٣٣) .

وموضع الكعبة في الاصل قبل ان يشيدها ابراهيم الخليل كان « اكمة حمراء مدورة لاتعلوها السيول » يحج اليها الناس ويأتيها المظلوم والمتعوذ ، يدعو عندها ، وقل من دعا هناك الااستجيب دعاؤه (١) .

---

(١) ١/١٨ ، ٢٠ .

ثم بنى ابراهيم البيت ، ويروى عن ابن عباس ان ابراهيم وابنه « ما بنياه بقَصَّة ولا مدر ، ولا كان معهما من الاعوان والاموال ما يسقفانه ، ولكنهما اعلماه فطافا به ، (٢) غير ان روايات اخرى تذكر انه بناه من حجارة جلبها من بعض جبال مكة (٣)

وجعل طوله في السماء تسعة اذرع ، وعرضه من الارض ٣٢ ذراعا من الركن الاسود الى الركن الشامي الذي عند الحِجْر من وجهه .

وجعل عرض مابين الركن الشامي الى الركن الغربي الذي فيه الحجر احد عشر ذراعا .

وجعل طول ظهرها من الركن الغربي الى الركن اليماني ٣١ ذراعا وجعل عرض شقها اليماني من الركن الاسود الى الركن اليماني ٢٠ ذراعا فلذلك سميت الكعبة لانها على خلقة الكعب .

وجعل بابها بالارض غير مبوب ، حتى كان تبع اسعد الحميري هو الذي جعل لها بابا وغلقا فارسيا وكساها كسوة تامة ونحر عندها (٤) .

لم يبن ابراهيم الخليل الكعبة بمدر ، وانما رضمها ، (٥) ولم يسقفها (٦) وكان بابها من الارض (٧) وكانت الكسوة تدلى على الجَدر من الخارج وتربط من اعلى الجدر ومن بطنها (٤) وظلت كذلك الى ان اعادت قريش بناءها (٨) .

---

(٢) ١/٢٥ .

(٣) ١/٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ١٠٠ .

(٤) ١/٢٧ ، وانظر عن الباب ١/١٠٠ .

(٥) ١/٢٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ .

(٦) ١/٤٤ ، ١٠٠ .

(٧) ١/١٠٠ .

(٨) ١/١٠٩ .

وحفر ابراهيم في بطن الكعبة على يمين من دخلها جبّاً (٩) عمقه ثلاثة اذرع ، ويسمى الاخسف (١٠) ، يكون خزانة للبيت يلقى فيه ما يهدى (١١) وقد نصب عمرو بن لحى عند البئر هبل (١٢) .

وكان في بطن الكعبة قرنا الكبش الذي ذبحه ابراهيم الخليل معلقين في بطنها بالجدر تلقاء من دخلها يخلّقان ويُطيّبان اذا طيّب البيت(١٣) وكانت الكسوة تكدس عليها ركاما بعضها فوق بعض (١٤) .

بنـــاء قريش :

واصاب الكعبة قبيل الاسلام حريق سببته امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارة في أستار الكعبة ، واحترق الركن الاسود واسودّ ، وتوهنت الكعبة (١٥) ثم جاء سيل دخل الكعبة وصدع جدرانها (١٦) وعلى اثر ذلك قررت قريش اعادة بنائها ، وتم ذلك قبل البعثة بثماني سنوات ، فقاموا بهدمها « حتى بلغوا الأساس الأول الذي وضع عليه ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت فابصروا أحجاره (١٧) .

وعندما أعادوا بناءها قصروا عن بنائها القديم (١٨) وجعلوه أصغر مما كان منذ زمن ابراهيم ، وجعلوا الأساس في البناء ستة اذرع (١٩) .

(٩) ٢٧/١ ، ٦٧ .
(١٠) ٦٨/١ .
(١١) ٢٧/١ ، ٤٤ ، ٦١ ، وعندما قام الطالبيون بثورتهم في زمن الرشيد اخذوا ما في البئر ٦٣/١ .
(١٢) ٢٨/١ ، ٥٤ ، ٦٨ .
(١٣) ١٠٠/١ .
(١٤) ٢٨/١٣/١ ، ١٠٠ .
(١٥) ١٠١/١ .
(١٦) ١٠٢٨ .
(١٧) ١٣٨٠/١٧٤/١٠٩/١٠٢/١ .
(١٨) ١٤١/١ .
(١٩) ١٣٢/١ .

واستعملوا في بنائها خشباً من ركام سفينة كانت على الساحل وجعلوها مداميك : مدماك من ساج ومدماك من حجارة (٢٠) وكان الخشب مدماكاً والحجارة مدماكا (٢١) وكان الخشب الذي استعملوه في البناء قصيراً (٢٢) .

وجعلوا طولها عندما اعادوا بناءها عشرين ذراعاً لان الخشب الذي استعملوه كان قصيراً (٢٣) فتركوا منها في الحجر ستة أذرع وشبراً لان النفقة قصرت بهم (٢٤) .

وجعلوا ارتفاعها من خارجها من الارض الى أعلاها ثمانية عشر ذراعاً(٢٥) وكان قبل ذلك تسعة اذرع (٢٦) .

وجعلوا لها سقفاً(٢٧) ، كما جعلوا لها ست دعائم بصفين متوازيين (٢٨) وردوا الجب في مكانه مما يلي الشق الشامي ، ونصبوا هبل على الجب كما كما كان قبل ذلك (٢٩) .

وجعلوا لها باباً واحداً بمصراع واحد (٣٠) ويغلق (٣١) ورفعوا الباب عن الأرض حتى لايدخل عليها الابسلم ، وقالوا بذلك ، لايدخل عليكم الا من اردتم، فان جاء احد ممن تكرهون ميتم به فيسقط ، فكان نكالا لمن راه (٣٢)

وجعلوا درجة من خشب في بطنها في الركن الشامي يصعد منها الى ظهرها ، وزوقوا سقفها وجدرانها وبطنها ودعائمها ، وجعلوا في دعائمها صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة (٣٣) .

(٢٠) ١/١٠٤ .
(٢١) ١/١٣٥ .
(٢٢)
(٢٣) ١/١٣٥ .
(٢٤) ١/١٠٩ .
(٢٥) ١/١٣٦ ، ١٠٤ .
(٢٦) ١/٩٩ ، ١٣٦ .
(٢٧) ١/١٠٩ .
(٢٨) ١/١٣٧ ، ١٤١ .
(٢٩) ١/١٠٦ .
(٣٠) ١/١٣٧ .
(٣١) ١/١٠٤ .
(٣٢) ١/١٣٥ .
(٣٣) ١/١٠٤ ، وانظر ايضا .

وردموا الردم الأعلى وصرفوا السيل عن الكعبة وكسوها الوصائل (٣٤)

بناء عبد الله ابن الزبير .

ظل بناء الكعبة على ما وضعته قريش قبيل البعثة الى زمن حركه عبدالله ابن الزبير ، حيث اصابها عندما حوصر تخريب من ضرب المجانيق ، ومن نار وصلتها .

وكان ابن الزبير قد تحصن في المسجد الحرام . فنصب القائد الاموي الحصين بن نمير المجنيق على جبلى ابي قبيس والاحمر ، وهما اخشبا مكة ، فكان يرميهم بها فتصيب الحجارة والكعبة حتى تخرقت كسوتها عليها فصارت كانها جيوب النساء ، فوهنه الرمى بالمنجنيق (١)

ثم اصاب الكعبة شرارة من خيمة من يوم عاصف ، فاحترقت كسوة الكعبة واحترق الساج الذي فيه البناء (٢) وانصدع الركن بثلاث فرق (٣) ، حتى انها تنتقض من اعلاها الى اسفلها ، وتقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها وهي مجرده فتوهنه من كل جانب (٩)

فلما توقف القتال على اثر وصول خبر وفاه يزيد بن معاوية قرر عبد عبد الله بن الزبير ان يعيد بناءها فامر بهدمها حتى الصقها كلها بالارض من جوانبها جميعا ، وكان ذلك في منتصف جمادي الاخر من سنة ٦٤ ، وتم هدم الكعبة وتسويتها بالارض ، ثم كشف عن اساس ابراهيم وكان داخلا في الحجر نحوا من سته اذرع وشبرا (٥)

ثم وضع البناء على ذلك الاساس ، ووضع لها بابان ،باب الكعبة على مدماك على الشاذروان اللاصق بالارض ، شرقيا يدخل منه الناس ، وبابا

(٣٤) ١/١٠٩ ، ١٣٥ .

(أ) ١/١٣٢ .

(ب) ١/١٣٣ .

(ت) ١/١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٣٦ .

(ث) ١/١٣٣ .

(ج) ١/١٣٦ ، ١٤١ .

غربيا من ظهر الكعبة مقابلة يخرج منه الناس (٦) وجعل عتبته على الحجر الاخضر الطويل الذي في الشاذروان في ظهر الكعبة قريبا من الركن اليماني (٧) ولكل من بابيها مصراعين طول كل باب واحد وعشرين ذراعا من الارض الى منتهى اعلاه (٨) .

ولما بلغ البناء موضع الركن امر ابن الزبير بموضعه فنقر في حجرين ، حجر من المد ماك الذي تحته ، وحجر من المد ماك الذي فوقه بقدر الركن وطوبق بينهما (٩) .

وشد الركن بالفضة بعد ان كان قد تصدع من الحريق بثلاث فرق ، وكان طول الركن ذراعان قد اخذ عرض الجدار من مؤخر الركن داخله في الجدر ، مفرس على ثلاثة رؤوس (١)

وزاد في ارتفاعها تسعة اذرع اخرى فصار ارتفاعها في السماء سبعة وعشرين ذراعا ، وهي سبعة وعشرون مد ماكا ، وعرض جدارها ذراعان ، وجعل لها ثلاث داعامم .

وجعل لها رواشن على سقفها الضوء ، من رخام جلبه من صنعاء يقال له البلق . وجعل ميزابها يسكب في الحجر .

وجعل لها درجة في بطنها في الركن الشامي من خشب معرجة يصعد منها الى ظهرها (٢) ثم خلقها من داخلها وخارجها ، من اعلاها الى اسفلها ، وكساها القباطي (٣).

(ح) ١٣٦/١ ، ١٣٤ . (خ) ١٣٦/١ ، وانظر ايضا ١٤٥/١.
(ر) ١٣٦/١ ، ١٤١ ، ١٣٨ .
(ز) ١٣٧/١ ، ١٤١ وانظر عن الرواشن ١٩٧/١ .
(د) ١٣٦/١ . (ذ) ١٣٧/١ .
(س) ١٣٧/١ .

اعادة البناء في زمن عبدالملك بن مروان :

ولما قتل ابن الزبير واستقرت الخلافة لعبد الملك أمر الحجاج بن يوسف، وكان والياً على الحجاز ، بسد الباب الغربي الذي كان فتحه ابن الزبير وهدم ما كان زاد فيها من الحجر وردها الى ماكانت عليه . فهدم الحجاج منها ستة اذرع وشبرا مما يلي الحجر وبناها على أساس قريش الذي كانت استقصرت عليها وكبسها بما هدم منها ، وسد الباب الذي في ظهرها وترك سائرها لم يحرك منها شيئاً، فكل شيء فيها أصبح بناء ابن الزبير الا الجدار الذي في الحجر فانه بناء الحجاج ، وسد الباب الذي في ظهرها وما تحت عتبة الباب الشرقي الذي يدخل منه اليوم الى الأرض أربعة أذرع وشبر ، كل هذا بناء الحجاج .

ومن عمل الحجاج أيضاً الدرجة التي في بطنها اليوم والبابان اللذان عليها(٣٥).

وكان الحجاج نقص من الباب أربعة أذرع وشبراً ، وعمل لها بابين طولهما ستة أذرع وشبراً (٣٦) ثم زوّقها الوليد بالذهب .

وعمل الوليد بن عبد الملك الرخام الأحمر والأخضر والأبيض الذي في بطنها مؤزراً به جدرانها وفرشها بالرخام ، وجعل الجزعة . . في موضعها ، وجعل عليها طوقاً من ذهب ، فجميع ما في الكعبة من الرخام فهو من عمل الوليد بن عبد الملك ، وهو أول من فرشها بالرخام وأزر به جدرانها ، وهو أول من زخرف المساجد (٣٧)

الزخارف والمعاليق :

أمر الرسول (ص) بعد فتحه مكة بازالة ما كان في الكعبة من صور ورسوم ، كما أمر بتكسير صنم هبل ، وأبقى قرنى الكبش معلقين فيها :

وعنى الخلفاء بزخارفها وتقديم هدايا تحفظ فيها ، وذكر الازرقي

(٣٥) ١/١٣٧ — ٨ . (٣٦) ١/١٣٨ .
(٣٧) ١/١٣٩ .

تفاصيل ما قدمه كل خليفة ، فقد بعث الخليفة عمر بن الخطاب هلالين ، مما غُنِم من المدائن ، وعلّقها في الكعبة .

وبعث عبد الملك بن مروان شمستين وقدحين من قوارير ، وضرب على الاسطوانة الوسطى الذهب من أسفلها الى أعلاها صفائح .

وبعث الوليد بن عبد الملك بقدحين . إضافة الى ما قام به من زخرفتها وتذهيبها .

وبعث الوليد بن يزيد بالسريرين الزينبي وبهلالين .
وبعث الخليفة العباسي الأول أبو العباس بصفحة خضراء .
وبعث أبو جعفر المنصور بالقارورة الفرعونية .
ووضع هارون الرشيد في الكعبة قصبتين علقهما مع المعاليق .

وبعث المأمون ياقوتة تعلق في كل سنة بوجه الكعبة في الموسم بسلسلة من ذهب ، كما بعث سريرا من فضة مفروشا بالديباج ومكللا بالجواهر والياقوت والزبرجد .

وبعث المتوكل بشمسة عملها من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد بسلسلة من ذهب تعلق في وجه الكعبة في كل موسم (٣٨) .

وعلّق هرون الرشيد نسخة من توليته ولديه الامين والمأمون العهد .

وأمر المأمون بتعليق الكتاب الذي ارسله مع السرير (٣٩) .

وكانت الكعبة تكسى من الخارج ، وأول من كساها أسعد تبّع ، كساها الوصائل ثياب حبرة من عصب اليمن (٤٠) .

ثم تابع رجال قريش كساءها وتجميرها بالخلوق وكانت تكسى في عاشوراء (٤١) .

(٣٨) ١/١٤٧ ــ ١٤٨ .
(٣٩) ١/١٤٩ ــ ١٦١ .
(٤٠) ١/١٦٥ ــ ٦ .
(٤١) ١/١٦٧/١٦٩ .

وكساها الرسول (ص) الثياب اليمانية ، ثم كساها ابو بكر وعمر وعثمان القباطي .

وكساها عثمان كسوتين : احداهما من القباطي والثانية من الديباج ، واجرى لها بطيف من الطيب في الصلاة والخلوق في الموسم وفي رجب ، واحد منها عبيراً ، ثم اتبعت ذلك الولاة بعده (٤٢) .

وكساها يزيد بن معاوية ، ثم الحجاج بالديباج .

وكان جوف الكعبة يخلّق منذ زمن عبدالله بن الزبير الذي كان أول من خلّقها (٤٣)

وكان معاوية اول من طيب الكعبة بالخلوق والبخور ، واجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال (٤٤) .

وكانت الكعبة تكسى في كل سنة كسوتين : بالديباج يوم التروية وبالقباطي يوم عاشوراء .

ثم أمر المأمون ان تكسى بالديباج الابيض وبذلك صارت تكسى كسوات(٤٥).

وكان بعض الناس يكسونها بالانطاع والادم والالبسة (٤٦) .

وأمر عمرأن تنزع كسوة البيت في كل سنة وتقسم على الحاج (٤٧) .

وأما مفاتيحها فظلّت بعد الاسلام بيد عثمان بن طلحة الشيبي ونسله من بعده (٤٨) .

مقام ابراهيم :

من أبرز المعالم في المسجد الحرام هو المقام الذي ترجع مكانته الى زمن

---

(٤٢) ١/١٦٨ ، وانظر ١٧٤ .
(٤٣) ١/١٦٨ ، ١٧١ .
(٤٤) ١/١٦٩ .
(٤٥) ١/١٧٠ .
(٤٦) ١/١٧٣ ، ١٧٤ .
(٤٧) ١/١٤١ .
(٤٨) ١/١٧٧ – ١٧٩ .

ابراهيم الخليل ، ولذلك كان يسمى مقام ابراهيم ، وقد ذكر في القـرآن الكريم نصاً في آيتين فذكر عن البيت « فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ؛ (ال عمران ٩٧) « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى » (البقرة ١٢٥) .

ويذكر ابن اسحاق ان ابراهيم » عمد الى دوحة فوق زمزم في اعلا المسجد . . بين البير وبين الصفة فوضع اسماعيل وامه تحتها (٤٩) ويروى أيضاً ان أثر قدمىْ ابراهيم في المقام الى اليوم (٥٠) .

ويروى عن ابن عباس أنه وجد في المقام كتاب روى نصه وفي أوله ذكر أن هذا موقع البيت (٥١)

ويروى عبد الله بن حمزة السلولى ان ما بين الركن الى المقام قبر تسعة وتسعين نبيا جاؤوا حجاجاً فدفنوا هناك (٥٢) .

ويروى ابن اسحاق أن ابراهيم أمر بالمقام فوضعه قبلة ، فكان يصلي اليه مستقبل الباب فهو قبلة الى ما شاء الله (٥٣) .

والمقام حجر رخو شبه السنان (٥٤) ، مربع الشكل أبعاده من أعلاه ومن أسفله ١٤ × ١٤ اصبعا(٥٥) وقد تعرض بسبب هشاشته الى التفكك في زمن الاسلام . ولما علم الخليفة المهدي بذلك بعث الف دينار فضبب بها أسفله وأعلاه . ثم جعـل المتوكل فوق الذي كان عمله المهـدي طوقاً اضافياً (٥٦) .

(٤٩) ١٩/١ ، ٢٣ ، ٢٤/٢ .
(٥٠) ٢٩/١ .
(٥١) ٣٧/١ .
(٥٢) ٣٠/١ ، ١٠٧/٢ .
(٥٣) ٢٣/٢ .
(٥٤) ٢٨/٢ .
(٥٥) ٢٩/٢ .
(٥٦) ٢٨/٢ ، ٢٩ .

ويبعد المقام عن الركن الأسود ٢٩ ذراعا وتسع اصابع ، وعن جدر الكعبة من وسطها سبع وعشرون ذراعا وعن شاذروان الكعبة ٢٦ ذراعا

وعن الركن الشامي ٢٨ ذراعا و ١٩ اصبعا

وعن المقام الى حد المسجد الذي يلي المسعى ١٨٨ ذراعا

وعن الجدار الذي يلي باب جمح ٢١٨ ذراعا

وعن الجدار الذي يلي باب الصفا ١٦٤ ذراعا ونصف ذراع

ويبعد عن زمزم ٢٤ ذراعا (٥٧)

وعن الصفا ٢٧٧ ذراعا (٥٨)

وعندما سيطر مضاض بن عمرو كان حوزه وجه الكعبة والركن الأسود والمقام وموضع زمزم مصعداً يميناً وشمالا ومتقعان الى اعلى الوادي (٥٩)

وعندما ارادت قريش قبيل ظهور الاسلام بناء الكعبة وظهرت لهم حية منعتهم من ذلك فاعتزلوا عند المقام (٦٠) .

غير انهم عندما هدموها لاعادة بنائها نقلوا هبل ونصبوه عند المقام (٦١)

تعرض المقام الى سيول كانت احياناً تدفعه عن موضعه ، وربما تحته الى وجه الكعبة (٦٢) ، غير انه ظل مثبتاً في مكانه في الجاهلية والاسلام (٦٣)

وكان اقوى سيل في الاسلام هو السيل المسمى بأم نهشل في زمن خلافة عمر بن الخطاب حيث دخل المسجد الحرام وجرفه الى اسفل مكة، وعفى مكانة الذي كان فيه ، فأخذوه وربطوه بلصق الكعبة (٦٤)

(٥٧) ٢/٦٨ – ٦٩ .
(٥٨) ١/٩٦ .
(٥٩) ١/٤٢ .
(٦٠) ١/٤٤ ، ١٠٢ .
(٦١) ١/١٠٢ .
(٦٢) ٢/٢٥ .
(٦٣) ٢/٢٧ .
(٦٤) ١/١٣٥ ، ٢/٢٦ .

فقدم عمر ورده الى موضعه بمحضر الناس « واعلم ببناء ربطه تحت المقام ، ثم حوله فهو في مكانه الى هذا اليوم (٦٥) .

اشار القرآن الكريم الى ان المقام كان مصلى « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى »

وعندما قدم الرسول (ص) مكة ، كان يصلى الى المقام كلما كان بمكة (٦٦) وفي زمن الاسلام كانت الصلاة عادة خلف المقام (٩٧) .

« وكان الناس يقومون قيام شهر رمضان في اعلا المسجد الحرام ، وتركز حربة خلف المقام بربوة ، فيصلى الامام خلف الحربة والناس وراءه ، فمن اراد صلى مع الامام ومن اراد طاف بالبيت وركع خلف المقام (٦٨) .

زمـــزم :

بئر زمزم من أبرز المعالم في الحرم ، ويرجع حفره الى زمن ابراهيم الخليل عندما وضع زوجته هاجر وابنه اسماعيل في المسجد الحرام ، فوجدوا دوحة حفرت بقربها فظهر الماء (٦٩)

ثم نضب ماؤها عندما سيطرت جرهم على مكة حتى غبى مكان البئر ودرس (٧٠) فقام مضاض بن عمرو (فحفر في موضع بئر زمزم وأعمق ، ثم دفن فيه الأسياف والغزالين ٢٢ ، وقد يدل هذا على ان حفر مضاء كان غرضه إيجاد مستودع لبعض الهدايا ، وليس لانباط مائه (٧١) .

(٦٥) ٢٦/٢ ، ٢٧ .
(٦٦) ٧١/١ ، ٢٤/٢ .
(٦٧) ٧/٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٥٢ ، ٩٢ ، وانظر تفسير الطبري ٣١/٣ ، ٣٥ طبعة احمد محمد شاكر .
(٦٨) ٥٢/٢ .
(٦٩) ١٩/١ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٣٠/٢ ، ٣١ .
(٧٠) ٤٠/١ ، ٣٢/٢ .
(٧١) ٤٠/١ ، ٣٢/٢ .

وعندما سيطرت خزاعة على مكة كان موضع زمزم لايعرف لتقادم الزمان(٧٢)

وكان مكانها بين اساف ونائلة(٧٣)

وعندما رأس عبد المطلب قام بحفر البئر حتى أنبط الماء في القرار ، ثم فجرها حتى لاينزف ، ثم بنى عليها حوضا يشرب منه الحاج (٧٤) فعفت على آبار مكة كلهـا لمكانها من البيت والمسجـد وفضلها على ما سواها من المياه ، ولأنها بئر اسماعيل بن ابراهيم في الموضع الذي ضرب عليه جبريل برجله (٧٥)

وقد لقي عبد المطلب معارضة من البعض فكان « يكسره ناس من حسدة قريش بالليل فيصلحه عبد المطلب حين يصبح(٧٦)

ونقل عبد المطلب الغزالين والسيوف التي كان قد وضعها عمرو بن لحى ، فوضع الغزالين وأحد السيفين على باب الكعبة ، ووضع السيف الثاني في الجب الذي في باطن الكعبة .

وظل فيه الى ان نقله القرامطة عندما غزوا مكة(٧٧)

وكان ماؤها فيه غلظ(٧٨) ، وكانت تسمى في الجاهلية شباعة(٧٩) ولما حفرت زمزم كثرت المياه بمكة « حتى يروى القاطن والبادى ودنت لها بكر وخزاعة فارتووا منها لاتنزح(٨٠)

---

(٧٢) ٣٢/١ . (٧٣) ٣٤/١٢ .
(٧٤) ٣٢/٢ ، ٣٣ ، ٦٥/١ . (٧٥) ١٠٧/٢ .
(٧٦) ٤٨/٢ .
(٧٧) ٤٨/٢ — ٩ (في رواية اخرى ان عمقها ستون ذراعا .
(٧٨) ٤٣/٢ . (٧٩) ٤٨/٢ .
(٨٠) ٤٨/٢ — ٩ ، ٨١ .

وكان ماؤها يزيد ويعذب إثر سقوط الإمطار الغزيرة كالذي حدث سنة ٢٨١(٨١)

والمسافة بينها وبين الركن الاسود أربعون ذراعاً ، وبينها وبين الركن الذي فيه الحجر الاسود ست وثلاثون ذراعاً ونصف(٨٢) وما بين الركن الى المقام الى زمزم الى الحجر قبور يقال إنها لعدد من الانبياء(٨٣) وفي قعرها ثلاث عيون عين حذاء الركن الاسود ، وعين حذاء أبي قبيس والصفا ، وعين حذاء المروة(٨٤)

وكان غورها من رأسها الى الحبل اربعين ذراعا ، كله بنيان ، وما بقى فهو جبل منقور وهو تسعة وعشرون ذراعاً ، وذرعه في السماء ذراعان وشبر(٨٥) . وهي أرفع من المسجد(٨٦)

وقد تناقص ماؤها في زمن الاسلام ، فجرى تعميقها في زمن كل من المهدي والرشيد ووصل الماء اقله في سنة ٢٢٣ ، فجرى تعميقها تسعة اذرع ، وزيد في تقوير جوانبها(٨٧)

وسعة فمها ثلاثة اذرع وثلثا ذراع ، وتدويره من الخارج ١٥ ذراعاً ومن الداخل احد عشر ذراعاً وعليه ملبن ساج مربع فيه اثنتا عشرة بكرة يستقى عليها .

وفرش ابو جعفر أرضها بالرخام ، ثم جدده المهدي (٨٨)

كان لزمزم في الزمان الاول حوضان أحدهما بينها وبين الركن يشرب منه . والثاني من ورائها له سرب يذهب فيه الماء من باب الصفا حيث يتوضأ الناس ، ويصب الزائد من الماء في بئر ، ولم يكن عليها شباك .

---

(٨١) ٢/٤٧ .
(٨٢) ٢/٢٦ .
(٨٣) ٢/٣١ .
(٨٤) ٢/٤٨ .
(٨٥) ٢/٤٨ – ٤٩ .
(٨٦) ٢/٤٩ .
(٨٧) ٢/٨٢ .
(٨٨) ٢/٨٣ .

وكان موضع السقاية بين الركن وزمزم مما يلي ناحية الصفا الى أن نحاها ابن الزبير(٨٩)

وكان موضع مجلس ابن عباس في زاوية زمزم التي تلي الصفا والوادي ، على يسار من دخل زمزم وقد عمل سليمان بن علي على هذا المجلس قبة ، ثم عمل المهدي القبة التي على الصفحة التي بين زمزم وبين الشراب ، وهي في موضع الدوحة التي انزل ابراهيم ابنه اسماعيل وأمه هاجر تحتها(٤)

وتبعد الحجرة عن وسط جدار الحوض واحداً وثلاثين ذراعاً ونصف ذراع.

أما سقاية العباس عبدالمطلب فهى بحيال الحوض ، تربطها بالحوض قناة رصاص طولها ستة أذرع ، يصب فيها الى الحوض الذي فيه القبة ايام الحج ، ثم نقضت في زمن المهتدى وجعل فيها بركة صغيرة يخرج فيها الماء من الفوارة التي في بطنها ، وجعل عليها شباك من خشب بأبواب تغلق (٩٠)

وسقاية العباس تسعة عشر ذراعاً ، فيها أربعة أساطين بينها ألواح ساج ، وأرتفاعها ثمانية أذرع(٩١) .

وتبعد سقاية العباس من وسطها الى الجدار الذي يلي المسعى مائة ذراع ، والى الجدار الذي يلي باب جمح مائين وتسعين ذراعا ، والى جدار دار الندوة مأتتي ذراع ، والى الوادي خمسة وثمانين ذراعا(٩٢)

وكان لها بابان باب حيال الكعبة والآخر من الجدر الذي يلي الوادي ، وفيها ستة أحواض ، منها ثلاثة طول كل منها خمسة اذرع ونصف وعرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة اذرع ونصف ، وثلاثة اخرى ارتفاع كل منها ذراع ونصف ، يملى كل منها حوض من أدم ويجري من قناة تتصل بحجرة زمزم

(٨٩) ٦٩/٢ .
(٩٠) ٨١/٢ ، ٤٩ .
(٩١) ١٧٦/٢ ، ١٧٩ .
(٩٢) ٨٠/٢ .

ثم اعاد بناءها عمربن فرج في زمن المعتصم وسقفها بالساج المذهب من داخلها وجعل عليها من ظهورها الفسيفساء ، واشرع لها جناحاً صغيراً كما يدور تربيعها ، وفيه سلاسل فيها قناديل يستصبح بها في الموسم وكانت القبة التي بين زمزم وبين الشراب مكشوفة تزوق في كل موسم فجعل عليها عمر ابن فرج الفسيفساء (٩٣)

ووضع مطعم بن عدى حوضاً من أُدم الى جنب زمزم يسقى فيه من بئر(٩٤)

وبالقرب من زمزم حوض ارتفاعه تسعة عشر اصبعا وعرضه ثمانية عشر اصبعا وسعته اثنا عشر ذراعا وتسع أصابع ، وتدوير الحوض من داخل تسع وثلاثون ذراعاً وجداره ملبس رخاماً ، عرضه ذراع واربعة اصابع ، وهو مفرش بالرخام ثم جعله عمر بن فرج بحجر مفجرى(٩٥)

وعلى زمزم حجرة ساج تسقف الحوض ، ارتفاع بابها ثلاثة أذرع وعرضه ذراعان ، وهي مفروشة بالرخام بينها وبين حد البئر أربعة اذرع عليها أربعة أساطين زجاج عليها ملبن ساج مربع فيه اثنتا عشرة بكرة يستقى عليها الماء ، وفي حد مؤخرة مما يلي الوادي ظلة ساج للتعليم

وفي حدها اسطوانة ساج مستقبل الركن الذي فيه الحجر الاسود فوقها قبة من شبَه يسرج فيها بالليل لاهل الطواف يقال له مصباح زمزم(٩٦)

• • •

(٩٣) ٨٠/٢ .
(٩٤) ٨١/٢ .
(٩٥) ٤٩/٢ .
(٩٦) ٤٩/٢ .

المسجد الحرام

تقع الكعبة والمقام وزمزم في ساحة كانت مكشوفة هي المسجد الحرام ، وهي مقدسة منذ ازمنة موغلة في القدم(١) وكانت تمتد من الحزورة جنوباً الى سيل أجياد (٢) والمسعى(٣) ، ولم يكن حولها حائط أو سياج يحدها ، وانما كانت في أطرافها رباع العشائر ودور بعض المتنفذين ، ولا بد ان البعض ، وخاصة المتنفذين تجاوزوا على أطراف هذه الساحة وبنوا على هذه الاطراف مساكنهم فاصبح « المسجد ضيق ليس بين جدر المسجد وبين المقام الا شيء يسير ، ولم يكن له سياج يحيطه وانما جدراته جدرات الناس(٤) » ليس عليه جدرات محاطة ، وانما كانت الدور محدقة به من كل جانب ، غير ان بين الدور أبواباً يدخل منها الناس من كل نواحيه (٥)

وعندما جاء الاسلام اصبحت هذه الساحة المسجد الوحيد في مكة ، فكانت تضيق بالمصلين مما حمل الخلفاء على توسيعها بضم بعض البيوت في اطرافها اليها ، وكان أول توسيع لهـا في زمن خلافه عمر بن الخطاب ، ثم تلاه توسيع ثان في زمن خلافة عثمان (٦) لم يحدد المؤرخون جهته وسعته .

ثم تلا ذلك توسيع في زمن كل من عبدالله بن الزبير والوليد بن عبد الملك ، وأبي جعفر المنصور ، والمهدي ، والرشيد، وفيما يلي وصف ماكان حول المسجد من بيوت ، وما دخل منها في التوسيعات .

ظل المسجد على وضعه الى أن أعلن عبد الله بن الزبير حركته ، وكان مما قام به توسيع المسجد في جهته الشرقية ، فأضاف اليه بعض دار الأزرق ، ثم أشرعه على الوادي مما يلي الصفا وناحية بني مخزوم ومضى به مصعداً

(١) ١/١٥ ، ١٨ .
(٢) ٢/٥٠ .
(٣) ٢/٤٩ .
(٤) ١/١٩٣ .
(٥) ٢/٥٤ .
(٦) ٢/٥٥ .

من وراء بيت الشراب تاركاً بين هذا البيت وحائط المسجد سبعة أذرع ، ثم ردّه الى باب دار شيبة بن عثمان(٧) .

وقام عبد الملك برفع جدران المسجد وسقفه بالساج وعمّره عمارة حسنة ، ثم نقض الوليد عمل عبدالملك وعمله عملا محكماً ، ونقل اليه أساطين الرخام ، وسقّفه بالساج المزخرف وزخرف الطيقان بالفسيفساء وكسا بصفائح الصفر ، وجعل له شرافات ، ولكنه لم يزد في توسيعه(٨) .

وقام أبو جعفر المنصور بتوسيعه ، فزاد في شقه الشمالي الذي يلي دار العجلة ودار الندوة ، وأدخل فيه أكثر دار الندوة وبعض دار شيبة وكان ذلك في سنة مائة واربعين (٩) .

وفي سنة مائة وستين حج المهدي وأمر بأن يزاد في أعلى المسجد ، فأدخل ما بقي من دار الازرق ودار خيرة بنت سباع الخزاعية ودار لآل جبير بن مطعم ، وبعض دار شيبة بن عثمان ، وجعل المسجد شارعاً على المسعى دون أن يزيد فيه (١٠) .

وفي سنة مائة واربع وستين أمر المهدي فحوّل الوادي وهدمت الدور بينه وبين المسجد ، وأدخل المسعى والوادي وما كان بين الصفا والوادي في المسجد فزادوا فيه من جهة الوادي تسعين ذراعاً ، وكان عرضه قبل ذلك قرابة خمسين ذراعاً (١١) .



(٧) ٢/٥٦ .
(٨) ٢/٥٧ .
(٩) ٢/٥٨ — ٥٩ .
(١٠) ٢/٥٩ .
(١١) ٢/٦٣ — ٦٤ .

عَبدالعَزيز بن مُوسى بن نُصَير اللَّخمي (١)
فاتح شطر الاندلس

اللواء الركن محمود شيت خطاب
(عضــو المجمع)

نسبه وايامه الاولى

هو عبد العزيز بن موسى بن نُصَيْر بن عبد الرحمن بن زيد (٢) من بني لَخْم (٣) ، ويقال إنّه مولى لَخْم (٤) ، وقيل : إنّه من أراشَة من بَلِيّ (٥) ، وقيل : من بَكْر بن وائل (٦) ، ويذكر أولاده أنّه من بكر بن وائل ، وغيرهم يقول : إنّه مولى (٧) .

---

(١) ورد اسم ابيه : موسى بن نصير اللخمي في المعارف (٥٧٠) واليعقوبي (٢٢/٣) والبداية والنهاية (١٧١/٩) ورياض النفوس (٧٧/١) . ولخم : هو مالك بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد ، انظر جمهرة انساب العرب (٤٢٢) ، وهم من بنى سعد العشيرة بن مذحج من سبأ ، انظر جمهرة انساب العرب (٤١٠ ــ ٤٢٢) ، وانظر بطون لخم في جمهرة انساب العرب (٤٧٧) .

(٢) البيان المغرب (٣٢/١) .

(٣) بغية الملتمس (٤٥٧) ونفح الطيب (٢٥٤/١) وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس (١١٤/٢) والنجوم الزاهرة (٢٣٥/١) .

(٤) بغية الملتمس (٤٥٧) وتاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس (١٤٤/٢) وجذوة المقتبس (٣١٧) ووفيات الاعيان (٤٠٢/٤) والولاة والقضاة (٥٢) .

(٥) البلاذرى (٢٤٨) ، وأراشة بن عبيلة بن قسميل بن فران بن بلى بن عمرو ابن الحافى بن قضاعة ، انظر التفاصيل في جمهرة انساب العرب (٤٤٢) .

(٦) نفح الطيب (٢٣٤/١) والبيان المغرب (٣٢/١) .

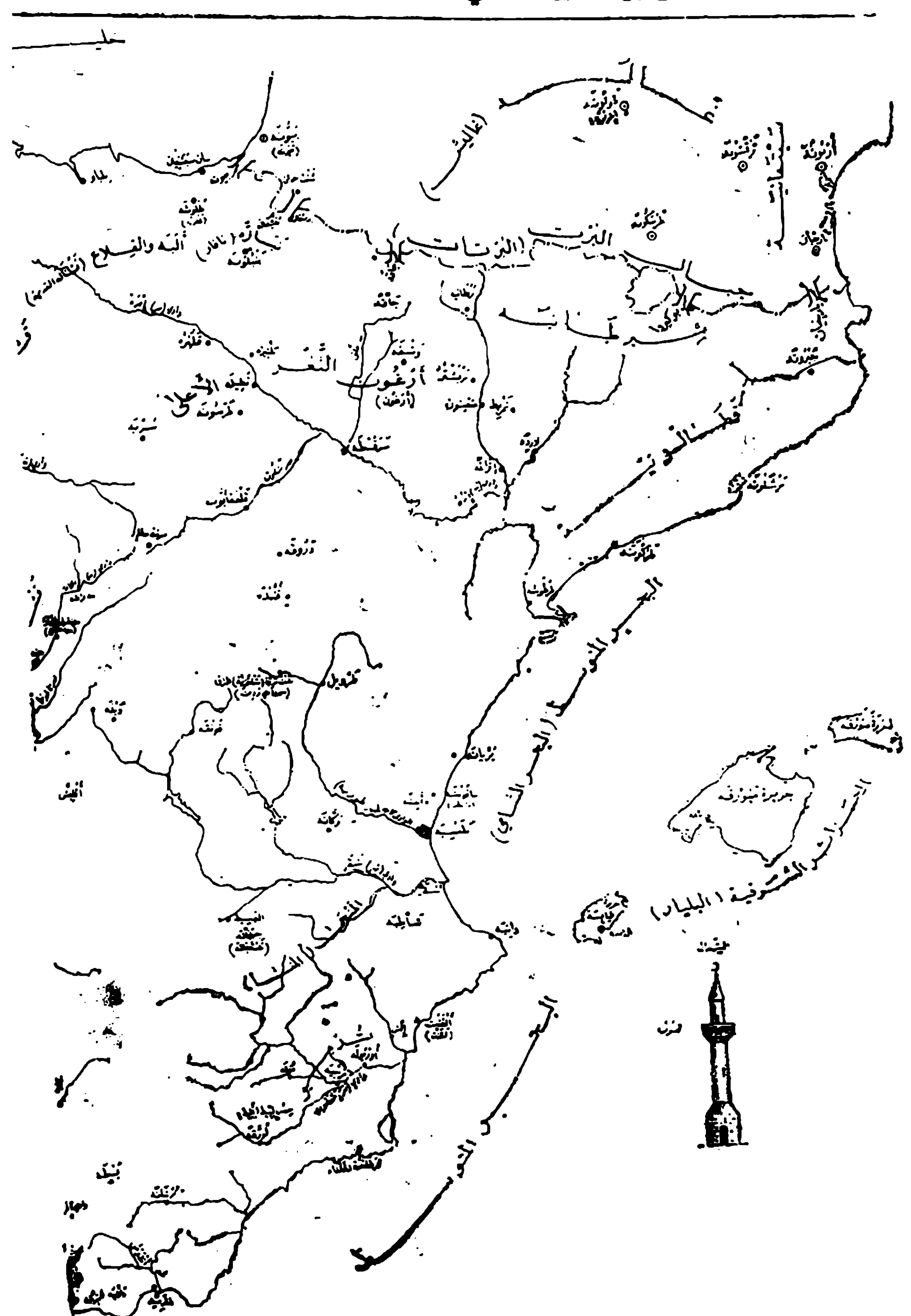
(٧) جمل فتوح الاسلام ــ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم الاندلسى (٣٤٤) .

وادّعاء أولاده واحفاده ، بأنه من بَكر بن وائِل ، بعد أن استقرّوا وملكوا وتأثلّوا ، في وقت كان فيه الفخر بالنسب سمة العصر ، عصر بني أميّة ، قد يؤخذ الدعاوة لهم بالنّسب المُفَضّل لابمأخذ تقرير الواقع . كما أنّ ادّعاء مَن كان عليهم لا معهم بأنهم موالى ، كان نتيجة لتعالي أولاد عبد العزيز بالنسب المفتعل ، فهو ردّ فعل تلقائيّ لهذا التعالي الموهوم ، فلا يُؤخذ به ولا يُصَدَّق ، لأنّ دوافعه عاطفيّة لا واقعيّة .

إنّه عربيّ (٨) من بني لَخْم ، أبوه موسى بن نُصَيْر اللَّخميّ (٩) فاتح الأندلس المشهور ، وكان والياً على إفْرِيْقِية والمغرب من أواخر سنة خمس وثمانين الهجريّة (٧٠٤ م) أو أوائل سنة ست وثمانين الهجريّة (٧٠٥ م) ، كما شغل عدّة مناصب إدارية وقياديّة قبل ذلك ، تدل على أنّه كان قريباً من بني أُميّة ومَن يعمل معهم في الادارة والقيادة .

ولم يكن جَدُّه نُصَير ، بعيداً عن مراكز السّلطة في الادارة والقيادة أيضاً ، وأصله من سبايا بلدة عَيْن التّمر (١٠) الذين سباهم خالد بن الوليد سنة اثنتي عشرة الهجريّة (٦٣٣ م) ، فقد وجد خالد أربعين غلاماً يتعلّمون الانجيل . عليهم باب مغلق ، فكسره عنهم وقال : « وما أنتم ؟ ! » ، فقالوا : «رُهُن ! » ، منهم نُصَيْر أبو موسى بن نُصَيْر ، فقسّمهم خالد في أهل البلاد (١١) ؛ فأصل عبدالعزيز من عين التّمر (١٢) . وقد اعتق نُصيراً

(٨) البلاذرى (٢٤٨) والنجوم الزاهرة (١/٢٣٥) .
(٩) انظر سيرته المفصلة في كتابنا ، قادة فتح المغرب العربي (١/٢٢١ — ٣٠٩) .
(١٠) عين التمر : بلدة قريبة من الانبار (مدينة الفلوجة على الفرات القريبة من بغداد في غربيها) غربي الكوفة ، بقربها موضع يقال له : شفاثا معروف اليوم . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٥٣) .
(١١) الطبري (٢/٥٧٧) وانظر ابن الاثير (٢/١٥١) .
(١٢) البداية والنهاية (٩/١٧١) .


البحر الرومي (البحر الشامي)
الجزائر الشرقية (البليار)
جزيرة ميورقة

بعض بني أميَّة ، فرجع إلى الشّام (١٣) ، ثم أصبح من حرس معاوية بن أبي سفيان (١٤) ، ثمّ أصبح على حرس معاوية ، (١٥) وعلى جيوشه (١٦) ، وكانت منزلته عند معاوية مكينة . ولما خرج معاوية لقتال عليّ بن أبي طالب ، لم يخرج معه نُصير ، فقال له معاوية : « ما منعك من الخروج معي ، ولي عندك يد لم تكافئني عليها ؟ » ، فقال : « لم يمكني أن أشكرك بكفري مَنْ هو أولى بشكري منك ! » ، فقال : « ومَنْ هو ؟ » ، فقال : « الله عزّ وجلّ » ، فأطرق معاوية مليّاً ، ثمّ قال : « أستَغفر الله » ، ورضى عنه (١٧) .

ولا نعلم متى وُلِد عبدالعزيز بن موسى ، فالمصادر المتيسِّرة سكتت عن تاريخ مولده ، كما سكتت عن أيامه الأولى ، ولكنّا نستطيع أن نستنتج : كيف نشأ وترعرع واستوى على عوده شاباً يشقّ طريقه في الحياة ، بالمقارنة مع لِداته في عصره ، الذين عاشوا في بيئة مشابهة من الناحية الاجتماعية لبيئته العامة في مجتمعه العربيّ الاسلامي ، ولبيئته الخاصة في أسرته القريبة من بني أُميّة ذوي الجاه والسّلطة ، التي يتولى فيها أبوه موسى المراكز الإدارية والقيادية المرموقة ، والذي كان يتولى فيها جدّه نُصَير المراكز الادارية والقيادية أيضاً ، فهو وأمثاله يُربّون تربية تفيد عقولهم بالعلم وتفيد أبدانهم بالتدريب العسكري ، ويخالطون العلماء والقادة والاداريين عن كثب ، فيتلقّون منهم عصارة تجاربهم في الحياة ، ويتعلّمون منهم كيف يواجهون المعضلات وكيف يجدون الحلول الناجعة لها . فاذا أصبحوا كفاية وعُمْراً قادرين على العطاء ، أُعطيت لهم الفُرص لابداء كفايتهم في ميدان الادارة أو في ميدان القيادة ،

(١٣) البلاذرى (٢٤٨) ومعجم البلدان (٧/٢٦٧) .
(١٤) ابن خلدون (٤/١٨٧) .
(١٥) وفيات الاعيان (٤/٤٠٢) ونفح الطيب (١/٢٢٤) .
(١٦) نفح الطيب (١/٢٢٤) .

أو في الميدانين معاً ، فأما الزبَد فيذهب جُفاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، فما كلّ مَن عمل في الادارة لمع في الادارة ، ولا كلّ مَن عمل في القيادة أصبح قائداً فاتحا .

لقد نشأ عبدالعزيز وترعرع وشبّ في ظروف ملائمة كلّ الملاءمة لاستكمال مزاياه الشخصية ، فأبوه وجدّه من المقرّبين للبيت الأُمويّ المالك ، وظروف والده الادارية والقيادية بخاصة لا تخلو من مشاكل صعبة ، تُعين على التّعلم النّظري والتدريب العملي .

وكان التّعليم النّظريّ ، لاستيعاب العلوم المتيسِّرة السّائدة حينذاك ، ميسوراً لأبناء الاداريين والقادة الكبار ولغيرهم من الناس ، إذ كان العلماء وقتذاك يعتبرون التعليم والتّعلم من أجلّ العبادات . لذلك نشأ عبدالعزيز ليتعلّم علوم القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف ، ويدرس التاريخ والسِّيَر وأيام العرب قبل الاسلام وبعده ، ويُتقن علوم اللغة ويتلقّى فنون الآداب شعراً ونثرا ، ويتعلّم الحساب والهندسة وتقويم البلدان .

كما أنّ التدريب العمليّ بالممارسة ، كان ميسوراً له في القضايا السياسية والادارية والعسكرية ، فهو إلى جانب والده الذي كان على المغرب وافريقية إدارياً وقائداً ، وعلى الأندلس إدارياً وفاتحاً ، يسمع ويرى كيف تُعطى القرارات الخطيرة وكيف تُعالج المشاكل الصّعبة .

كما تدرّب عملياً على الفنون العسكريّة : ركوب الخيل ، والرّمي بالسّهام ، والضّرب بالسيوف ، والطعن بالرِّماح ، والسباحة ، وتحمّل المشاق سيراً وجدّاً وجوعاً وعطشا ، وهو ما نُطلق عليه في المصطلحات العسكرية الحديثة : التّدريب العنيف .

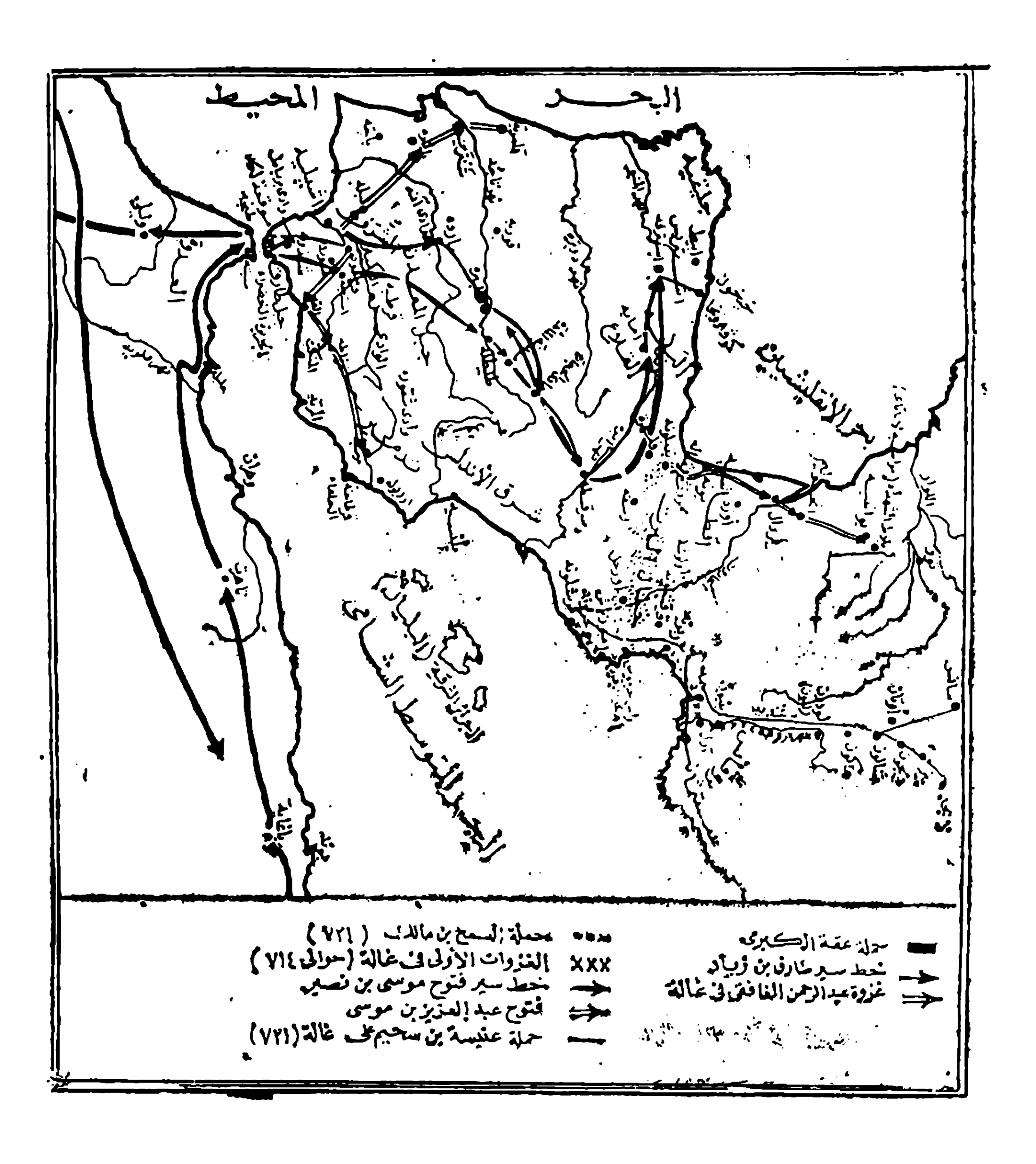
ولكن هذا التدريب العملي عسكرياً لا يكفي وحده ، لأنّه تدريب فَرْدِيّ ، فلابدّ من تلقّي التدريب الاجمالي ، وهو ممارسة الجهاد جندياً

وقائداً في ساحات القتال ، ليطبّق ما تعلّمه من تدريب فرديّ ، على القتال بصورة عمليّة ، وهذا ما نطلق عليه اليوم تعبير : تطعيم المعركة ، إذ لا فائدة من التدريب الفردي إلاّ إذ طُبّق عملياً في التدريب الاجمالي ، وأفضل أنواع التدريب الاجمالي هو القتال الفِعْليّ .

وكما تدرّب على الفنون العسكريّة العملية ، تدرّب كذلك على الفنون العسكرية النّظرية : أساليب القتال ، والقضايا التّعبويّة ، واختيار المعسكرات ، وطرق الدّفاع والهجوم والانسحاب والمطاردة ، ومعالجة الأمور العسكريّة في الميدان ، والقضايا الاداريّة . ويبدو لي أنّ هذه الفنون العسكرية النظرية لم تكن مكتوبة يومذاك في صفحات أو كتاب كما نعرفه اليوم ، بل كانت معروفة بالتجربة العمليّة ، يتلقاها أصحاب الرغبة فيها من الفتيان ، من أصحاب الخبرة فيها من المجاهدين والفرسان ؛ وكما كان كثير من الاداب والعلوم والفنون ، تُحفظ عن ظهر قلب ويلقّنها العالمون بها للمتعلمين ، كذلك كانت علوم العسكرية وآدابها وفنونها تحفظ عن ظهر قلب ، ويلقّنها العالمون بها الممارسون لها والمجرّبون . للمتعلّمين في المجال النظري والعملي ، وبهذا الشّكل كانت تسير أمور التّعليم والتدريب العسكريّين في القرن الأول الهجريّ ، قبل تدوين العسكرية العربيّة الاسلامية من بعد ذلك كما هو معروف .

وقد طبّق عبدالعزيز الفنون العسكريّة النظريّة عملياً في ميدان الجهاد . وبذلك جمع التدريب الفنيّ النظري والعملي . ووضع معلوماته العسكريّة النظريّة في حيّز التنفيذ .

ولعلّ مما زاد في فرصه تعليماً وتدريباً ، هو تلقّي علومه وتدريباته في كنف والده القائد الاداريّ اللامع موسى بن نصير . وبخاصة بعد تولي موسى إفريقية والمغرب في اواخر سنة خمس وثمانين الهجريّة أو في أوائل سنة ست وثمانين الهجرية ، حيث شهد فتوح موسى في المغرب ، فلما عبر موسى


المحيط
البحر
بحر الإنقلشيين
شرق الأندلس
حملة عقبة الكبرى
خط سير طارق بن زياد
غزوة عبد الرحمن الغافقي في غالة
حملة السمح بن مالك (٧٢١)
الغزوات الأولى في غالة (حوالى ٧١٤)
خط سير فتوح موسى بن نصير
فتوح عبد العزيز بن موسى
حملة عنبسة بن سحيم على غالة (٧٢١)

إلى الأندلس في رمضان من سنة ثلاث وتسعين الهجريّة (٧١٢ م) ، ازدادت فُرص عبدالعزيز التعليمية والتدريبية عملياً في الفتوحات ، حتى إذا نضج وأصبح قادراً على تولي مهام القيادة ، ولاه أبوه موسى منصباً قيادياً ، فأضاف بقيادته فتحاً جديداً على فتوح طارق بن زياد وفتوح والده موسى ابن نصير .

وظلّ عبدالعزيز في كنف والده موسى الذي كان قائداً عاماً في الأندلس وإفريقية والمغرب ، وكان عبدالعزيز في تلك المدّة قائداً مرءوساً لوالده موسى ، فلما استُدعي موسى وطارق بن زياد من الأندلس إلى دمشق ، خلّف موسى ابنه عبدالعزيز على الأندلس (١٨) وكان ذلك في ذي الحجة من سنة خمس وتسعين الهجرية (١٩) (٧١٤م) ، فأصبح والياً على الأندلس وقائداً عاما على قوات المسلمين فيها (٢٠) .

ولم نجد لعبدالعزيز نشاطاً في القيادة او الادارة أيام كان مع أبيه في إفريقية والمغرب ، وظهر نشاطه في القيادة اولا بعد العبور الى الاندلس مع أبيه ، ثم ظهر نشاطه في القيادة والادارة معاً بعد رحيل والده موسى عن الاندلس ، مما يدلّنا على أنه كان في إفريقية والمغرب صغيراً على المناصب القيادية والادارية

---

(١٧) وفيات الاعيان (٤٠٢/٤) ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢٢٤/١ ـ ٢٢٥) .

(١٨) ابن الاثير (٢١٥/٤) ، وفي فتح المغرب (٢٨٠) : ان موسى خرج الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين ، ويحدد الرازى تاريخ خروجه من افريقية الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين ، انظر نفح الطيب (٢٥٩/١) وكذلك في النجوم الزاهرة (٢٦٦/١) ، وذكر عبدالملك بن حبيب أن موسى دخل الاندلس في جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ، انظر نفح الطيب (٢٣١/١) .

(١٩) نفح الطيب (٢٣٥/١) .

(٢٠) تاريخ افتتاح الاندلس (٣٦) واخبار مجموعة (١٩) والبيان المغرب (٣٠/٢) .

فأصبح في أيام عبوره الى الأندلس في عـُمـْر يناسب تولي المناصب الادارية والقيادية ، فمن المحتمل أن يكون عمره سنة ثلاث وتسعين الهجرية قد جاوز العشرين على الأقل .

لقد تهيّأ لعبدالعزيز : العلم المكتسب ، والتجربة العمليّة ، فآتت ثمراتها في مناصبه التي تولاّها قائداً وإدارياً .

الفاتح

١ ـ فتح اشبيلية(١) ثانيـة :

رافق عبدالعزيز أباه موسى بن نُصَيْر في عبوره إلى الأندلس ، وكان معه في فتوحه الأندلسيّة ، فلما كان موسى محاصراً مدينة مَارِدَة (٢٢) ، ثار عجم (٢٣) إشبيلية وارتدّوا وقاموا على مَن فيها من المسلمين . وتجالب فلّهم من مدينة لَبْلَة (٢٤) وبَاجَة ، وقتلوا من المسلمين نحو ثمانين

---

(٢١) اشبيلية : مدينة كبيرة عظيمة بالاندلس ، ليس بالاندلس أعظم منها ، وبها قلعة ملك الاندلس ، وهى قريبة من البحر ، وهى على شاطىء نهر ويطل عليها جبل الشرف ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٥٤) .

(٢٢) ماردة : كورة واسعة من نواحي الاندلس ، ولها حصون وقرى ، انظر معجم البلدان (٧/٣٦٠) .

(٢٣) عجم اشبيلية : هم القوط الغربيون ، وهم قسم من القوط ، وجماعة رئيســة من الجرمان ، انفصلوا من القوط الشرقيين في أوائل القرن الرابع الميلادى ، وقد توغلوا في شمالى اسبانيا ، ثم وسعوا ممتلكاتهم الاسبانية على حساب الوندال . وأخيرا أصبح تاريخ القوط الغربيين في صميمه هو تاريـخ اسبانيا ، واعتنقوا الكاثوليكية واندمجـوا مع الاسبان ، وكان اخر ملوكهم لذريق الذى هزمه طارق بن زياد ، انظـر الموسوعة العربية الميسرة (١٤٠٧ ـ ١٤٠٨) .

(٢٤) لبلة : قصبة كورة في الاندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية ، وهى شرقي أكشونية وغرب قرطبة ، بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية أربعة واربعون فرسخا ، وبينها وبين اشبيلية اثنان واربعون ميلا ، وهى برية بحرية ، غزيرة الفضائل والثمر والزروع والشجر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣١٩) .

رجلا (٢٥) . وأتى فلّ المسلمين موسى من إشبيلية وهو بماردة ، فلما أن فتح ماردة وجّه ابنه عبدالعزيز في جيش إلى إشبيلية ، ففتحها وقتل أهلها . ونهض عبدالعزيز إلى لَبْلَة وباجة ففتحهما أيضاً ، واستقامت الأمور وعلا الإسلام ، ثم انصرف عبدالعزيز إلى إشبيلية (٢٦) .

وقد استعاد عبدالعزيز فتح إشبيلية ثانية سنة اربع وتسعين الهجرية(٢٧) (٧١٣ م) ، وكان طارق قد فتحها لأول مرة صلحاً ، إذ صالحه أهلها على الجزية ، وذلك سنة اثنتين وتسعين الهجرية (٧١١ م) ، ولكنها انتقضت فاستعاد فتحها موسى بن نصير سنة ثلاث وتسعين الهجرية (٧١٢ م) ، ثم استعاد فتحها من جديد عبدالعزيز بن موسى بن نصير سنة اربع وتسعين الهجرية (٧١٣ م) كما ذكرنا ذلك قبل قليل . وانتقاض القوط في إشبيلية وغيرها ، وشدّة مقاومتهم في كثير من المدن والمواضع ، دليل واضح على أن المسلمين الفاتحين لاقوا صعوبات عظيمة في فتح الأندلس ، وليس كما يزعم بعض المؤرخين الغربيين بخاصة ، أنّ فتحها كان نزهة من النزهات ، لا مشقّة فيها ولا صعوبة ، وكانت مغانم بدون مغارم !!

٢ . فتح جنوب وجنوب شرقي الأندلس :

وجّه موسى بن نُصير ابنيه عبدالعزيز وعبدالأعلى إلى جنوبي وجنوب شرقي الأندلس ، وكان هذا على الأغلب بعد استعادة فتح إشبيلية ولَبْلَة ، لأنّ أسبقية أهداف موسى في عبوره إلى الأندلس ، هي القضاء على مراكز المقاومة الرئيسة للقوط ، خشية أن تنجح في قطع خطوط مواصلات قوات

(٢٥) البيان المغرب (٢٢/٢) ونفح الطيب (٢٧٢/١) واخبار مجموعة (١٨) وابن الاثير (٥٦٥/٤) والنويري (٢٩/٢٢) .
(٢٦) البيان المغرب (٢٢/٢) ونفح الطيب (٢٧٢/١) .
(٢٧) اخبار مجموعة (١٨) وابن الاثير (٥٦٥/٤) والبيان المغرب (١٥/٢) والنويري (٢٩/٢٢) ونفح الطيب (٢٧١/١) .

طارق بن زياد ، التي تغلغلت بالعمق ، فاصبحت خطوط مواصلاتها مهدّدة بالقطع ، وكانت مراكز المقاومة القوطية الرئيسة في إشبيلية وماردة . فلما نجح موسى في تحقيق هذا الهدف ، ونجح في استعادة فتح إشبيلية ولَبْلَة وباجَة ، أصبح معنياً بتأمين جناح قوّات طارق بن زياد الأيمن ، فوجّه لتحقيق هذا الهدف ولديه ، عبدالعزيز وعبدالأعلى .

ولم يوجِّهما لتحقيق هذا الهدف قبل ذلك ، كما تصوّر بعض المؤرخين الأجانب وتابعهم بعض مؤرخي العرب والمسلمين ، لأن موسى كان محتاجاً لقواته كافة للقضاء على المقاومة القوطية في إشبيلية وماردّة ، وقد وجدتنا ما عاناه موسى في استعادة فتح ماردة من عناء ووقت (٢٨) ، مما سوّغ له الاحتفاظ بكامل قوّاته ، وبأولاده الذين هم من أخلص معاونيه ومن أقرب من يشدّ ازره في الملمّات . فلما حقّق هذا الهدف ، استطاع أن يوجِّه ابنه عبدالعزيز اولا ، لاستعادة فتح إشبيلية ولَبلة وباجة ، وهي من معارك استثمار الفوز ، ثم وجّه ولديهعبدالعزيز وعبدالأعلى لتحقيق هدفه الثاني ، وهو تأمين جناحه الأيمن، وجناح قوّات طارق بن زياد الأيمن أيضاً .

واستطاع عبدالأعلى بالتعاون مع أخيه عبدالعزيز ، أن يستعدا فتح مالَقَة(٢٩) (Malaga) وإلْبِيْـرَة (٣٠) (Elvira) . ثم توجّه عبدالعـزيز إلى المنطقة الجنوبيّة الشرقية من البلاد ، وقد التقى بالقرب من أُوْرْيُوْلَة(٣١)

(٢٨) الرازى (٧٨) وأخبار مجموعة (١٦ ـ ١٨) وابن الاثير (٥٦٤/٤ ـ ٥٦٥) والبيان المغرب (١٤/٢ ـ ١٥) والنويري (٢٨/٢٢ ـ ٢٩) ونفح الطيب (٢٧٠/١ ـ ٢٧١) .

(٢٩) مالقة : مدينة بالاندلس عامرة من أعمال (رية) ، سورها على ساحل البحر ، بين الجزيرة الخضراء والمرية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٧/٧) .

(٣٠) البيرة : كورة كبيرة بالاندلس واسم مدينة ايضا ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٢/١) و (٣٢٠/٢) .

(٣١) اوريولة : مدينة قديمة من أعمال الاندلس من ناحية تدمير ، بساتينها متصلة ببساتين مرسية ، انظر معجم البلدان (٣٧٣/١) .

(Orihuela) بالـدوق تُدْميْر (Theodemir) حاكم هـذه المقـاطعة ، وكان هذا الرجل ذا خبرة عظيمة وتقدير صائب للأمور ، قاوم مدة هجوم المسلمين بقيادة طارق بن زياد ، ولكنه أخفق في صدّ المسلمين ، ففتحوا مقاطعته وكبدوه خسائر فادحة بالأرواح والممتلكات فتوصّل أخيراً إلى عقد معاهدة صلح بينه وبين المسلمين في شهر رجب من سنة اربع وتسـعين الهجريّة(٣٢) (نيسان ــ أبريل ــ ٧١٣م) ، وبموجب هذه المعاهدة التي ذكر تفاصيلها المؤرخون العرب والمسلمون وغيرهم ، حصل تدمير على شروط مناسبة جداً للصلح ، فقد اعترُف به حاكماً على سبعة مدن تقع ضمن منطقته ، وهي : أُورْيُوْلَـة ، وبَلانة (٣٣) (Villena) ولَقَنْت (٣٤) (Alicante) ، ومُوْلة (٣٥) (Mula) ، وبسْقَرة (٣٦) (Bigastro) ، وإلة(٣٧) (Ello) ، ولُوْرَقة (٣٨) (Lorca) ، كما احتفظ بادراته الداخلية لهـذه المـدن ، على شـرط أن يدفع جـزية سنـوية تقـدرّ بدينار ذهبـيّ واحـد ، لكـلّ فـرد حـرّ من أفـراد منطقتـه ، أمـا

(٣٢) اخبار مجموعة (١٢ ــ ١٣) .
(٣٣) بلانة : احدى مدن كورة تدمير بالاندلس ، التي تتصل بأحواز كورة جيان ، وهي شرقي قرطبة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٧١ ــ ٣٧٢).
(٣٤) لقنت : حصنان من اعمال لاردة بالاندلس:لقنت الكبرى،ولقنت الصغرى، وكل واحدة تنظر الى صاحبتها ، انظر معجم البلدان (٧/٣٣٦) .
(٣٥) مولة : يبدو انها احدى مدن كورة تدمير ، انظر معجم البلدان (٢/٣٧١ ــ ٣٧٢) وجغرافية الاندلس واوروبا (١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩) .
(٣٦) بسقرة او بسكرة : احدى مدن كورة تدمير ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٧١ ــ ٣٧٢) .
(٣٧) الة : يبدو انها احدى مدن كوُرة تدمير ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٧١ ــ ٣٧٢) .
(٣٨) لورقة : مدينة بالاندلس من أعمال تدمير ، وبها حصن ومعقل محكم ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣٤٢) .

العبيد فتؤخذ عنهم نصف هذه الكمية . وقد وافق تدمير على تقديم كميات معيّنة من القمح والشعير ، والخل والعسل والزيت على كلّ فرد حرّ من أفراد منطقته ونصفها على العبيد ، كما وافق ألاّ يقوم أحد من رعيته بتجاهل هذه المعاهدة أو الاخلال بشروطها ، وألاّ يأووا للمسلمين آبِقا (٣٩) ، ولا عدوّاً ، ولا يكتموا عنهم خبراً يتعلّق بأعدائهم وبالمقابل ، فانهم لن يُقتلوا ، ولن يُسْبَوا ، أو يجرّدوا من ممتلكاتهم ، أو يُفَرَّقَ بينهم وبين اولادهم ونسائهم ، ويُسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينيّة بحريّة ، ولن تحرق كنائسهم (٤٠) .

وبعد استقرار الامور في المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة الأندلس، عاد عبدالعزيز إلى إشبيلية .

وقد توقف قسم من المؤرخين الأجانب عند معاهدة عبدالعزيز وتدمير ، وناقشوا تلك المعاهدة مناقشة من لا يعرف حقيقة تعاليم الاسلام في القتال ، وهي : الاسلام ، أو الجِزية ، أو القتال .

وهذه التعاليم تقضي ، بأنّه إذا اراد المسلمون غزو بلد من البلدان ، وجب عليهم أولاً وقبل كلّ شيء ، أن يدعوا أهله إلى الاسلام ، فان أسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ؛ وإن لم يُسلموا دعوهم أن يسلموا بلادهم للمسلمين ، يحكمونها ، ويبقى أهل البلاد على دينهم إن شاءوا ، على ان يدفعوا الجزية للمسلمين ، فان قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وكانوا في ذمّة المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم ؛ وإن لم يقبلوا الاسلام ، ولا الدخول تحت حكمه ودفع الجزية ، أُعلنت عليهم الحرب وقوتلوا .

(٣٩) آبق : هارب . وابق : هرب ، فهو ابق وابوق .

(٤٠) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٥٢٣ ـ ٥٣٣) ـ ط٢ ـ بيروت ـ ١٣٩٣هـ ٧٠

تلك هي المبادىء التي تسيطر على تعاليم الاسلام في الفتح : الاسلام ، الجزية ، القتال ، باتفاق الفقهاء ، وبالتطبيق العملي في الفتوح الاسلامية في معارك الفتوح كافة .

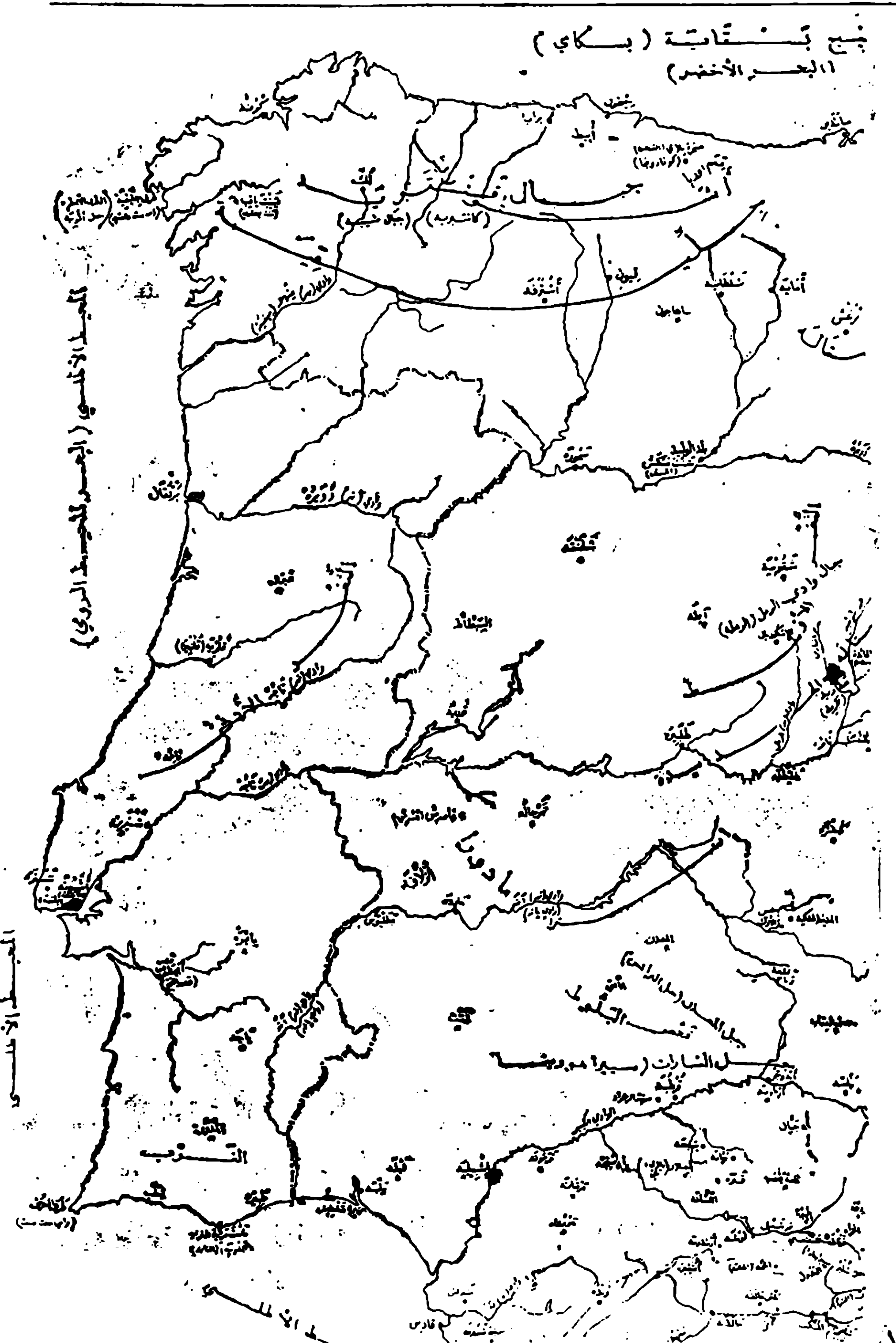
ولكن الذين توقفوا عند هذه المعاهدة من المؤرخين الأجانب ، فزعموا : « أن هذا النوع من المعاهدات المتساهلة ، ربما يشير إلى أنّ سياسة موسى بن نُصير ، كانت تهدف إلى خلق نوع من التعاون مع سكان البلاد في ادارتها بعد الفتح ، وهذه السياسة ستمكنه من أن يضع حامية صغيرة في كلّ مدينة مهمّة ، ويترك ادارة شئونها الداخلية كما كانت من قبل دون تدخّل في النظام الاداريّ للبلاد . وربما كان الدافع الى ذلك ، هو ظروف موسى وقلة مَنْ معه من رجال القبائل العرب الذين كان عددهم لا يكفي للهيمنة على كلّ الأندلس وإدارتها ! ! » .. الخ ...

ومن المؤسف حقاً ، أن قسماً من المؤرخين العرب والمسلمين ، تابعوا هذه الأفكار الأجنبية ، وما فعل عبدالعزيز ، كما لم يفعل موسى وسائر قادة الفتح الاسلامي ، غير تطبيق تعاليم القتال في الاسلام نصا وروحا ، فدفع تدمير الجزية ، كما دفع غيره الجزية شرقا وغرباً فبقى وبقوا في قيادة أنظمتهم ، وأصبحوا من أهل الذمّة ، ولأهل الذمة رعاية في الاسلام ، تتّسم بالتسامح والتواصل ، لا يعرفها دين من الأديان الأخرى ، وهي من صلب تعاليم الاسلام .

٣ . فتوح البرتغال :

في الوقت الذي كان موسى بن نُصَيْر وطارق بن زياد ، يقومان بفتوحاتهما في شمالي الأندلس ، كان عند العزيز يقوم بفتح وسط البرتغال.

فقد عاد عبدالعزيز كما ذكرنا ، إلى إشبيلية ، ومن ثم إلى ماردَة ، حيث ولاه أبوه القيادة العامة للبلاد المفتوحة ، ومن باجَة زحف إلى


شبه جزيرة إسبانية (بسكاي)
البحر الأخضر
جبال

يَابُرَةَ(٤١) (Evora)وشَنْتَرِين(٤٢) (Sanlarn) وقُلُمْرِيَّة(٤٣)(Caimbra) وظلّ متجهاً إلى أقصى الغرب ، بقصد ملاقاة الفرق الاسلامية في أَسْتُرْقة(٤٤) (Astorga) ، وقد قام عبدالعزيز بهـذا الفتح قبل رحيل أبيه موسى من الأندلس إلى دمشق : « فلم يبق في الأندلس بلدة دخلها المسلمون بأسيا فهم ، وتصيرت ملكاً لهم ، إلاّ قسّم موسى بن نُصير بينهم اراضيها ، إلاّ ثلاثة بلاد ، وهي : شَنْتَرِيْن وقُلُمْرِيَّة في الغرب ، وشَيَّة (٤٥) في الشرق ، وسائر البلاد خُمِّسَت وقُسِّمت بمحضر التابعين الذين كانوا مع موسى ابن نُصير » (٤٦) ، ومعنى هذا أنّ عبدالعزيز افتتح شَنْتَرِيْن وقَلُمْرِيَّة صلحاً ، وذلك أثناء وجود ابيه في الأندلس ، وبذلك فتح ما بقي من مدائن الاندلس (٤٧) .

---

(٤١) يابرة : بلد في غربى الاندلس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٨٤٩)، وتقع في البرتغال الحالية .

(٤٢) شنترين : مدينة متصلة الاعمال بأعمال باجة ، في غربي الاندلس ، ثم في غربي قرطبة ، على نهر تاجة ، قريب من انصبابه في البحر المحيط ، وهي حصينة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٠٠) وتقويم البلدان (١٧٢ – ١٧٣) .

(٤٣) قلمرية : مدينة في غربي الاندلس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥١/٧) ، وتقع في البرتغال الحالية .

(٤٤) استرقة : احدى مدن ولاية ماردة المهمة ، وهى اى ولاية ماردة هى ولاية البرتغال القديمة ، وهى في شمالي البرتغال حاليا ، انظر : دولة الاسلام في الاندلس (٦٩ و ١٣٠) .

(٤٥) شية : تقع في منطقة لاردة ووشقة ، وهى ضمن الثغر الاعلى الذى كانت سرقسطة عاصمته ، انظر جغرافية الاندلس واوروبا (٩٥) ، والمعلومات عن هذه المدينة الاندلسية قليلة .

(٤٦) الرسالة الشريفية الى الاقطار الاندلسية (٢٠٠) .

(٤٧) تاريخ افتتاح الاندلس (٣٦) .

ومن الواضح ، أنّ طارقاً وموسى ، لم يفتحا جميع انحاء شبه الجزيرة الأندلسيّة ، فبقيت مناطق لم تصل إليها جيوش الاسلام بعد . وقد تجمعت في بعض الأقاليم غير المفتوحة ، وفي الجيوب الجبلية النائية الوعرة ، مراكز للمقاومة القوطية ضدّ المسلمين ، فاقتضى الأمر إخماد تلك المقاومات وإتمام فتح الأندلس (٤٨) .

ولم يكن موسى ، ليترك ابنه عبدالعزيز ، وهو القائد الذي عرف بشجاعته ومهارته – عاطلاً في أيامه . ولو مضى عبدالعزيز مع قوّات أبيه في فتوحه شمالاً ، لظهر له أثر واضح في الفتح كما ظهر لغيره مثل طارق بن زياد ، وذلك في الصفحة الأخيرة من فتوحات موسى بن نُصير . كما أن وجود عبدالعزيز في باجَة القريبة من تلك المناطق غير المفتوحة ، لابدّ أن يغريه بفتحها .

والأهمّ من كلّ ذلك ، أنّ الموقف العسكري الذي كان موسى يحسب حسابه بكلّ دقّة ، يحتّم عليه أن يحمي جناح تقدّمه الأيسر ، فقد كان هذا الجناح مكشوفاً أيام طارق بن زياد ، وأصبح مكشوفاً بعد تغلغل موسى في فتوحه شمالاً ، وإلاّ تعرض جناحه الأيسر لتهديد المقاومة القوطية ، وتعرضت خطوط مواصلاته الطويلة إلى تهديد العدو القوطيّ الرابض في غربيّ الأندلس (البرتغال) ، فلم يكن باستطاعة موسى أن يتقدم شمالاً في فتوحه ، ما لم يؤمّن جناحه الأيسر ، بالقضاء على مراكز المقاومة القوطية ، وذلك بفتح تلك المراكز ، التي هي المدن البرتغالية ، ولم يكن هناك أولى بفتحها من عبدالعزيز الذي كان في باجَة القريبة من غربيّ الأندلس .

والذي يؤيدّ أنّ عبدالعزيز فتح ما فتح في شرقيّ الأندلس وفي غربيّ الأندلس ، في أيام وجود أبيه موسى في الأندلس ، وليس بعد رحيله عنها الى

(٤٨) قادة فتح المغرب العربي (٢٧٣/١) .

دمشق ، أن هذا الفتح كان لتأمين جناحي قوات طارق بن زياد وموسى بن نُصير بعد عبوره إلى الأندلس ، ولتأمين خطوط مواصلات قوات المسلمين المندفعة عمقاً نحو الشمال ، للقضاء على المقاومة القوطية الرئيسة في عقر دارها في المناطق الوعرة والجبليّة ، ولفتح المدن والمناطق الأندلسيّة غير المفتوحة في شمالي الأندلس . فلما أتمّ موسى تحقيق أهدافه في الفتح ، وأتَم طارق بن زياد تحقيق اهدافه في الفتح أيضاً ، وأكمل عبدالعزيز تأمين خطوط مواصلات قوات المسلمين بقيادة موسى وطارق المتغلغلة بالعمق شمالا ، وأكمل تأمين جناح تلك القوات الايمن وجناحها الأيسر ، وفتح ما فتح شرقاً وغربا ، لم يبق أمامه غير ترصين ما فتحه ، فلما غادر موسى الأندلس إلى الشام وبرفقته طارق بن زياد ، أصبح على عاتق عبدالعزيز ترصين ما فتحه موسى وطارق إضافة الى ما فتحه هو ، ولم يكن ذلك بالأمر السهل ، وبخاصة وأنّه لم يمكث طويلاً على الأندلس بعد رحيل والده موسى عنها ، إذ رحل هو أيضاً عنها لا إلى دمشق ، كما فعل أبوه ، بل إلى جوار الله ، كما سيرد ذلك وشيكا .

وبهذه المناسبة ، فقد أثار بعض المؤرخين الأجانب بعض التساؤلات عن عبدالعزيز وتابعهم عليها بعض المؤرخين العرب والمسلمين ، فقالوا : « وبعد إقرار الأمور في المنطقة الجنوبية الشرقية من شبة الجزيرة ، عاد عبدالعزيز ، إما حسب رغبته . وإما لأنّه استدعي من قبل والده » ، وهذا التساؤل وأمثاله لا محل له ولا مسوغ . فتوجيه عبدالعزيز للفتوح شرقاً وغرباً ، كان ضمن الخطة السَّوْقيّة للفتح ، وأهدافه تعيّن له من القائد العام الذي هو أبوه موسى ابن نُصير . فالقائد المرءوس مقيّد بتنفيذ الخطة العامة ومسؤول عن تنفيذ الجزء الخاص به منها . وله الحرية الكاملة في تنفيذ ما يخصه من الخطة السوقية بطريقته التعبوية الخاصة . فاذا انجز واجبه كاملا . فان توجيهه لتنفيذ واجب جديد ضمن الخطة السَّوْقيّة ، يكون بأمر القائد العام وليس حسب رغبته

وهواه ، فليس للرغبة والهوى أثر في مثل هذا المجال ، بل هي أوامر يصدرها القائد العام ، وينفذها القائد المرءوس ، وليس في الأمر رغبة شخصية ، والأمر كلّه واجب ينفّذ، والضبط المتين هو السائد ، والموقف جدّ صارم ، وطاعة كاملة .

وتمّت فتوح عبدالعزيز خلال سنة اربع وتسعين الهجرية (٧١٣ م) وسنة خمس وتسعين الهجرية (٧١٤ م) ، أي حين كان أبوه موسى على الأندلس. ولا ارى أنّ القوات التي قادها عبدالعزيز كانت قوات جسيمة ،بل هي قوات خفيفة ، مؤلفة من الفرسان ، سريعة الحركة ، تستغل قابليتها في التنقّل السريع ، لتحقيق اهدافها في الفتح . ذلك لأنّ المقاومة القوطية كانت تتمركز في المناطق الوعرة والجبلية في شمالي الأندلس ، وفي المدن الأندلسية الشمالية النائية ، وكان على موسى وطارق بن زياد ، أن يقضيا على جذور تلك المقاومة وعلى أصولها ، وأن يجتثا جذورها من مراكزها الرئيسة في : المناطق الوعرة والجبلية في شمالي الأندلس ، والمدن الأندلسيّة الحصينة في تلك المناطق الصّعبة النائية ، لذلك كان من الصّعب الاستغناء عن قسم كبير من قوات المسلمين التي كانت تعمل بقيادتهما المباشرة ، لأنّ هدفهما في تطهير المقاومة القوطية ، وفتح المدن الأندلسية الشمالية كانا بحاجة ماسة إلى قوات جسيمة ، لإمكان تهيئة اسباب تحقيقهما ، كما أن المقاومة القوطية في وسط البرتغال ، لم تكن مقاومة عنيفة ، ولا يمكن مقارنتها بالمقاومة القوطيّة في شمالي الأندلس ، لذلك اكتفى موسى بتخصيص قوات خفيفة لابنه عبدالعزيز من أجل تحقيق اهدافه في تفتيت المقاومة القوطية في غربي الأندلس وفتح مدنها ، فنجح عبدالعزيز في ذلك نجاحا باهراً .

الانســــان

أوّل ما ظهرت كفاية عبدالعزيز الادارية بوضوح ، كان بالصّلح الذي عقده بينه وبين تدمير .

وهذا هو نصّ كتاب الصّلح الذي كتبه عبدالعزيز بن موسى ، لتدمير ابن غبدوش :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : عبدالعزيز .

إلى : تدمير .

إنّه نزل على الصّلح ، وإنّه له عهد الله وذمته ، أن لا يُنتزع عنه ملكه ، ولا أحداً من النصارى عن أملاكه ، وأنّهم لا يُقتلون ولا يُسبون ، اولادهم ولا نساؤهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا تحرق كنائسهم ما تَعَبّد (كذا ، وصحتها تقيد) وما نَصَح ، وأنّ الذي اشتُرط عليه أنه صالح على سبع مدائن : أوريولة وبَلَنْتِلَة ولقنت ومولة وبَقَسْرَ وأنَّهْ ولورقة ، وأنّه لا يأوى لنا عدوّاً ، ولا يخون لنا أمناً ، ولا يكتم خبراً عَلِمَهُ ، وأنّه عليه وعلى اصحابه دينار كلّ سنة ، واربعة أمداد قمح ، واربعة أمداد شعير ، واربعة أقساط طِلا (٤٩) ، واربعة أقساط خلّ ، وقسط عسل ، وقسط زيت ، وعلى العبد نصف ذلك .

كُتب في رجب من سنة اربع وتسعين من الهجرة .

شهد على ذلك : عثمان بن أبي عبدة القرشيّ ، وحبيب بن عبيدة الفِهريَ . وعبدالله بن ميسرة الفهميّ ، وأبو قائم الهُذَليّ » (٥٠) .

وبهذه المعاهدة أصبح تدمير ومَن بقي معه من قومه على النصرانية ، من أهل الذمة ، في حماية المسلمين ورعايتهم ، ولا مجال للتعليلات التي ذهب إليها المستشرقون وتابعهم عليها بعض المؤرخين العرب والمسلمين ، فمكانة

(٤٩) الطلا : الطلاء ، وهو ما طبخ من عصير العنب .

(٥٠) بغية الملتمس – طبعة مدريد – ١٨٨٤ – ١٨٨٥ ص (٢٥٩) ، والرازي في ترجمته الاسبانية ، الفقرة (١٢) ، نقلا عن : فجر الاندلس (١١٤–١١٥)

أهل الذِّمة بين المسلمين معلومة ، وحمايتهم واجبة ، ورعايتهم أمانة ، والالتزام بالعهود محتّمٌ على المسلمين .

ومن الواضح أن عبد العزيز عقد هذه المعاهدة في أيام أبيه على الأندلس ، لأنّها عُقدت سنة اربع وتسعين الهجريّة ، وموسى بن نصير غادر الأندلس سنة خمس وتسعين الهجرية ، فلا مجال للتشكيك في موعد عقدها .

وتدمير هذا هو ابن (Ergobados) (٥١) ، وهو يقرأ : إما غوبادوش أو جودوش ، وهو قريب من الاسم العربي الذي اطلقه عليه العرب (٥٢) وكان تدمير أحد كبار قادة غيطشة ملك الأندلس الذي اغتصب ملكه لذريق ، وكان نصرانياً مثقفا ، استطاع بعلمه وفضله اكتساب احترام المسلمين ، وما دام تدمير لم يُسلم ، وعقد الصّلح مع المسلمين على الجزية ، فقد اصبح من أهل الذمة ، له ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم .

وحين غادر موسى بن نُصَير الأندلس ، ولّى ابنه عبدالعزيز على الأندلس، وترك معه مَن يعاونه من أقدر الرجال ، مثل حبيب بن أبي عُبَيْدَة الفِهْرِي ، أحد أحفاد عُقْبَة بن نافع الفِهْريّ ، وترك مع ابنه كثيراً من القادة المسلمين الآخرين مع أفراد قبائلهم ، ليدافعوا عن الأندلس (٥٣) ، ويحموه ، وقد اختار موسى إشبيلية عاصمة للبلاد ، بسبب قربها من البحر والمضيق ، كما جعلها أيضاً قاعدة برية بحرية للمسلمين في الأندلس (٥٤) .

---

(٥١) Saavedra. OP. cir. p. 87.

(٥٢) كما جاء ذلك في بغية الملتمس (٢٦٩ و ٣٣٧ و ٤٠٠) وفي نظم العقبان لاحمد بن انس العذرى : غبدوش .

(٥٣) اخبار مجموعة (١٩) وفتح الاندلس (١٧) وابن الاثير (٥٦٦/٤) والبيان المغرب (٢٣/٢) ونفح الطيب (٢٧١/١) وابن خلدون (٢٥٥/٤) .

(٥٤) اخبار مجموعة (١٩) ونفح الطيب (٢٧٦/١) والرسالة الشريفية (٢١٠) وابن الاثير (٥٦٦/٤) .

وبدأت مشاكل عبدالعزيز ، بعد مغادرة موسى الأندلس إلى دمشق ، فأصبح يحارب في جبهتين : الجبهة الداخلية ، المتمثلة في الطامعين بحكم الأندلس ، المنافسين له على ولايتها ، يشجّعهم على ذلك موقف الخلافة من موسى بن نُصَير ، في اضطهاده ومحاسبته حساباً عسيراً ، فكان التيار السّائد على عبدالعزيز لا معه . والجبهة الخارجية ، المتمثلة بالمقاومة القوطيّة المتربّصة بالفاتحين ، التي تنتهز الفرصة للانقضاض على الفاتحين ، وإعادة المناطق المفتوحة إلى الحكم القوطي من جديد .

وقضى عبدالعزيز في ولايته نحو سنتين ، عني خلالهما بتحصين الثغور وقمع الخروج والعصيان ، وأبدى همّة في تنظيم الحكومة الجديدة وإدارتها ، وأنشأ ديواناً لتطبيق الأحكام الشرعية وتنسيقها . وشجّع الزواج بين العرب والاسبان وتزوج جيلونا (إيجلونا) التي تسميها المراجع العربية : أَيْلُه (أيلونا) أو أم عاصم ، وكانت أيلونا قبل ذلك زوجاً للذريق (٥٥) ، فيما تذهب إليه المراجع « وكانت قد صالحت على نفسها في وقت الفتح ، وباءت بالجزية ، فأقامت على دينها ، فحظيت عنده وغلبت على نفسه » (٥٦) ، فتزوجها بعد خروج أبيه موسى من الأندلس ، فجاءته من الدنيا بشيء كثير لا يُوصف (٥٧) .

وانتهز الطامعون بولاية الأندلس ، المنافسون بولايتها فرصة زواجه بأيلونا المسيحيّة فزعموا أنّها ملكت زمام زوجها ، فتابعها في كثير مما

(٥٥) وقال الواقدى ونقله ابن عبدالحكم ، انها كانت ابنة لذريق لازوجته ، وانظر اخبار مصر (٢١٢) وفتوح مصر والمغرب (٢٨٥) .والبيان المغرب (٢٣/٢) ، وحبطت فيه : ايله .

(٥٦) فتح الاندلس (٢١) وابن الاثير (٢٢/٥) .

(٥٧) فتوح مصر والمغرب (٢٨٥) .

ارادت (٥٨) ،وأنها عملت له تاجاً من الذّهب والجوهر ، وحملته على أن يلبسه ، لأنّ : « الملوك إذا لم يـُتوجوا ، فلا مُلك لهم » ، كما قالت ، ومازالت به حتى قَبِل أن يلبسه إذا خلا إليها ، فشاع تتويجه في خيار جند المسلمين ، فلم يكن لهم هَمٌّ إلاّ كشف ذلك ، حتى رأوه عيانا ، فقالوا ، تنصّر ! ثم هجموا عليه ، فقتلوه (٥٩) .

ولم تقف حرب الاشاعة على عبدالعزيز إلى هذا الحد ، ويبدو أن قصّة لبس التاج وتنصّره ، تؤثّر في الرأي العام لجند المسلمين في الأندلس ، باعتبار أنّهم يرفضون كلّ انحراف عن تعاليم الاسلام ، ولكن مثل تلك الاشاعة ، لا تؤثر في الذين خبروا مزايا عبدالعزيز تقيّاً ورعاً ، كما لا يصدّقها العقلاء الذين في السُّلطة أو خارجها ، فأشاعوا أنه : « لما بلغ عبدالعزيز بن موسى ما نزل بأبيه وأخيه عبدالله بنموسى الذي كان في القيروانعلى إفريقية والمغرب وآل بيته ، خلع الطّاعة وخالف ، فأرسل إليه سليمان بن عبدالملك رسولاً فلم يرجع ، فكتب سليمان إلى حبيب بن أبي عبيدة بن عُقْبَة بن نافع ووجوه العرب سراً بقتله ، فلما خرج عبدالعزيز إلى صلاة الفجر ، قرأ فاتحة الكتاب ، ثم قرأ سورة الواقعة ، فقال له حبيب : حقّت عليك يا ابن الفاعلة ! وعلاه بالسيف ، فقتله (٦٠) ، وقد ركز قسم من المستشرقين على تصديق اتجاه عبدالعزيز الى الاستقلال عن الخلافة بالاندلس(٦١) ، وتابعهم على تصديق هذا الزّعم المتهافت قسم من مؤرخي العرب والمسلمين .

(٥٨) فجر الاسلام (١٣٠) .
(٥٩) البيان المغرب (٢/٢٣) .
(٦٠) البيان المغرب (٢/٢٣ ـ ٢٤) وفتح الاندلس (٢٣) .
(٦١) انظر مثلا :
Losmozarales de Espana, vol, 1, p. 147 — C. Jdian : ibi, p. 778:
F. j. Simonet : Historia de.

وأما القول بأن الخليفة سليمان بن عبدالملك اوعز بقتله ، فقول لا يجد ما يؤيده من الواقع ومن التفكير السّليم ، لأنّ الخليفة لم يكن عاجزاً عن عزله إن أراد ، وقد سبق للخليفة عزل أبيه موسى وهو اقوى منه وأكبر مكانة وانصع تاريخاً وأكثر اتباعا ، فعزله بسهولة ويسر ، واستخرجه من الأندلس مع رجل او رجلين من رجال الخليفة ، دون ان يستطيع موسى تحريك ساكن ، كما لم يكن سليمان ليخشى ثورته بالجند ، لأن الجند كان مختلفا عليه ، وليس بمعقول أن يكون حقد سليمان على عبدالعزيز أشد من حقده على أبيه موسى ، فما اوعز سليمان بقتل موسى ولا فكرّ بذلك ، ولا قتله حين أصبح في دمشق رجلا بلا غد .

ومصداق ذلك ، أن سليمان لما بلغه : « مقتل عبدالعزيز بن موسى ، شقّ ذلك عليه ، فولّى إفريقية عُبَيْدالله بن يزيد القريشي ، لا أدري لمن من قريش (يريد محمد بن يزيد مولى قريش والي إفريقية) ، والى افريقية كان أمر الأندلس وطَنْجَة وكل ما وراء إفريقية ، وأمره سليمان فيما فعله حبيب بن أبي عُبَيْدة وزياد بن النّابغة من قتل عبدالعزيز ، بأن يتشدّد في ذلك ، وأن يقفلهما إليه ومَن شركهما في قتله من وجوه الناس ، ثمّ مات سليمان فسرّح عبيدالله بن يزيد والي افريقية على الأندلس الحرَّ بن عبدالله الثّقفي ، وأمره بالنظر في شأن قتل عبدالعزيز (٦٢) » ، مما يفهم صراحة أنّ الأمر دُبِّر بغير علم الخليفة . وأن الخليفة لا علاقة له بقتل عبدالعزيز .

ولم يكن من سمات خُلق سليمان بن عبد الملك الإقدام على الاغتيالات أو التحريض عليها ، فقد وصف سليمانَ المؤرِّخون بأنّه : « مفتاح الخير ، أطلق الأسارى. وخلّى أهل السّجون . وأحسن إلى الناس ، واستخلف عمر

(٦٢) اخبار مجموعة (٢٢ ــ ٢٣) .

ابن عبدالعزيز »(٦٣) ، فلا يتهمه بالاغتيال ، او يصدّق هذا الاتّهام ، عاقل غير متحيّز .

كما أنّ عبدالعزيز ، لو أراد الاستقلال بالأندلس عن الخلافة ، لأعدّ لذلك عدته ، التي من أولها : إبعاد غير الموثوق بهم من صفوف جنده ، واتّخاذ الحماية الكافية لنفسه ، وتقريب مَن يعينه على تحقيق ما يصبو إليه .

ولم يتّخذ عبدالعزيز شيئاً من هذه التدابير ، ولو اتخذ شيئاً منها ، لما سهل على الطّامعين والمنافسين له اغتياله بسهولة ويُسر .

أما اتّهامه بأنه ضعيف مترف مُستَخذٍ لزوجه ، وأنّه تنصّر ، فلا سبيل إلى تصديق ذلك ، فقد أقام مع زوجه أيلونا في دار متواضعة قريبة من موضع اجتماع المسلمين ومكان صلاتهم . ولو كان ضعيفاً مترفاً لسكن أحد قصور إشبيلية الفخمة ، ولما استقرّ في دار متواضعة ، ليكون قريباً من رجاله ومن مسجده .

أما أنّه تنصّر ، فقد كان خيّراً فاضلا (٦٤) ، ومن خير الولاة (٦٥) ، ولما أُحضر رأس عبدالعزيز بين يدي سليمان ، حضر أبوه موسى ، فقال له سليمان : « أتعرف هذا ؟ » ، قال : « نعم ، أعرفه صوّاماً قواماً فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيراً منه » (٦٦) .

والمعقول ، أنّ عبدالعزيز ذهب ضحيّة الطامعين بولاية الأندلس والمنافسين له على الحكم ، وبخاصة بعد أن أصبح أبوه موسى وأهل بيته من المغضوب عليهم ، فكان موقف عبدالعزيز في مدّة ولايته ضعيفا ، واصبحت

---

(٦٣) الطبري (٥/٣٠٤) .
(٦٤) نفح الطيب (١/٢٣٤) وابن الاثير (٥/٤٨٩) .
(٦٥) نفح الطيب (١/٢٨١) .
(٦٦) جذوة المقتبس (٢٧١) وبغية الملتمس (٣٨٦) .

الفرصة سانحة أمام الطّامعين والمنافسين له : « اجتمعوا على أيوب بن حبيب اللّخمِيّ الذي قُتل عبدالعزيز بمشورته » (٦٧) ، مما يدلّ بوضوح على أنّ الأمر تمّ في الأندلس بعد أن تشاور الطّامعون والمنافسون له ، فشنوا حرب الاشاعة ، وكان موقف عبدالعزيز يومئذ بعد نكبة أبيه واهنا ، فنجح اعداؤه في قتله وتولى قاتله السّلطة بعده ، ولو إلى حين .

ويبدو أن حال عبدالعزيز مع جنده لم يكن على ما ينبغي ، لا لأنّهم كانوا ساخطين عليه ، بل لأنّ نفراً منهم كان شديد التّطلّع والطموح ، وكان هؤلاء النفر من الظّاهرين في جنده وكبار رجاله .

لقد أصبح عبدالعزيز والياً على الأندلس منذ مبارحة أبيه موسى الأندلس في صفر من سنة خمس وتسعين الهجريّة (تشرين الأول – تشرين الثاني – أكتوبر – نوفمبر من سنة ٧١٣م) ، وجرى اغتياله في رجب من سنة سبع وتسعين الهجريّة (٦٨) (كانون الثاني – يناير – من سنة ٧١٦ م) ، فقضى في ولايته زهاء عامين فقط . أنجز ما أنجز خلالهما من أعمالْ جِسام ، ذكرنا قسما منها ، وكان بامكانه أن ينجز اعمالا أكبر مما انجزه واكثر ، لولا أنّ نفسه كانت طوال أيام ولايته مروّعة ينتابها الخوف على مصير أبيه موسى ابن نُصَير ومصير أسرته . فمال إلى السّكون والانتظار والترقّب ، وبهذا وحده يمكن أن نعلّل عدم نشاطه في العمل (٦٩) . وقد عرفناه إلى ذلك الحين رجلاً مقداماً نشيطاً لا يكلّ ولا يملّ من العمل ، ويُتعب مَن يعمل معه دون أن يتعب . وكان من أولئك القلائل الذين لاينامون ولاينيمون .

(٦٧) فتح الاندلس (٢٣) .
(٦٨) البيان المغرب (٢/٣٤) ، وانظر جذوة المقتبس (٢٧١) ، وفي بغية الملتمس (٣٨٦) : انه قتل سنة تسع وتسعين الهجرية .
(٦٩) فجر الاندلس (١٢٩) .

ولا عبرة في ذكر شيء من حرب الاشاعة في بعض المصادر المعتمدة ، التي أشاعها اعداء عبدالعزيز عليه طمعاً بولاية الاندلس ومناصبها العليا ، فقد تردّد ذكرها على ألسنة الناس وتناقلوها دون تدقيق ولا تمحيص ، فسجّلها أحد المؤرخين ثقة بها أو كشفا لزيفها ، ثمّ تناقلها عنه غيره بالتدريج ، ولا غبار على أنّها من الاشاعات المغرضة التي لا تصدّق ، فما كلّ ما خطته المصادر صواب ، ولا يخلو مصدر من هفوات .

وقد كان موسى بن نُصير من التابعين (٧٠) ، فيكون عبدالعزيز ابنه من تابعي التابعين ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

القائد

لئن كان طارق بن زياد ، قد ترك ثغرة خطرة على فتحه ، بالرغم من عظمة ذلك الفتح ، هو تغلغله بالعمق في الأندلس ، إلى مسافات لا تتناسب مع ما كان لديه من قوّات ، فكانت خطوط مواصلاته مهدّدة بالانقطاع عن قاعدته الأمامية المتقدّمة في جبل طارق ، وقواعده في طَنْجَة وسَبْتَة والقيروان ، وكان جناحاه الأيمن والأيسر مهدّدين بحشود المقاومة القوطية المتنامية . ولكن اعتماد طارق على قيادة موسى بن نُصير ، قائده المباشر ، سوّغ له هذا التغلغل عمقاً في الأندلس ، لأنه كان يثق ثقة مطلقة بأن موسى لن يتركه وحده في مصاولة القوط ، ولن يسمح للمقاومة القوطية أن تقطع خطوط مواصلاته او تعرّض جناحيه للخطر الدّاهم ، وفعلا كان موسى عند حسن ظن طارق به ، فلم يفسح المجال للمقاومة القوطية أن تلحق الضرر بقوّات طارق ، وعمل على ملافاة الخطر من تغلغل طارق فوراً ، وفي الزمان والمكان المناسبين .

(٧٠) تاريخ العلماء والرواة بالاندلس (١٤٤/٢) وجذوة المقتبس (٣١٧) وبغية الملتمس (٤٥٧) ووفيات الاعيان (٤٠٢/٤) والبداية والنهاية (١٧١/٩) .

ولئن كان الهدف الرئيس من عبور موسى بن نُصير الى الأندلس ، هو لحماية قوّات طارق من خطر تعرّض خطوط مواصلاتها للانقطاع ، ومن خطر تعرض جناحيها للتهديد المعادي ، ولحرمان المقاومة القوطية من محاولة قطع خطوط مواصلات قوات طارق وتهديد جناحيها المكشوفَيْن .

فان عبدالعزيز في الواقع ، هو الذي نفذ عملياً خطـّة الانقاذ لقوات طارق التي وضَعها موسى وعبر إلى الأندلس من أجل تنفيذها ، فاستعاد فتح إشبيلية من جديد ، ورصّن قوّات المسلمين في لَبْلَة وباجَة ، وبذلك حمى خطوط مواصلات طارق وموسى من القطع ، كما فتح جنوبيّ وجنوب شرقي الأندلس، وبذلك حمى جناح قوّات طارق وموسى الأيمن ، وفتح غربي الأندلس في البرتغال ، وبذلك حمى جناح قوّات طارق وموسى الأيسر ، فأصبحت بذلك قوّات المسلمين في الأندلس : على الرغم من تغلغلها عمقاً نحو الشمال ، في أمان واطمئنان ، لا تخشى قطع خطوط مواصلاتها ، ولا تحذر تهديد جناحيها ، وتفتّتت المقاومة القوطيّة شرقا وغربا ، وا صبح الفتح الأندلسيّ فتحاً مستداما ، ولم يبق للمقاومة القوطية أثر ولا تأثير إلا في الجبال الشمالية التي تفصل بين الأندلس من جهة وفرنسا من جهة أخرى .

لقد كان أثر عبدالعزيز بمعاونة أخيه عبدالأعلى ، في الفتح الأندلسي ، وفي ترصين ذلك الفتح ، وفي حماية القوّات الاسلامية الفاتحة ، عظيماً للغاية في واقعه وفي حاضر المسلمين في الأندلس ومستقبلهم ، دون أن يُعطي الأهمية المناسبة له من المؤرخين قديماً وحديثاً .

فهو الذي تولى الأندلس : « بعد قُفُوْل أبيه عنها .... فضبط سلطانها ، وضمّ نَشَرَها ، وسدّ ثغورها ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة ، مما كان قد بقي على أبيه موسى منها ، وكان من خير الولاة ، إلاّ أنّ مدّته لم تطل(٧١).

(٧١) نفح الطيب (١/١٨١) وانظر البيان المغرب (٢/٢٤) .

ومعنى ذلك ، أنّ بقاءه والياً لم يطل أمده ، لتظهر مزاياه القيادية في الفتوح وفي إحراز الانتصارات الباهرة .

وبالامكان إضافة عامل آخر ، على قصر مدّته والياً ، هو أنّ ظروفه الراهنة ، بعد غضب الخلافة على أبيه موسى وعلى أهل بيته ، لم تكن ملائمة لاستئناف الفتوح واحراز الانتصارات ، إذ كان هو أيضاً مصيره معلّقاً في مهبّ الريح ، ومن المتوقّع أن يُصيبه ما أصاب أبيه وأهل بيته عاجلا أم أجلا ، فكان بحقّ منهكاً نفسياً ، لا يدري ما تخبِّؤه له الأيام من محنٍ ومصائب ، ولا يستطيع والٍ في مثل موقفه هذا غير المضمون أن يفعل ما فعله عبدالعزيز أو يحقِّق ما أنجزه . ومن المعلوم أنّ الوالي يومئذ هو القائد العام على البلاد فهو إداري وقائد ، يعمل في القضايا الادارية ، كما يعمل في القضايا العسكرية ، فهو اداري وقت السّلام ، اداري وقائد وقت الحرب .

وقد ظهر لنا ، أنّ عبدالعزيز قد تهيّأت له في أيامه الأولى مزيتان من مزايا القائد اللاّمع ، هما : العلم المكتسب ، والتجربة العمليّة .

وبقي علينا ، أن نتدارس معاً ، المزيّة الثالثة للقائد اللامع ، وهي : الطبع الموهوب ، لاستكمال دراسة المزايا الثلاث : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والتجربة العملية .

إنّ مفتاح شخصيّة عبدالعزيز القياديّة ، هو أنه إذا قرر فتح مدينة من المدن او منطقة من المناطق ، ووضع الخطة التعبوية المناسبة لتحقيق هدفه ، فانه يبذل قصارى جهده لتحقيق هدفه بالحُسنى ، فيفاوض لعقد معاهدة للصّلح ، تجعل التعايش بين الغالب والمغلوب ممكنا ، وتقلِّل من الخسائر المادية — وبخاصة في الأرواح ، بين الجانبين المتحاربين ، وتجعل بنود السّلام تخفق على رؤوس المتحاربين بدلا من أن تدقّ بينهم طبول الحرب . فاذا نجح في تحقيق هدفه بالسّلام لا بالحرب ، فذاك ما يصبو إليه ويتمنّاه ، وإلاّ فلا مفرّ من القتال ، إذا لم يبق من وسيلة للتفاهم إلا القتال .

والأسبقية في تحقيق الهدف ، بالنسبة لعبدالعزيز ، هو للسّلام أولا ، وللقتال ثانيا ، إذا لم يُفلح في تحقيق هدفه بالسّلام ، واذا لم يكن إلا الأسنّة مركباً ، فما حيلة المضطر الا ّ ركوبها ، والكيّ آخر الدواء .

وهو في هذه المزية القيادية ، يشابه أبا عُبَيْدَة بن الجرّاح رضي الله عنه (٧٢) ، وهو على طرفي نقيض من خالد بن الوليد رضي الله عنه (٧٣) وطارق بن زياد رحمه الله ، فقد كان خالد وطارق شديدين على الأعداء ؛ إما أن يستسلم لهما العدو فوراً ، وإلا ّ قاتلاه بعنف شديد فورا ، حتى يستسلم لهما عَنْوة دون قيد او شرط .

وقد عقد عبدالعزيز معاهدة للصلح بينه وبين تدمير ، جعلت التّعايش بين المسلمين والاسبان في جنوبي وجنوبي شرقي الأندلس ممكناً ومريحاً ، ولكنه لم يستطع أن يعقد معاهدة للصلح بينه وبين ما فتحه من مدن غربي الأندلس في البرتغال ، فنشب القتال بين المسلمين والقوط ، ولكن هذا القتال كما يبدو لم يكن عنيفاً لا يُبْقي ولا يَذَر ، بل كان كالدواء يتناوله المريض للشفاء ، فاذا شفي او قارب حدود الشفاء ،تخلى عن الدواء . وهكذا كان القتال في غربي الأندلس ، قليل الخسائر على الجانبين ، فلما تم الفتح بادر عبدالعزيز إلى مواساة المتضرّرين من جرّاء القتال .

فاذا تجاوزنا مفتاح شخصيّة عبد العزيز القياديّة ، إلى سمات قيادته بايجاز ، نجد أنه كان يتحلى بسمة : إصدار القرار الصحيح السّريع ، فقد كان ذكياً حاضر البديهة متعلماً ، مثابراً على حصول المعلومات عن العدو ، والأرض التي يقاتل عليها ، من شتى مصادر الحصول على المعلومات ، ومنها العيون والاستطلاع .

(٧٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا فتح الشام ومصر (٥٤ ــ ٨١) .
(٧٣) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٥١ ــ ٢٣٧) وكتابنا : خالد بن الوليد المخزومي .

وكان يتحلّى بالشجاعة والاقدام ، فكان يقود رجاله من الأمام ، ولا يقودهم من الخلف ، ويكون أُسوة حسنة لرجاله بشجاعته الشخصية .

وكان ذا إرادة قويّة ثابتة ، إذا عزم على أمر نفّذه ، واذا أصدر أمراً أصر على تنفيذه ، وكان يُقدم على تحقيق أهدافه في الفتح بعزم واصرار .

وكان من أولئك القادة الذين يتحمّلون مسؤلياتهم كاملة ، ولا يتهرّبون منها ، أو يلقونها على عواتق الآخرين .

وكان ذا نفسية لا تتبدّل في حالتي النّصر والاندحار ، واليُسر والعُسر ، فما عرفناه ضَعُف أو أبدى ضعفاً ، حين أصبح والده موسى مغضوباً عليه من الخليفة ، بل ظلّ يزاول أعماله ، أقوى ما يكون ثباتاً ونشاطاً ، حتى أتاه اليقين .

وكان يتمتّع بمزية : سبق النّظر ، فيتوقّع ما سيحدث ، ويتصور ما سيقع ، ويُعدّ لكلّ شيء عدّته حلّا لما عسى أن يجابهه من معضلات .

وكان يعرف نفسيّات رجاله وقابلياتهم ، فيكلّف كلّ واحد منهم ما يناسبه من واجبات تناسب نفسيته وقابليته ، ولكنّه لم يكن يعرف نيات مَنْ حوله من كبار رجاله ، فتآمروا على اغتياله دون أن يكتشف نياتهم قبل وقت مناسب من التنفيذ ، لأنّه لم يؤذِ أحداً منهم ، ولم يظلم أحدا ، فما كان يتوقع أن يؤذيه أحد او يظلمه ، وكان عليه أن يحتاط لنفسه ، فالوقاية خير من العلاج .

وكان يثق برجاله ويثقون به ، والتآمر على اغتياله ليس دليلاً على عدم ثقة رجاله به ، وهؤلاء الذين تآمروا عليهم يُعدّون على الأصابع ، وهم لايمثّلون سائر رجاله ، الذين كانوا يبادلونه ثقةً بثقة ، ويرونه قائداً يستحق الثقة الكاملة به .

وكان يحبّ رجاله ، ويبادلونه حبا بحب ، وآية حبّه لهم أنّه حرص على أرواحهم في ميادين القتال ، فلم يقاتل إلاّ بعد أن أعيته وسائله كافة في تحقيق أهدافه بدون قتال . كما أنّه لم يفرّط برجل من رجاله بأيّ شكل من الأشكال وبأيّ أسلوب من الأساليب ، وأبقاهم حوله بتماس شديد معه ، حتى رحل إلى جوار الله .

وكان ذا شخصيّة قويّة نافذة مؤثرة فيمن حوله من رجاله ومن الاسبان الذين فتح بلادهم ، ولولا تلك الشخصيّة المتميّزة ، لما استطاع السّيطرة في الأندلس ، بعد أن تسامع الناس ، بأنّ أباه موسى أصبح في عِداد المغضوب عليهم من الخليفة ، وأنّ مركز عبد العزيز والياً وقائداً أصبح مهدّداً بالعزل اليوم أو غدا.

وكان يتمتّع بقابلية بدنية متميّزة ، فقد كان في ريعان الشباب ، واستطاع مشاركة رجاله في ميادين القتال صيفاً وشتاء ، وتعباً وعناء ، وتنقّلاً وثواء .

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد ، فهو ابن فاتح الأندلس موسى بن نُصَير ، وهو قد أضاف إلى أمجاد أبيه مجداً جديداً في الفتح وفي ميادين القتال .

وكان يطبّق مبادئ الحرب كافةً بصورة فطريّة ، فهذه المبادئ ثابتة أبداً ، ولكنّ الأساليب القتاليّة هي التي تتغيرّ باستمرار .

فقد كان عُبد العزيز يطبّق مبدأ : اختيار المقصد وإدامته ، فكان يختار مقصده بالضبط ، ويفكرّ في أقوام طريقة للوصول إليه ، ثم يضع الخطّة المناسبة للحصول عليه .

وكان قائداً تعرّضياً ، لم يتّخذ الدفاع مسلكاً له في تحقيق أهدافه العسكرية ، ولكنّه كان يتعرّض إذا لم ينجح في حمل عدوّه على الصّلح .

وكان يطبّق مبدأ المباغتة ، ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، ولكن قبل أن يباغت عدوّه يحاول أن يحقّق هدفه بلا قتال ، بالمفاوضات لعقد الصلح ، فاذا

لم ينجح في تفادي القتال، حاول أن يباغت عدوه بالمكان أو بالزمان أو بالأسلوب. أما العدو، فلم يستطيع أن يباغت قوّات عبد العزيز في يوم من الأيام.

وكان يطبّق مبدأ: حشد القوّة، لتكون جاهزة لقتال العدو، دون تفريط في جزء منها بلا مسوّغ، ولم تكن قوّاته في حينه كبيرة، لذلك لم يكن بمقدوره الاستغناء عن جزء منها.

ولم يكن يُغفل مبدأ: الاقتصاد في المجهود، فكما كان لايفرّط بجزء من قوّاته دون مسوّغ، كان يحول دون التفريط بجزء منها دون مسوّغ أيضاً، وقد كان من أولئك القادة الذين لايغرّرون برجالهم، ويحرصون على أرواحهم حرصاً لا مزيد عليه.

وكان يسهر على: أمن رجاله، وقد نوّهنا بمبلغ حرصه على أرواحهم، وذكرنا أنّه لايغرّر بهم، وأن العدو لم يستطع مباغتة رجاله في يوم من الأيام، مما يدلّ على أنّه كان يطبق مبدأ: الأمن، بشكل يدعو إلى التقدير.

وكان يطبّق مبدأ: المرونة، في خططه التعبوية، فالمقصد من العملية واضح لديه، والخطة مرسومة سلفاً لتحقيق المقصد، ولكن الخطة قابلة للتحوير والتّطوير بالنسبة للظروف والأحوال، فلا يصرّ على تطبيق خططه إذا اقتضت الظروف إدخال التعديلات عليها، مادامت تلك التعديلات لاتؤثر في تحقيق المقصد المطلوب.

وكان لايتوانى عن: التّعاون، بين قواته، تعاوناً وثيقاً، وبين قوّاته وقوّات غيره من قادة المسلمين، كما فعل مع قوّات أخيه عبد الأعلى، وبين قوّاته وقوّات القيادة العامة التي كان أبوه موسى على رأسها، وقد لمسنا همّته في استعادة فتح إشبيلية ولبة وباجة لتأمين خطوط مواصلات طارق وموسى، وهمّته في فتح مدن جنوبي وجنوب شرقي الأندلس وغربيها، لتأمين جناحي

طارق وموسى الأيمن والأيسر ، فأصبحت قوّات المسلمين آمنةً مطمئنّة ، وكانت قبل فتوح عبد العزيز في خطر عظيم .

وكان يطبّق مبدأ : إدامة المعنويات ، بثلاثة عوامل ، هي العقيدة الراسخة ، التي هي التّمسك بالدين الحنيف ، وبالنّصر المؤزّر ، الذي أحرزه عبد العزيز وطارق وموسى ، وبالقيادة القادرة المتميّزة ، التي هي قيادة عبد العزيز ومن قبله قيادة طارق وموسى ، فكانت معنويات المسلمين في الأندلس عالية جداً ، لأنّ عوامل إدامة المعنويات الثلاثة كانت متيسرةً يومذاك .

وكان عبد العزيز معنياً بالأمور الاداريّة ، فلا نعلم أنّ قوّاته عانت من نقص في ناحية ما ، من نواحيها الأدارية ، بل كان وضعها الأداريّ جيداً للغاية ، ويكفي أن نتذكرّ ما حمله موسى معه من غنائم جسيمة من الأندلس ، حين غادرها إلى دمشق . ومهما قيل في المبالغة بجسامة تلك الغنائم ، فانّها تبقى دليلاً على أنّ المسلمين كانوا يعيشون في الأندلس عشاً هو أقرب إلى الرفاهية والثراء منه إلى الفقر والعوز . ولايمكن أن تكون القيادة الأندلسية تمتلك كلّ هذا الثراء الباذخ العريض ، دون أن يظهر ذلك على القوّات الاسلاميّة التي تقودها في مسيرة أمورها الاداريّة .

إنّ قوّات المسلمين في الأندلس كانت في بحبوحة من العيش ، يمكن أن يكون وضعها من الناحية الاداريّة ، أفضل من وضع سائر قوّات المسلمين ، في سائر أمصار الدولة الاسلاميّة ، شرقاً وغرباً .

ويبدو أنّ عبد العزيز ، كان يساوي بينه وبين رجاله ، فكان يعيش بينهم ويصليّ في مسجدهم ، ولو أنّه اتخذ حرساً لنفسه ، وجماعة مختارة من رجاله لحمايته ، ومكاناً خاصاً به في المسجد للصّلاة ، لصعب على المتآمرين عليه تنفيذ خطّتهم في اغتياله ، ولكنّهم استطاعوا اغتياله بسهولة ويسر ،

مما يدلّ على أنّه كان يساوي نفسه برجاله ، ولا يتميز عليهم في شيء من المظاهر الخارجيّة ، التي يحاول أن يتميّز بها أصحاب السُلطة والحكم .

وكان يشاور رجاله في كلّ مايصادفه من مشاكل ومعضلات ، وبخاصة أولئك النفر من القادة والرؤساء الذين خلّفهم موسى مع ابنه عبد العزيز ، قبل رحيله عن الأندلس : وأوصاهم به خيراً ، وأوصاه بهم خيراً ، فكان عبدالعزيز ، عند حسن ظن أبيه موسى به ، في اعتماده على أولئك النفر وثقته بهم ، وركونه إليهم ، واستشارتهم في أموره العامة . ولكنّهم لم يكونوا عند حسن ظن موسى بهم ، إذ كانوا مع موسى ومع عبد العزيز يوم كانت الأيام مقبلة عليهم ، فلما أدبرت عنهم انقلب قسم منهم على عبد العزيز ، ودبّروا له المكايد ، وحاربوه بالاشاعات الملفّقة ، حتى اغتالوه وهو يصلّي في المسجد ، ففاز بالشهادة ، ولم يفوزوا بشيء .

ولم تطل مدة بقائه قائداً عاماً بعد رحيل أبيه موسى عن الأندلس، لكي يتيسّر له الوقت الكافي لانجاز فتوح جديدة ، ولم تكن ظروفه الراهنة التي تحيط به وتؤثر فيه نفسياً ، مساعدة لابراز كفاياته قائداً لامعاً ، فلا يستطيع محلّل لقابلياته القيادية ، أن يجيب على تساؤل المتسائلين : هل كان عبد العزيز قائداً موهوبا ؟ هل كانت قيادته تتّسم بمزية : الطبع الموهوب .؟

إنّ الفرصة لم تسنح له أن يثبت ذلك ، فمضى دون أن يأخذ حقّه كاملاً في هذه الحياة ، ومع ذلك فلا أحد ينكر عليه أنّه كان قائداً متميزاً ، كان بالامكان ان يلمع أكثر مما لمع ، وينجز اكثر مما أنجز ، لو طالت مدّة قيادته، وحسنت ظروف حياته ، ولكنّ الرياح جرت بما لاتشتهي السفن ، والمرء مُقَدَّر لما خُلق له .

عبدالعزيز في التاريخ

يذكر التاريخ لعبد العزيز ، أنّه كانت الساعد الأيمن لأبيه موسى بن نُصَير فاتح شطر الأندلس ، في فتوحه الأندلسية .

ويذكر له ، أنّه فتح مناطق واسعة جداً في جنوبي وجنوب شرقي الأندلس ، وطهّر تلك المناطق من جيوب المقاومة القوطيّة .

ويذكر له ، أنّه فتح الشّطر الأكبر من البرتغال ، غربي الأندلس ، وفتح مدنها ، وقضى على جيوب المقاومة القوطيّة في أرجائها .

ويذكر له ، أنّه استعاد فتح إشْبِيلِيَة ولَبْلَة وباجَة من جديد ، ودحَر المقاومة القوطيّة التي استولت عليها بعد فتحها من المسلمين .

ويذكر له ، أنّه قضى على تهديد المقاومة القوطيّة لخطوط مواصلات قوّات طارق بن زياد وموسى بن نُصير في الأندلس ، وعلى جناحي تلك القوات الأيمن والأيسر ، مما أتاح لطارق وموسى التغلغل شمالاً في الفتح .

ويذكر له ، أنّه اغتيل ظلماً وعدوانا ، فنال باغتياله شرف الشهادة .

ويذكر له ، أنّه كان مجاهداً صادقاً ، وإداريّاً حازماً ، وكان يعمل بأمانة وإخلاص للاسلام والمسلمين ، مجاهداً وإدارياً ، دون كلل ولا ملل .

ويذكر له ، أنّه رحل وهو في ريعان الشباب ، فكأنه كان يغالب الزّمن ، ليخلّف من بعده ، مالم يخلفه الشيوخ فتحاً ومآثر وأمجاداً .

رحمه الله جزاء ما قدّم للعرب والمسلمين ، من خدمات لاتُنسى ، قائداً وفاتحاً وإدارياً وشهيداً .

لقد رحل عن هذه الدنيا ، ولكن آثاره في الأندلس وفي صفحات التاريخ ، لن ترحل أبدا .

دِيوانُ الخُبزَأرزيّ

نصر بن احمد البصري

المتوفى سنة ٣٣٠هـ

(القسـم الأول)

تحقيق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

(عضـو المجمع)

كانت البصرة في عصور تمصيرها الاولى – ونرجو أن تكون كذلك إن شاء الله – بلد العلم والأدب والمعرفة، وقد ضمّتْ جناحيها في كل عصر من تلك العصور على أعداد غفيرة مَن الشعراء المجيدين المبدعين ، ونال كثير منهم أعلى درجات الاهتمام من لدن علماء الأدب ومؤرّخي الشعر على مرّ السنين والقرون ، بل كان بعضهم مصدراً من المصادر الرئيسة في كتب البحث اللغوي والدراسات النحوية ومعجمات اللغة ؛ بفضل ما حفظتْ أشعارهم من ألفاظ ومفردات ؛ أصيلة الجذر ؛ صحيحة البنية ؛ فصيحة الاشتقاق؛ سليمة الدلالة على معناها في حقيقته ومجازه .

وليس بمستكثَرٍ ذلك على البصرة ، فقد كانت داراً من دور العلم البارزة ، ومعهداً من معاهد الثقافة الكبرى ، ومركزاً للاشعاع الفكري على ساحل الخليج العربي أو ساحلَيْه في الأصح . وتخرج على تلك الحلقات جمع كثير من أعلام الفكر والعلم والأدب ، واستطاع هؤلاء – بجهدهم وعبقريتهم – أن يجعلوا من البصرة مدينة متميِّزة ذات طابع خاص ومنهج معروف ، مما لا مجال للاطالة في الحديث عنه في هذه المقدمة .

واذا كان من المتوقع بل من الطبيعي أن يطل علينا خريجو تلك الحلقات بإبداع يثير الانتباه وشموخ يخلب الأبصار ، فان شاعرنا الذي نُعنى بالتقديم لديوانه في هذه السطور قد يكون هو الأحقّ والأولى بالإثارة والعجب ، لأنه لم يكن من الدارسين الذين صقلهم العلم وحنكتهم المعرفة ، ولم يُرزَق حظ الانتماء الى صفوف التلمذة ومجالات التلقّي والرواية عن الأساتذة الأكفاء والشيوخ الأجلاّء . وانما كان يمثّل الفطرة الأصيلة والبداهة الثرّة والسليقة السليمة التي لم تُجلَب بتطرية ولم تمدّ اليها يدٌ بصقلٍ أو تشذيب .

انه شاعر أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب ولا يتهجّى ، ولكنه لا يخطئ ولا يلحن ، على رغم كل موجات العجمة القادمة اليه مع أمواج الخليج الخالد .

وهو انسان كادح مكافح ، ولكنه لم يجد ما يحول بينه وبين جعل محل عمله وكدحه نادياً أدبياً عامراً ، قد يفوق كثيراً من قصور الامراء ونوادي الولاة ودواوين الكبراء .

ولذلك كان هذا الشاعر الأُميُّ الكادح أهلاً للبحث والدراسة والاهتمام ؛ وكان شعره العذب الرقيق أهلا للعناية والتحقيق والنشر .

ولَشَدّ ما يؤسِف أن نجد في اثناء استعراض تاريخ هذا الرجل شيئاً من النقص بل كثيراً من الفجوات ، وسبب ذلك قلّة المعلومات عنه وابتعاد المؤرخين عن رصد تفاصيل سيرته ، لأنه لم يكن من تلك « الفئة » أو « الفئات » التي تستأثر عادةً باهتمام المؤلفين والجامعين للاخبار ؛ في تلك العهود البعيدة .

* * *

انه نصر بن أحمد بن نصر بن المأمون ، ابو القاسم ، البصري ، المعروف بالخبز أرزيّ .

« والخُبْزَ أرْزيُّ : بضمّ الخاء المعجمة وسكون الباء الموحّدة وفتح الزاي وبعدها همزة ثم راء ثم زاي . وفتح الهمزة وضمّها وتشديد الزاي وتخفيفها في الارز يختلف باختلاف اللغات في هذه الكلمة ، وفيها ست لغات : الواحدة بضم الهمزة والراء وتشديد الزاي ، والاخرى بفتح الهمزة والباقي مثل الاولى ، والثالثة أُرْز – بضم الهمزة وسكون الراء وتخفيف الزاي – ، والرابعة مثل الثـالثة لكن الراء مضمومة ، والخـامسة رُزّ – بضم الراء وتشديد الزاي – ، والسادسة رُنْز – بضم الراء وسكون النون وتخفيف الزاي » .

لم نعرف تاريخ ولادته ، ولم يذكر لنا المؤرخون عمره الحقيقي أو التخميني حين وفاته لنستنبط منه تاريخ الولادة بالتحديد أو التقريب . وليس لدينا من علم بنشأته ومسيرة حياته الاّ أنه ولد في البصرة ونشأ فيها ، وانه لم تساعده الحال على التعلم والتأدب فعاش عمره أُمياً لا يتهجّى ولا يكتب ، وانه أصبح في شبابه خبازاً يصنع خبز الارز بدكّان له في المربد كان مقرّ عمله ومنبر إنشاده لشعره ، وأنه قد علتْ به الهمة بعد ذلك فعزم على سكنى بغداد وأقام بها دهراً طويلا ، وكان يحل خلال مكثه فيها بمحلة باب خراسان في الشمال الشرقي من جانب الرصافة ، وكان يقرأ بعضُ الادباء ديوانه عليه في هذه المحلّة . وكان من جملة من قرأ ديوانه وسمع منه شعره من العلماء والادباء :

احمد بن محمد ابن الجندي ، المتوفى سنة ٣٩٦ هـ .

احمد بن محمد بن العباس الأخباري ، كان حيّاً سنة ٣٧٥ هـ .

احمد بن منصور النوشري ، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ . وقد سمع من الخبز أرزي سنة ٣٢٥ هـ .

الحسين بن احمد بن خالويه ، المتوفى سنة ٣٧٠ هـ .

المعافى بن زكريا الجريري ، المتوفى سنة ٣٩٠ هـ .

ثم سكتت المصادر فلم ترو لنا شيئاً من اخبار شاعرنا بعد ذلك ، فبقي الأمر مجهولاً في ضمير الغيب ، فهل امتدّ به سكنى بغداد حتى وفاته أو أنه عاد الى مسقط رأسه البصرة ؟ وهل كان يخبز خبز الأرز ببغداد ويعتاش بما يكسبه من ذلك أو أنّ له مورداً آخر يقوم بشؤون عيشه وحاجات دنياه ؟

واختلف المؤرخون في تعيين سنة وفاته ، فروى ابن الجوزي وابن تغرى بردى أنه توفي سنة ٣٣٠ ه ، وذكر ياقوت انه توفي في سنة ٣٢٧ ه وهي السنة التي اختارها بروكلمان وذكر ما يقابلها في التاريخ الميلادي وهي سنة ٩٣٨ م .

أمّا ما ذكره ابن خلكان وابن العماد من وفاته سنة ٣١٧ ه فهو من الأوهام قطعاً ، بعد علمنا بأن النوشري قد سمع منه شعره في سنة ٣٢٥ ه ، وهذا هو الذي حدا بابن خلكان الى التعليق على تلك السنة بعد ذكرها بقوله : « فيه نظر » .

* * *

وشعر الخبز أرزي – كما سنرى – يمثّل السهل الممتنع بأجلى نماذجه وأصدق مصاديقه . فهو رقيق الديباجة سلس الألفاظ بسيط التراكيب ، ويبدو على بعضه بوضوح أنه من وحي الساعة وفيض الخاطر ارتجالاً أو ما يشبه الارتجال ولعل ذلك هو الذي حمل ابن النديم على أن يصف شاعرنا بأنه « رقيق الألفاظ ، غير بصير بصناعة الشعر » ، وقد صدق ابن النديم فيما قال ، فان صناعة الشعر – وهو شيء غير قول الشعر – عملية فنيّة صعبة المراس ، لا تنسجم مع الارتجال والتظرف وإرسال الأبيات على البديهة خلال الانغمار في عجن الطحين وايقاد النار وإعداد الخبز .

ويروي ابن بسّام عن ابي الريّان قوله في تقويم مجموع هذا الشعر :

« وأمّا الخبز رُزّي : فخليع الشعر ماجنه ، رائق اللفظ بائنه ، كثيرة محاسنه ، صحيحة اصوله ومعادنه ؛ رائقة البزّة ، مائلة الى العزة . تسليه عن الحب الخيانة ، ويربقه الوفاء والصيانة . وله على خشونة خلْقِـه ؛ وصعوبة خُلقه ؛ اختراعات لطيفة ، وابتداعات طريفة ، في ألفاظ كثيفة ، وفصول قليلة الفضول نظيفة . حتى ان بعض كبراء الشعراء اهتدم اشياء من مبانيه ، واهتضم أطرافا من معانيه ، وهو من معاصريه فقلّ من فطن لمراميه » .

وحدّث عدد من المؤرخين ان الناس كانوا يزدحمون عليه ويتظرفون باستماع شعره وملحه ، ويتعجبون من إجادته وهو في مثل تلك الحال والحرفة ، وأحداث البصرة يتنافسون في ميله اليهم وذكره لهم ، ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته .

وكان الشاعر البصري المعروف ابو الحسين ابن لنكك محمد بن محمد بن جعفر المتوفى نحو سنة ٣٦٠هـ ممن استهواهم شعر الخبز أرزي ، فكان يزوره كثيراً ويجلس اليه يحادثه ويسمع شعره ، ثم بلغ به الاعجاب بهذا الشاعر وحبه اياه حدّ القيام بمهمة جمع شعره في ديوان خاصّ به ، ولابد أن ذلك قد تمّ في البصرة ، وإن كنّا لم نعلم متى كان على وجه التحديد ؛ أفي حياة نصرٍ أم بعد وفاته .

وعلى الرغم من إشارة أكثر مؤرخي الخبز أرزي الى جمع ابن لنكك ديوانه ، فان ابن النديم لم يذكر ذلك وربما لم يطرق سمعه ، بل اكتفى بالقول بأن شعره قد عُمِل على الحروف « ونُحِل الى الصولي » ؛ وان حجم الديوان « نحو ثلاثمائة ورقة » (١) .

---

(١) مصادر الترجمة ــ مرتبة على تسلسل الحروف ــ : تاريخ الادب العربي لبروكلمان ــ الترجمة العربية ــ : ٦٢/٢ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ٢٩٦/١٣ ــ ٢٩٩ والذخيرة لابن بسام : ق ٤/مج ١ ٩/١ والذريعة للطهراني:
=

أمّا النسخة التي اعتمدتها في تحرير نصّ الديوان – وهي المحفوظة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، والمأخوذة بالتصوير عن أصلها المحفوظ في احدى مكتبات حضرموت باليمن الجنوبي – فلم أجد فيها إشارة أو ذكراً لابن لنكلك ، ولعلها كانت في الأصل صنعته وجمعه ،ثم اختار منها أديب مجهول ما رجح لديه اختياره فكان هذا الديوان . ولـمّا كانت هذه النسخة – كما يرشدنا التتبع واستقراء الفهارس المعروفة – هي الوحيدة (في الوقت الحاضر) ؛ فليس لنا من سبيل لمعرفة الحقيقة والتثبت من واقع الأمر .

تقع المخطوطة في ٨٣ ورقة ، بمقاس ٢٠ × ٣٠ سم للصفحة الواحدة ، وكان قد حدث بعض الخلل في ترتيب اوراقها فحصل فيها شيءٌ من التقديم والتأخير . وقد قمت بتنظيمها واعادتها الى تسلسلها الصحيح .

جاء في صدر الصفحة الاولى من الأصل ما نصه :

« كتاب ديوان الخابزي (٢) . المصري (٣) ، رحمه الله برحمته ، وأسكنه من دار كرامته ..... (٤) . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .

وجاء في آخر الصفحة الأخيرة منه ما لفظه :

« تمّ بحمد الله الملك العزيز ديوان الأديب نصر بن احمد الخابزري (كذا) ، نهار الربوع (٥) خامس شهر شعبان سنة ١١٩٠ ،بعناية سيدي الجليل

= ٢٨٩/٩ وشذرات الذهب لابن العماد : ٢٧٦/٢ والفهرست لابن النديم : ١٩٥ وكشف الظنون لحاجي خليفة : ٧٨٧/١ واللباب لابن الاثير : ٣٤٣/١–٣٤٤ ومعجم الادباء لياقوت : ٢١٨/١٩ – ٢٢٢ والمنتظم لابن الجوزي : ٣٢٩/٦ – ٣٣٠ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى : ٢٧٦/٣ – ٢٧٧ ووفيات الاعيان لابن خلكان : ١٢/٥ – ١٨ ويتيمة الدهر للثعالبي : ٣٣٧/٢ – ٣٤٠ .

(٢) كذا في الاصل ، يعني الخبز ارزي .

(٣) يعني البصري .

(٤) كلمات مطموسة ربما كانت « آمين آمين آمين » بلا مد ولا نقط .

(٥) يعني الاربعاء .

الهمام العظيم صفي الاسلام احمد بن الحسين بن اسماعيل عبدالله ابن الامام ، غفر الله له ولوالديه ولكاتبه ولقارئه ..... » (٦) .

وقد ابتُلي هذا الديوان بناسخ جاهل بلغ في الجهل غايته ومنتهاه ، فصحّف وحُرّف ومسخ وبدّل ، ولم يكن يفهم من الشعر الا أنه يُكتَب في شطرين ؛ حتى وإن كان بعض أحد الشطرين داخلاً في الشطر الآخر . وسيرى القارىء الكريم الاشارة في الهوامش الى تلك التصحيفات والتحريفات والى مارجح عندي في صواب لفظها وصحة قراءتها ، ولكنني لم أُنبّه على ما عمّ الديوان من غلط الاملاء وسوء الخط لأنه من الكثرة بمكان بل أكثر من الكثير ، كما لم أُنبه – أيضاً – على ما قمتُ به من نَقْط ما أهمل الناسخ نقطه – وهو غير قليل – الا اذا احتمل أكثر من وجه في النقط .

والديوان – بعد ذلك او قبله – مرتّب في الأصل على حروف الهجاء ، ولكن هذا الترتيب لم يسلم من العبث والإخلال ، وربما كان ذلك من فعل بعض الناسخين الجاهلين الذين تداولوا هذا الديوان بالنسخ على مرّ القرون ، أو لعل يداً مخرّبة امتدت اليه فبعثرت اوراقه وأفسدت نظامه بعمد وسوء نية ، إذ ليس من المعقول أو المقبول أن يكون ذلك من عمل جامع الديوان الأول ابن لنكك وهو الأديب الشاعر العارف الخبير .

وأورد فيما يأتي فهرساً بقوافي الديوان كما هي عليه في نسخته الحاضرة ليتضح مقدار ما ابتُلي به الأصل من خلل وتشويش :

قافية الألف ١ / ب	قافية الباء ١ / ب	قافية التاء ٦ / ب
قافية الثاء ٧ / أ	قافية الجيم ٧ / أ	قافية الحاء ٨ / أ
قافية الدال ٩ / ب	قافية الراء ١٩ / أ	قافية الزاي ٣٠ / أ

(٦) كلمات مطموسة لعل أولها : « بحق محمد وآله و ...... » .

[عودالى قافية الراء](٧) ٣٠/ أ قافية الفاء ٣٦ / ب قافية القاف ٤٥/ ب

قافية الكاف ٤٧ / ب (أي ما آخره الكاف ، وإن كان بعضه مسبوقا بالراء أو اللام أو الميم بالتزام ، مما يعد لدى المعنيين ضمن قافية الراء أو اللام أو الميم) .

قافية اللام ٤٩ / أ قافية الميم ٥٤ / ب قافية النون ٥٩ / ب

قافية الواو ٦٤ / ب قافية الهاء ٦٤ / ب قافية اللام ألف ٦٤ / ب (أي اللام المنصوبة)

قافية الياء ٦٧ / ب (ويراد بذلك الهمزة المكسورة الملحقة بضمير الغائب المؤنث ، وقد كتبها الناسخ بالياء بدل الهمزة . والصحيح انها همزة لا ياء) .

[من الراء أيضا] ٦٨/ب قافية الزاي ٧٢ / أ قافية السين ٧٢ /ب

قافية الشين ٧٦ / ب قافية الصاد ٧٦ / ب قافية الضاد ٧٧ / أ

قافية الفاء ٧٧ / ب قافية الراء ٧٩ / أ (٨) .

ومما تجب الاشارة اليه أن نسخة الديوان هذه لم تضم كل شعر الخبز أرزي . فقد وجدتُ في كتب الأدب ومصادره شعراً متناثراً معزواً له لم يرد في الديوان . كما وجدتُ في احدى المجموعات الخطية قصيدة له في (٣٤) بيتاً لم يرد منها في الديوان سوى ثمانية أبيات . وسيتضمن مستدرك الديوان كل ذلك بالتفصيل إن شاء الله . كما سيتضمن بابٌ يليه تخريج جميع ماروت كتب التراث من شعر الخبز ارزي الوارد في أصل الديوان .

---

(٧) ما كان من عناوين القوافي موضوعا بين قوسين معقوفين فهو من وضعي وزياداتي ، أما ماعدا ذلك فقد ورد بالنص في أصل الديوان .

(٨) ابقيت القوافي ـ في النشر ـ على هذه الحالة من التشويش وعدم الترتيب ، وسيتولى فهرس القوافي مراعاة التسلسل والتنظيم ان شاء الله .

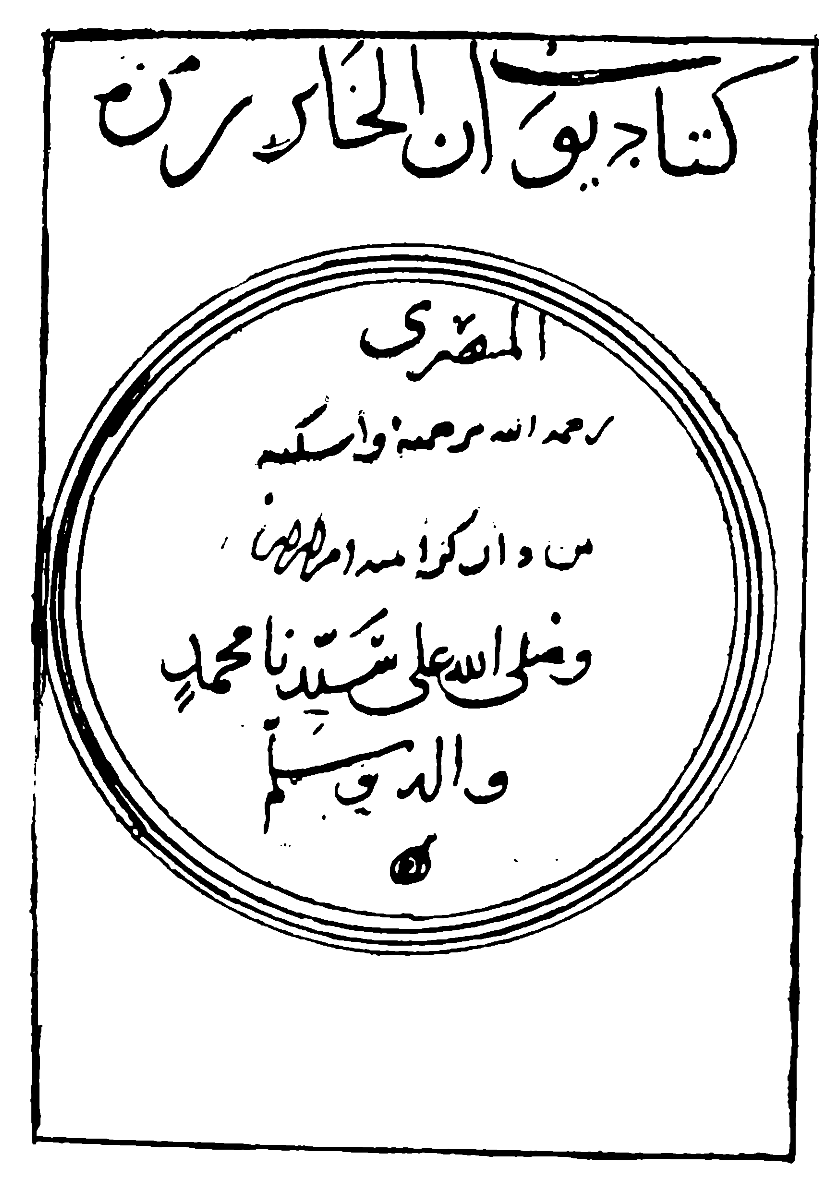
وقد وضعتُ لكل واحدة من قصائد الديوان ومقطعاته رقما خاصاً بها ؛ للرجوع اليه عند التخريج أو الاستدراك أو بيان الفروق والاختلاف في الروايات ، كما وضعت لكل بيت داخل القصيدة أو المقطعة رقماً خاصاً أيضاً للغرض نفسه .

* * *

وبعد :

فليس لديَّ ما أقوله في الختامِ الا اني قد أفرغتُ غاية جهدي وجدّي في تحقيق هذا النص الشعري القيم ، ولست معصوماً في ذلك من الخطل والزلل لأن الكمال المطلق لله وحده . وسيجد القارىء في تضاعيف الديوان الكثيرَ من الألفاظ التي لم أُحسن قراءتها ولم أهتد الى الصواب فيها ، لرداءة الخط وجهل الناسخ . ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق والتسديد ، انه خير مسدِّد وموفق ومعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



كتاب ديوان الخبزارزي

البصري

رحمه الله رحمة واسعة

من دار كرامته امين

وصلى الله على سيدنا محمد

وآله وسلم

ه

« صورة الصفحة الاولى من النسخة الأصل »

بسم الله الرحمن الرحيم قافية

الالف

قال الاديب الاجل نصر بن احمد الخبزارزي

سبيهم عنبر من علاله هام .. ومثال نور من ادم وحواء
حلى لولؤ رطبا مغشى بجوهر .. مغطى بنور على رقة وصفاء
لقد رحم الرحمن من قد حسنه .. محلله من نوره برداء
واملكا في الحسن حين حبوته .. فمر بنور في ضيا ضياء
تسربل سربال الامر الحسن وارتدا .. ردا جمال طرز ابهاء
عجزت به لسنا عن حسن وصفه .. على انني من افصح الشعراء
فلو انه في عهد يوسف قطعت .. قلوب رجال لا الاكف نساء
سمعوا صد .. فيملا من غير هنك دماء

قافية البا

ولقد .. ويحرك من يهواك بلي ويغطب
لقد جعلته مذ منت لم تطعم الكرى .. وقلبي على جمر الغضا يتقلب
سقاني الهوى سم العراق وداوني .. فعندك ترياق الوصال مجرب
طرحت لعلمي من طم الاسى والمنى .. فاصبح في لجج الهوى يتضرب

« صورة الصفحة الثانية من النسخة الاصل »

وانصر جنى على ياسي فانها حيا عن حالي بالغ و مسعر

ما حسب الطلب حل اليوم مثل انه حق ان يسوف الشوق في [illegible]

و والطالبها

تمام له صورة سعد الصورا • يا جامعا من جميع الخلق معتصرا

ان كنت حسبك اذا كان الذنب معتذرا • واذنب الان وارجع بعد معتذرا

سمعا الذلك ذنبا كان لي سببا • الى وصالك عن [illegible] ما هجرا

ذا الوجه ليس بمعصوب على [illegible] • تعصب على مثل هذا الوجه قد حسرا

دع وصف حسن حين يذكره • وان حسن [illegible] تجاوز العذرا

اني وشبان صدق حوله الحلواء كواكبا وحلى [illegible] قمرا

فلو يرا حسنه من بين [illegible] • لعلمت [illegible] الورا

تم بحمد الله الملك [illegible] ديوان الاديب نصر بن احمد

الخبزرزي [illegible] في نهار [illegible] ربيع [illegible] سنة [illegible]

[illegible] ٩٠ [illegible] العام

[illegible] الجليل [illegible] صفي [illegible]

احمد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

« صورة الصفحة الاخيرة من النسخة الاصل »

[١ / ب]

بسم الله الرحمن الرحيم

(قافية الألف)

قال الأديب الأجلُّ نصر بن أحمد الخُبز أرزي (١) :

[١]

١ – نسيم عبيرٍ في غلالـة ماءِ   وتمثـال نور في أديم هواءِ
٢ – حكى لؤلؤاً رطباً مُغَشّى بجوهرٍ   مصفّى بفرطَيْ رقـةٍ وصفـاءِ
٣ – لقد رحم الرحمنُ رقة (٢) جسمه   فجلّله من نـوره برِداءِ
٤ – يُرى مَلَكاً في الحسن في جبروته   فمن نور نـورٍ في ضيـاء ضياءِ
٥ – تسربل سربالاً من الحسن وارتدى   رداءَ جمالٍ ، طُـرِّزا ببهـاءِ
٦ – تحيَّرتُ فيه لستُ أُحسِن وصفَه   على أنني مـن اوصف الشعـراءِ
٧ – فلو أنه في عهد يُوسف قطَّعتْ   قلوبُ رجالٍ لا أكُفُّ نسـاءِ
٨ – يُدير إداراتٍ (٣) بسيفَيْ لحاظهِ   فيقتلنا (٤) من غير سفك دمـاءِ

(قافية البـاء)

[٢]

[وقال أيضاً] (٥) :

١ – .. .. .. (٦) وتطـربُ   وتتـرك مَنْ يهواك يبلى ويعطبُ

---

(١) في الأصل : الخابز رز .
(٢) في الاصل : « دقة » وهو تصحيف .
(٣) ورد في الاصل بياض بمقدار كلمتين ، وقد اثبتنا (يديرادارات) من مجموع المكتبة الظاهرية المخطوط .
(٤) في الاصل : « قيقتلنا » ، وربما كان الأولى : « فتقتلنا » أو « فيقتلننا » .
(٥) سقطت من الاصل .
(٦) بياض في الاصل .

٢– له مقلة مذ غبتَ لم تطعم الكرى | وقلب على جمر الغَضى يتقلّبُ
٣– سقاني الهوى سمَّ الفراق فداوِني | فعندك ترياق الوصال مُجرَّبُ
٤– طرحتَ لقلبي قِرْطم الأنس والمنى | فأصبح في فَخٍّ (٧) الهوى يتضرَّبُ
٥– [٢ أ]تقطعت الأسبابُ بي في هواكم | فو اللهِ ما أدري بما أتسبَّبُ
٦– فلا تسألنّي كيف حاليَ بعدكم | فما حال جسمٍ روحُه عنه يُحجَبُ
٧– فمن غاب عن عينَيْهِ وجه حبيبه | فعن روحه روحُ الحياة يُغَيَّبُ
٨– وما حال مَنْ ذاق النعيم وطيبَه | وأصبح من بعد النعيم يُعذَّبُ
٩– سرورُ الهوى أحلى من العيش كلّه | وكربُ النوى (٨) من غصّة الموت أكربُ
١٠– دُفِعتُ الى التنغيص من بعد لذةٍ | وأُبعدتُ عما كنُت منه أقرَّبُ
١١– لقد كنت في رَوْح الجنان منعماً | فأصبحتُ في نارٍ عَلَيَّ تَلَهَّبُ
١٢– وأصعب شيءٍ شقوةٌ بعد نعمةٍ | أجَلْ[و](٩) القلى بعد التلطف أصعبُ
١٣– اذا ما دعوتُ الصبرَ لبّاني الهوى | فشوقي نكر(١٠)واصطباري مذبذبُ(١١)
١٤– اذا اعتلجا في القلب: شوق مبرح | وصبر ، فان الشوق لاشكَّ أغلبُ
١٥– سقى الله ليلاً كنتُ فيه أزورُكم | وأخرج عنكم خائفاً أترقَّبُ
١٦– هناك سرور أنت فيه مؤمَّر | وحولك من جيش اللذاذة موكبُ(١٢)

(٧) في الاصل : « فج » ، والصواب ما اثبتناه بقرينة القرطم المطروح لقلبه وهو بكسر القاف والطاء وضمهما – حب العصفر او ثمر العصفر يأكله الطير . وقوله : « يتضرب » اي يضطرب ويموج ويتحرك .

(٨) في الاصل : « وكرب الهوى » وهو تصحيف .

(٩) سقط من الاصل .

(١٠) كذا في الاصل بهذا الرسم وبلا نقط . ولعله (مكين) أو (بكير) من بكر الرجل وبكر اي اسرع ، وربما كان (بليد) من بلد بالمكان اي اقام ، او (تليد) من تلد يتلد وتلد يتلد اي اقام .

(١١) مذبذب : اي مطرود او متردد .

(١٢) في الاصل : مركب .

١٧– فإنْ كنتَ قد أقصيتني ونسيتني[١٣] فأنت الى قلبي (١٤)من القرب أقربُ
١٨– فلا كانت الدنيا اذا كان عيشها ولذتهـا كالثوب يبـلى ويُسلَـبُ

[٣]

وقال أيضاً :

١– صار التغزُّل في هواه عتـابا فهـواه يمزج بالنعيـم عـذابـا
٢– ما ضرَّ مَنْ أخلصتُ في دين الهوى لرضـاه لو جعـل الوفاء ثوابـا
٣– نقض العهودَ وحلَّ عقدَ ضمانهِ من بعدمـا عذب الوصـالُ وطابا
٤– وأمنتُه فأتاح لي مـن مأْمنـي غدراً ، كذا مَنْ يأمن الأحبـابا
٥– [٢-ب] فاذا أردتُ عتابه لجناية[١٥] جعـل التقطُّب للعتـاب جـوابـا
٦– خدع الوساوس لم يُزل لي حيله[١٦] حتى أمنتُ على الغـزالِ كـلابـا
٧– ان السـلوَّ لَرَاحـةٌ وصـيانة للحـرِّ لو أن السـلوَّ أجـابـا
٨– ومن العجائب أن يُذيبَ مفاصلي مَنْ لو جرى نَفَسي عليه لـذابا
٩– إلفٌ يعاقبنـي لأني محسـن أرأيتَ إحســانـاً يجرُّ عقـابـا
١٠– جربتُ أيماناً له فو[جد](١٧)تها كذبـاً فصرتُ بصدقهـا مُرتابـا
١١– فَدَعِ التصابي للشـباب فـانه وَصْم على ذي الشيب أنْ يتصابى
١٢– وامدحْ رئيسَ بلاغـةٍ وكتابةٍ زانَ الولاةَ وشـرَّف الـكُتّابـا
١٣– يا أحمد بن عـليّ(١٨) البَاني العلاَ والمُسـتعدُّ لـكل خطبٍ نـابـا

---

(١٣) في الاصل : وكسسى .
(١٤) في الاصل : الافنلى .
(١٥) في الاصل : « لجناته » ، وارجح أن يكون تصحيف « لجفائه » .
(١٦) هكذا ورد صدر البيت في الاصل .
(١٧) زيادة لابد منها .
(١٨) لعله ابو الحسين البريدي المقتول سنة ٣٣٣هـ ، وكان له شأن في البصرة (يراجع الكامل لابن الاثير ٦/٢٦٠ و ٢٨٥ و ٣١١) .

١٤ــ أملي اليك تطلّعتْ أسبابُه ... والجاه منك يولِّدُ الأسبابا
١٥ــ واليك أبواب الرجاء تفتّحتْ ... فافتحْ لهنَّ من العناية بابا
١٦ــ وأثِرْ رِياحَ وسائلٍ لمؤمِّلٍ ... فعسى يُثِرْنَ من النجاح سحابا
١٧ــ واقصِد (١٩) بأذرعك الذريعةانها ... تكسوكَ من حُسن الثناء ثيابا
١٨ــ واعلمْ يقيناً انه لم ينتصبْ (٢٠) ... لشفاعةِ الآ الكريم نصابا (٢١)
١٩ــ هذا النبيُّ مُكرَّماً (٢٢) بشفاعةٍ ... للناس إذ لا يملكُون (٢٣) خطابا
٢٠ــ ولقوله ــ صلّى عليه إلهُهُ ــ ... وكفى بما قال النبيُّ صوابا
٢١ــ نعم عليكم ذي (٢٤) الحوائج عندكم ... واللهُ أوْجَبَ شكرَها ايجابا
٢٢ــ واذا أحبَّ اللهُ عبداً منكم ... أجرى على يدِهِ النجاحَ مثابا
٢٣ــ وكفى بآداب المبارك (٢٥) قدوةً ... وهُدى لمَنْ يتخيَّر الآ دابا
٢٤ــ [٣-أ] فافهم هديتَ وأنتَ غير مفهَّمٍ ... ان الصَّنائع يمتلكْنَ رقابا
٢٥ــ واذا الخلائق في الرقاب تفاضلتْ ... كانت فضائلهم لها أنسابا
٢٦ــ واللهُ عن علم أتاك (٢٦) مواهباً ... إذ كنتَ تُحسِن تشكر الوهّابا
٢٧ــ فبسطتَ للحاجات نفساً رحبةً ... لو قُسِّمتْ خِططاً لَكُنَّ رِحابا
٢٨ــ وخلائقاً (٢٧) لك عذبة لو أنها ... ماءٌ لَجُرِّدَ (٢٨) للملوك شرابا

---

(١٩) القصد ــ هنا ــ بمعنى التوجه واتيان الشيء ، ولعل الذريعة صفة للاذرع بمعنى السريعة . وربما كان الاصل تصحيف (وافصد) بالفاء من فصد له عطاء اي قطع له وامضاه .
(٢٠) في الاصل : لم ينصب .
(٢١) النصاب : الاصل .
(٢٢) كذا في الاصل بالنصب .
(٢٣) في الاصل : لم يملكون .
(٢٤) في الاصل : «في» ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(٢٥) يعني بالمبارك النبي ــ ص ــ .
(٢٦) يريد بأتاك : آتاك .
(٢٧) في الاصل : وخلائق .
(٢٨) في الاصل : « لحرر » ، ولعل الصواب ما اثبتناه ، وهو بمعنى : لجعل للملوك وقصر عليهم .

٢٩– وقريحة نوريَّةٌ لو جُسِّمتْ كانت لإفراط الذكاء (٢٩) شهابا
٣٠– ومواعداً لك ينبجسن ينابعاً (٣٠) إذْ وعد غيرِك (٣١) يستحيل سرابا
٣١– ومكارماً تابعتَهـــنّ كأنما تقْرا بهنّ (٣٢) على الأنام كتابـا
٣٢– والله يعلم حيث يجعل فضلَه وكفى بذلك للحســود جــوابـا
٣٣– هذا مقال من فعالك يحتذى(٣٣) فاسمعه لا لغواً (٣٤) ولا كِذّابـا
٣٤– يمتاز فعلُك بين أفعال الورى تبراً ويترك ما سواه ترابـا (٣٥)
٣٥– خُذْها اليك ابا الحسين عروسةً زُفّتْ اليك علا النهود (٣٦) شبابـا
٣٦– فاذا بدتْ من خدرها جعلت لها حركات أفهام الرجال نهـابـا
٣٧– فيظن سامعُها لحُسْن نظامها أنْ قد نثرتُ لسامعيه سِخابا (٣٧)
٣٨– ويظن منشدها(٣٨)لعذب كلامها أنْ قد ترشّف للحبيب رضابـا
٣٩– لازلتَ مبسوط اليدين بنعمةٍ وبسطوةٍ كي ترتجى وتهابا[٣/ ب]

[٤]

وقال أيضاً :

١– أرى النفس في شغل لفقد حبيبها فما تَتَهنّا بالوصال (٣٩) وطيبها

(٢٩) في الاصل : لاقراط الذكا .
(٣٠) وردت هذه الكلمة في الاصل بلا نقط ، والوارد في المعجمات : ينابيع ، ولعله تصحيف (منابعاً) .
(٣١) في الاصل : عزك .
(٣٢) في الاصل : يقرأ لهن ، ولعل الصواب ما أثبتنا .
(٣٣) الكلمة في الاصل غير منقوطة ، ولعل ما أثبتناه هو الصحيح ، وهي بمعنى (يقتطع) ، مشتقة من الحذية – بالكسر – وهي ما قطع من اللحم .
(٣٤) في الاصل : لا لغو .
(٣٥) في الاصل : سرابا وسروك ما سواه بوابا ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .
(٣٦) كذا في الاصل .
(٣٧) السخاب : القلادة .
(٣٨) في الاصل : منشهدها .
(٣٩) كذا في الاصل ، وكلمة (بالوصال) محرفة .

٢– فيا مَنْ شجاني بالفراق تركتني أُسائل عنك الريحَ عند هبوبها
٣– سقامي تبرا (٤٠) أنت تعرف طبَّه وهل يعرف الأسقامَ غيرُ طبيبِها

[٥]

وقال أيضاً :

١ – يا غريبَ الحُسن هَبْ لي منك إحساناً غريبا
٢ – أنتَ مولايَ فكُنْ لي أيها المولى حبيبا
٣ – انَّ مَنْ كُنتَ له أنْـ ـتَ سقاماً و طبيبا
٤ – فلقد نال من الدُّنـ ـيا وفي الدنيا نصيبا

[٦]

وقال أيضاً :

١– لا أستطيع من الضَّنى شكوى الضَّنى ويكاد ما بي أنْ يرقَّ لِمابي
٢– لاصبر لي، أنى(٤١)عليك تصبري والتيهُ دابُكَ والتذلُّل دابي
٣– فخلعتُ في خلع العذول تجملي(٤٢) ولبستُ ثوبَ السقم تحت ثيابي
٤– لا تمزجوا كأسي فان مدامعي تكفي وتفضل عن مزاج شرابي

[٧]

وقال أيضاً [٤ / أ] :

١ – اذا ما استبدل الوامـ ـقُ بُعْدَ الدار بالقربِ

(٤٠) كذا في الاصل ، ولعله «تنزى» من التسرع والتوثب ، أو انها محرفة من « سقامي سر » .
(٤١) في الاصل : « أبى » . ولا وجود لهذا الفعل في المعجمات .
(٤٢) كذا في الاصل ، وربما كان « الخلع » الاول بمعنى النزع ، و « الخلع » الثاني من قولهم : خلع عذاره : اي القاه عن نفسه فعدا بشر .

٢ – ولم يبق سوى الأخبا ... رِ والرُّسل مع الكُتبِ
٣ – فقد رَثّتْ قُوى العهدِ ... كما رثّت قوى الحُبِّ
٤ – ومَنْ غاب عن العيْنِ ... فقد غاب عن القلبِ

[٨]

وقال أيضاً :

١ – رأيتُ مُحبّاً يداوي حبيبا ... فكاد فؤادي له أنْ يذوبا
٢ – وشبّهتُ شكواه في رفعه(٤٣) ... بشكوى عليلٍ يُداوي (٤٤) طبيبا

[٩]

وقال أيضاً :

١ – أستغفرُ اللهَ و[أستغفر](٤٥)الـ ... محبوبَ من ذَنبَيْنِ في ذنبِ
٢ – [إنْ] نظرتْ عيني الى غيره ... بشهوة هَمَّ بها قلبي
٣ – فقد عصيتُ اللهَ في نظرتي ... وخُنتُ من أهوى بلا عتبِ
٤ – فعائذٌ بالله من نظرةٍ ... فيها فساد الدِّين والحبِّ

[١٠]

وقال أيضاً [٤ / ب] :

١ – قالوا ولو صحَّ ما قالوا لفُزتُ به ... مَنْ لي بتصديق ما قالوا بتكذيبِ
٢ – عَليَّ والله فيما (٤٦)شيعوا كذبوا ... ككذب أولاد يعقوبٍ على الذِّيبِ
٣ – أستودع الله احباباً حُسِدتُ بهم ... غابوا وما زوَّدوني غير تثريبِ
٤ – بانوا ولم يقضِ زيدٌ منهم وطراً ... ولا انقضتْ حاجةٌ في نفس يعقوبِ

(٤٣) كذا في الاصل .
(٤٤) في الاصل : « ينادى » وهو تصحيف .
(٤٥) زيادة يستدعيها السياق ، سقطت من الناسخ .
(٤٦) في الاصل : « فيها » ، وهو تصحيف .

[١١]

[وكتب اليه ابو الحسين ابن لنكك] (٤٧) :

لنصرٍ في فؤادي فضل حبٍّ ... انيف (٤٨) به على كلّ الصحابِ
فمن حبي له وهوايَ أسمو ... اليه بالمزاح و بالدعاب
قصدناه فبخّرنا (٤٩) بخوراً ... من السَّعَف المدخّن (٥٠)بالتهابِ
فقمتُ مبادراً وظننتُ نصراً ... يريد بذاك طردي أو ذهابي
فقال : متى أراكَ ابا حسينٍ ؟ ... فقلت له : اذا اتّسخَتْ ثيابي

[فأجابه الخبز ارزي(٥١)] :

(٤٧) في الاصل : « وقال أيضا » ، وذلك من اوهام الناسخ ، والتصحيح من المصادر الاتية ، وللشعر قصة وردت في تاريخ بغداد : ٢٩٩/١٣ والمنتظم: ٣٢٩/٦ ومعجم الادباء : ٢١٩/١٩ ووفيات الاعيان : ١٥/٥ ، قالوا :
حدث « ابو محمد عبدالله بن محمد الاكفاني البصري قال : خرجت مع عمي ابي عبدالله الاكفاني الشاعر وابي الحسين ابن لنكك وابي عبدالله المفجع وابي الحسن السباك في بطالة عيد ، وانا يومئذ صبي أصحبهم ، فمشوا حتى انتهوا الى نصر بن احمد الخبزارزى ، وهو جالس يخبز على طابقه ، فجلست الجماعة عنده يهنونه بالعيد ، ويتعرفون خبره ، وهو يوقد السعف تحت الطابق ، فزاد في الوقود فدخنهم ، فنهضت الجماعة عند تزايد الدخان . فقال نصر بن أحمد لابي الحسين ابن لنكك: متى أراك ياابا الحسين ؟ فقال له ابو الحسين : اذا اتسخت ثيابي . وكانت ثيابه يومئذ جددا على انقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد ، فمشينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا الى دار ابي احمد بن المثنى . فجلس ابو الحسين ابن لنكك وقال : ياأصحابي ان نصرا لا يخلي هذا المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه ، ويجب ان نبدأه قبل ان يبدانا ، واستدعى دواة وكتب » ثم أوردوا الابيات وجواب نصر عليها.
(٤٨) في الاصل : « اسق » ، والتصحيح من المصادر المذكورة في الهامش السابق .
(٤٩) في الاصل : « محرسا » .
(٥٠) في الاصل : « فى بحور الشعف المدحن » .
(٥١) في الاصل : « وقال أيضا » ، وقد أثبتنا ما يقتضيه السياق .

١ــ احدتُ(٥٢) ابا الحسين صميم ودي　فـداعبني بـألفـاظٍ عِـذابِ
٢ــ رأيتُ جلوسَه عندي كعرسٍ　فجُدتُ لـه بتمسيك الثيـابِ
٣ــ وبغضي للمشيب(٥٣) أعد عندي　كُمَيْتاً (٥٤) لونه لونُ الخضابِ
٤ــ وإنْ كان التقـزز منه فخراً　فلِمْ يُكْنى الوصـيُّ ابا ترابِ

[١٢]

[٥ / أ] وقال أيضاً :

١ــ اذا لم نطبْ (٥٥) في ذا الزمان وطيبه　فليس لنـا في الطيِّبات نصيـبُ
٢ــ على حُسن أيام الربيع وطيبهـا　وقـد تحسن الدنيـا بـه وتطيبُ
٣ــ أجبْ داعيَ اللذات، والورد قائم　على منبـر اللذات وهـو خطيبُ
٤ــ فيا ورد أمْتِعنْا بطيبٍ وبهجةٍ　فأنـت لتشبيه الحبيب حبيـبُ
٥ــ وروِّحْ قلوبَ العاشقين وحبها(٥٦)　وهل لُقيتْ(٥٧) للعاشقين قلوبُ

[١٣]

وقال أيضاً :

١ــ أتَـوني بالطبيـب فساءلُوه　فلم يَدرِ الطبيـبُ بمـا يجيـبُ
٢ــ سقاني شربةً لم تُغنِ شيئـاً　سوى أن زاد(٥٨) في القلب اللَّهيبُ

---

(٥٢) كذا في الاصل ، ولعله « أجزت » أي أعطيته اياه جائزة ، وفي المصادر المتقدمة الذكر : منحت .
(٥٣) في الاصل : « وبعطى للشباب » ، وهو من تصحيف الناسخ ووهمه .
(٥٤) في الاصل : « لمسته » ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، وفي المصادر المارة الذكر : سوادا .
(٥٥) كذا في الاصل ، وربما كان تصحيف « نصب من » أي نأخذ ونتناول .
(٥٦) كذا في الاصل ، ولعله تصحيف : « وحيها » من التحية .
(٥٧) كذا في الاصل وبضم اللام ، ولعل الصواب : «بقيت» .
(٥٨) في الاصل : « سوى مازاد » ، وهو تحريف يخل بحركة القافية .

٣– فقلتُ له : ألا دعني لدائي (٥٩) وقـم واذهـبْ لشأنك يـا طبيبُ
٤– دوائي في يديْ من كان دائي(٦٠) فقال : وما الدَّوا ؟ قلتُ : الحبيبُ

[١٤]

وقال أيضاً :

١– أخي لا تؤاخذني وإن كان لي ذنبُ فليس على العشاق في فعلهم عتبُ
٢– وعدتُك وعداً عاقني عنه عائق وللناس أسباب لها يُقلَبُ(٦١)القلبُ
٣– لقد فاتني كلُّ المنى حين فاتني مشاهدُك الحسنى ومنطقُك العذبُ
٤– [٥/ ب] لئن كان لي خل عليك مقدماً اذا ذُكِر الخلاّنُ عنديَ والصحبُ
٥– لخالفتُ(٦٢) توحيدي وعفتُ أئمتي وملتُ الى الجبتِ المضلل والنصبِ(٦٣)
٦– ولولا التصابي(٦٤) كان في الحسن مذهبي فلاحاً (٦٥) ولكن ليس يفلح من يصبو
٧– تحيَّرتُ في تركِ الحبيب وترككم ففي تركه لهو(٦٦) وفي [تر](٦٧) ككم ذنبُ
٨– وقال فؤادي ليس يعذرك الإخا على جفوةٍ إذ ليس يعذرك الحِبُّ
٩– ولـمّا رأيتُ القلبَ سهَّل سخطكم ليرضى الهوى أيقنتُ ان الهوى صعبُ
١٠– ولـمّا خشيت الموتَ كذبت وعدكم فقولوا أكان الموتُ خيراً أم الكذبُ
١١– ولم تتغالب شـهوةٌ ومروَّة فيفترقا الاّ وللشهوة الغلـبُ

(٥٩) كذا في الاصل ، ولعله : بدائي .
(٦٠) في الاصل : داء .
(٦١) كذا في الاصل ، ولعله : « يغلب » ، او « يقلب » اي يصرف عن وجهه .
(٦٢) في الاصل : « فحالفت » ، والصواب ما اثبتناه .
(٦٣) في البيت اقواء .
(٦٤) في الاصل : « ابصابى » .
(٦٥) في الاصل : « فلاح » ، وهو من اوهام الناسخ .
(٦٦) كذا في الاصل ، ولعله تصحيف « زهو » اي ظلم ، او «دهي» اي الامر العظيم .
(٦٧) زيادة لابد منها .

١٢– ولم يَثْنِنِي التقصير عنكم وانما ثنى عزمتي لما انثنى الغُصُنُ الرطبُ
١٣– لقد ذُبتُ إذ أبدى اليَّ مضاحكاً كما ذاب شيطان تقض (٦٨) له شهبُ
١٤– اذا زاد في (٦٩) التقبيل زدتُ تحشماً فذاك نِهابٌ في الوصال وذا نَهْبُ
١٥– ويبذل لي بشراً وأُعطيه غيره (٧٠) فبعض المنى عطبٌ وبعض المنى عصْبُ (٧١)
١٦– ومال الى سخف فملتُ ولم أكن سخيفاً ولكنْ كلُّ شيءٍ له طبُّ
١٧– فحلتْ عقود(٧٢) إذ تحلل محكه(٧٣) ودارتْ رحى الكذان(٧٤) اذ ركّب القطبُ
١٨– وفزتُ بشيءٍ بين جدٍّ ولعبةٍ ويارُبَّ جدٍّ كان أوَّلَــه اللَّعِــبُ
١٩– فلو انني كنت استشرتك لم تشرْ عليَّ ببُعد الإلف إذ أمكن القرب
٢٠– ولولا ارتقاني في رضاك لما اعدمت بكشف امورٍ كان في دوِّها حجبُ(٧٥)
٢١– من العذل أخشى، انمن كان موجعاً له العذل يوماً ليس يؤلمه الضَّرْبُ
٢٢– [٦-أ] وقد يخلص الاخوان من بعد عثرة كما تستهبُّ(٧٦) الخيل من بعدما تكبو
٢٣– وأيّ جواد لم تكن منه هفوة وأي حســام في الأحايين لا ينبــو
٢٤– ترابي بطهف الغدر عندي(٧٧) لصاحبٍ له الكرم المأثور والخلق الرحــب

---

(٦٨) في الاصل : « نفض » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(٦٩) في الاصل : بي .
(٧٠) في الاصل : « واعطب عيره » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(٧١) في الاصل : « غضب وبعص المنى غضب » ، ولعل ما اثبتناه هو الصواب. والعطب : اللين . والعصب : الشد والقهر .
(٧٢) في الاصل : عقودا .
(٧٣) المحك : الغضب والتمادي في اللجاجة ، وتحلل : من الحل نقيض الشد .
(٧٤) في الاصل : « ورادت رحا الكداب » ، ولعل الصواب ما اثبتناه ، والكذان: حجارة كأنها المدر .
(٧٥) هكذا ورد البيت في الاصل ، ولم نهتد الى قراءته على الوجه الصحيح .
(٧٦) في الاصل : « كما شهب » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(٧٧) كذا في الاصل .

٢٥ـ فان قلتَ هل يجفى الصديق لأمرد فلا عجب إذ كان يعصى به الربُّ
٢٦ـ فلا تدنسنْ اخلاقك الغرَّ بالقلى فحيث يكون الجورُ[٧٨] لا يحمد الخصبُ
٢٧ـ وما الأنس الاّ حيث يستطلع الرضا وما الرعي الاّ حيث يستعذَب العشبُ
٢٨ـ وما شاني الاخلاص في الود والهوى وما الأكل من شاني هناك ولا الشربُ[٧٩]
٢٩ـ ولست أُحبُّ الفضل من غير وجهه كما لا تُحَبُّ الشمس مطلعها الغربُ
٣٠ـ فدونك أمثالاً من الدرِّ نظمتْ سموطاً ولكنْ ما تخلَّلها ثقبُ
٣١ـ ستذكر قولي عند كل طريفةٍ يذكرك للداري[٨٠] اذا استطرف النعبُ[٨١]

[١٥]

وقال أيضاً :

١ ـ أنا في وحشتي (٨٢) غريب بحبي لغزالٍ في حُسنه كالغريبِ
٢ ـ لي حبيب أضحى حبيباً الى النا س بحُسنٍ مُقلِّبٍ للقلوب
٣ ـ صرتُ مثل القضيب يبساً لوجدي برشيقٍ في قدِّه كالقضيبِ
٤ ـ [٦/ ب] فكأنّا اذا اعتنقنا قضيبٌ جفَّ فالتفَّ في قضيبٍ رطيبِ

[١٦]

وقال أيضاً :

١ ـ أُدير في العائدين طرفي (٨٣) عسى أرى طلعة الحبيبِ
٢ ـ لاتسألوا عنيَ الأطبّا فانني عارف طبيبي
٣ ـ كأنكم بي يقال هذي جنازة العاشق الغريبِ

(٧٨) في الاصل : الجود .
(٧٩) كذا البيت في الاصل ، ولم نعرف المراد من « شاني » .
(٨٠) كذا في الاصل ، ولعله : « تذكرك الداري » ، والداري : العطار .
(٨١) الكلمة مهملة النقط في الاصل ، ولم توصلنا كل التقليبات الى قراءة صحيحة .
(٨٢) في الاصل : وحستى ، وما اثبتناه هو الاقرب الى رسم الاصل .
(٨٣) في الاصل : فى العامد نضرفى .

(قافية التاء)

[١٧]

قال :

١ – غصص الفراقِ مُزِجْنَ بالحسَراتِ ... وفراق مَنْ أهوى فراق حياتي
٢ – عجب لمَنْ يبقى لبُعْد حبيبه ... أنْ لايموتَ بكثرة الزفراتِ
٣ – موت البريَّة عند وقت وفاتِها ... والعاشقون لهم فنون مماتِ
٤ – مَنْ لم يَذُقْ طَعْمَ الصبابةوالهوى ... ويكون صباً عُدَّ في الأمواتِ

[١٨]

وقال أيضاً :

١ – لمّا عفوتُ ولم أحقد على أحَدٍ ... أرحتُ نفسيَ من هَمِّ العداواتِ
٢ – انّي أُحَيِّي عدوّي عند رؤيَتِه ... لأدْفَعَ الشَّرَّ عني بالتحياتِ
٣ – ولستُ أبغي وإنْ بَغْيٌ تكنَّفني(٨٤) ... كفانيَ البغيَ جبّارُ السَّماواتِ
٤ – والغلُّ والحقد مَنْ يخلعْ لباسَهما ... فقد تلبَّس أثوابَ الدَّيانات
٥ – [٧/أ]أُخْفي جميلاً كما أُبدي، ويسترني ... من البليّات علامُ الخفيّاتِ

[١٩]

وقال أيضاً :

١ – كم تَنعَّمْتُ في الهوى وشقيتُ ... كم وكم متُّ فيه ثم حييتُ
٢ – إنْ أكنْ ربما سخطتُ على الدهـ ... ـر لذنبٍ فطال ما قد رضيتُ
٣ – نغص اللهُ حاسداً نغص العيـ ... ـش وقد طال (٨٥) للحبيب المَبيتُ
٤ – مايريد الحسودُ منّا (٨٦) ولكنْ ... كلُّ شيءٍ من المَقيت مَقيتُ

---

(٨٤) في الاصل : « يكففني » ، وتكنفني : اي احاط بي .
(٨٥) كذا في الاصل ، واظنه تصحيف « طاب » .
(٨٦) كذا في الاصل .

[٢٠]

وقال أيضاً :

١ - أكبرُ الآدابِ فيمن حازها مَنْ اذا حُدِّث بالشيءِ نَصَتْ
٢ - رحم اللهُ من العالَم مَن حَضَرَ الناسَ بخيرٍ(٨٧) أو سكتْ

(قافية الثاء)

[٢١]

قال :

١ - رجوتُ الصبرَ عنك فراث صبري وقدماً كان صبري(٨٨) لا يريثُ
٢ - فقلتُ تمثُّلاً لك: ليت شعري (متى يأتي غياثُك مَن تُغيثْ)(٨٩)

(قافية الجيم)

[٢٢]

قال :

١ - انظرْ الى غُنْجِ هذا الفاتنِ الغَنِجِ تنظرْ الى بَهِجٍ بالطرف مبتهجِ
٢ - [٧/ ب]انظر الى مَن تجلى نورُه فجلا أبصارَنا فمتى تنظُرْهُ تَختلجِ
٣ - يرمي(٩٠) العيونَ ويستدعي القلوبَ ويسـ تصفي العقولَ ويستولي على المُهَجِ

(٨٧) في أساس البلاغة : « حضرت الامر بخير : اذا رأيت فيه رأيا صوابا » .
(٨٨) في الاصل : «صبرك» ، والسياق يقتضي ما اثبتناه . وراث : اي ابطأ
(٨٩) في الصحاح (تركيب غوث) : « قال العامري :
بعثتك مائرا فلبثت حولا
متى يأتي غواثك من تغيث
وفي اللسان (غوث) : « قال ابن برى : البيت لعائشة بنت سعد بن ابي وقاص » .
(٩٠) كذا في الاصل ، وربما كان الفعل مصحفا ، كأن يكون « يوهي » أو « يرخي » مثلا .

٤ – أمير حُسنٍ بدا للناس في خِلعٍ   من البهاء بشكلٍ فيه مُنْتَسَجِ
٥ – أمير حسن يُرينا من محاسنه   جنداً تَرَكْنَ قلوب الناس في رهجِ
٦ – اذا العيون بذاك المنظر اكتحلتْ   رأيْنَ ما غيره(٩١) في منظر سمجِ
٧ – فكلما كحلتْ(٩٢) عيني برؤيته   زاد البلاء على قلبٍ به بَهِجِ
٨ – قد عطّل الدرَّ والمرْجان مضحكُه   والورد في خجلٍ من خدِّه الضَّرِجِ
٩ – يمشي فتنتفض الأغصانُ من دهشٍ   ويستبين اضطراب الماء في اللُّججِ
١٠ – كُلٌّ يريد بأن يحكي حكايته   وبينهم دَرَجات صعبة الدَّرجِ
١١ – ففي تعطُّفِ أعطافٍ له فِتَنٌ(٩٣)   وفي تردُّف أردافٍ له فَرَجي
١٢ – أفديك من سَبَجيٍّ كامل السَّبجِ(٩٤)   فالشَّعر من قَطَطٍ والكحل من غَنَجِ
١٣ – نُغْنى بوجهك عن شمسٍ وعن قمرٍ   ونار خدَّيك تغنينا عن السُّرُجِ
١٤ – أقول للعاذل المحتجِّ في عذلٍ   أُنظرْ اليه فكم لي فيه من حُججِ
١٥ – لو زُلزل(٩٥) القلب زلزالاً لما انزعجتْ   مودَّتي(٩٦) لك فاثبتْ غير مُنزعجِ
١٦ – [٨-أ] شربتُ حبك صرفاً لا مزاج له   فسقِّني الوصلَ صرفاً غير ممتزجِ
١٧ – فرؤيتي لك تُحييني وتقتلني   ومهجتي منك في موتٍ وفي وَهَجِ
١٨ – اذا تحرَّجتَ من عهدٍ يخون به   والعبــد عبدك فاقتله بلا حرجِ

[٢٣]

وقال أيضاً :

١ – وروضة منك ظلَّ الغيث ينسجُها   حتى اذا انتسجتْ أضحى يُدبِّجُها

(٩١) أي : رأين الذي غيره .
(٩٢) في الاصل : « لمحت » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(٩٣) لم يرد في الاصل نقط على الفاء .
(٩٤) السبابجة : قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن ، واحدهم سبيجي (لسان العرب سبج) ، وقد جعل الشاعر واحدهم سبجيا .
(٩٥) في الاصل : لو زلل .
(٩٦) في الاصل : موتى .

٢- يبكي عليها بكاءَ الصبِّ فارقه إلفٌ فيضحكها طوراً ويبهجُها
٣- اذا تبسَّم فيها وردُ نرجسها ناغى جَنيَّ خزاماها بنفسجُها
٤- أقول فيها لساقينا وفي يده كأسٌ كشعلةِ نارٍ مذ (٩٧)يؤججها
٥- لا تمزجَنْها بغير الرِّيق منك، وإنْ تبخلْ فان دموعي سوف تمزجُها
٦- أقلُّ مابيَ من حُبَيِّكَ أنَّ يدي اذا سعتْ نحو قلبي كادَ يُنضِجُها

(قافية الحاء)

[٢٤]

قال [٨ / ب] :

١- ياليل دُمْ لي لا أُريد صباحا حسبي بوجه مُعانقي مصباحا
٢- حسبي به بدراً وحسبي ريقه خمراً وحسبي خدُّه تفّاحا
٣- حسبي بمضحكه اذا غازلتُه مستغنياً عن كل نجمٍ لاحا
٤- ألبستُه طوقَ الوشاح بساعدي وجعلت كفي للّثام وشاحا
٥- هذا هو الفضل العظيم فخلِّنا متعانقَيْنِ فما نريد براحا
٦- لو كان في حرم الإله عناقُنا ولثامنا ماكا[ن](٩٨) ذاك جناحا
٧- لو شاء ربِّي أن يعفَّ عبادُه ما كان يخلق في الأنام ملاحا

[٢٥]

وقال أيضاً :

١- جرح القلبَ باللحاظ جراحا قمرٌ في [الـ](٩٩)غلائل السود لاحا
٢- لو تراه اذا بدا قلتَ : بدرٌ وقضيب مُلاعِب أرياحا
٣- وبصدغٍ معقربٍ فوق خدٍّ صاحتِ(١٠٠) المقلتانِ منه السلاحا

(٩٧) في الاصل : « قد » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(٩٨) زيادة لابد منها .
(٩٩) زيادة لابد منها .
(١٠٠) كذا في الاصل ، ولعله : « صابت » ، أو « صافت » .

[٢٦]

وقال أيضاً :

١- صبَّحتُه(١٠١)عند المساء فقال لي: ماذا الكلام ؟ وظـن ذاك مـزاحـا
٢- فازددتُ دهشاً فوق دهش أوَّلٍ وعلمتُ أني قـد أتيتُ جنـاحـا
٣- [٩/ أ] أحسن اباحسن فحسنك راعني حتى توهَّمتُ المسـاء صبـاحـا
٤- لا تعجبنَّ فان وجهك لـو بدا في ظلمـةٍ لحسـبته مصباحـا
٥- أنت الذي حيرتَني(١٠٢) بملاحةٍ تركتْ (١٠٣) صباحَ العالمين قباحا
٦- كم قد فتنتَ وما سعيتَ لفتنةٍ كم قد قتلتَ وما حملتَ سـلاحـا

[٢٧]

وقال أيضاً :

١- سربال نورٍ على جسم من الراحِ نقوش خدَّيه من ورد وتفـّـاح
٢- لـمّا بدا في دجى الظلماء أوهمني ان الصباح بدا أو ضوء مصبـاحِ
٣- فقلتُ : أفدي الذي أمستْ زيارته فيهـا حياتي وإفسـادي وإصلاحي
٤- مَن ذا رأى قمراً قد لاح في ظلمٍ ويلاً (١٠٤) على قمر في الليل لوّاحِ

[٢٨]

وقال أيضاً :

١- خدّاك تفـّاحي وريقُك راحـي حسبي ويوم رضاك يـوم فـلاحي
٢- [٩/ ب] يا من تعلقت القلوبُ بذكره كتعلـُّـق الأجسـام بالأرواحِ

(١٠١) في الاصل : صحته .
(١٠٢) في الاصل : « حربه » ، والسياق يقتضي ما اثبتناه .
(١٠٣) في الاصل : « بركت » ، وهو تصحيف .
(١٠٤) في الاصل : « ويل » ، والصواب ما اثبتناه .

٣– يا جارحاً قلبي بخنجر لحظه صَيِّرْ وصالك مرهماً لجراحي
٤– يا مازحاً بالهجر هجرُك قاتلي والقتلُ ليس مزاحُه بمزاحِ

[٢٩]

وقال أيضاً :

١ – وسكران اللواحظ وهو صاحي لَهَا بالراح عن طلب الرَّواحِ
٢ – فَمَنْ مثلي ! ويمناه وسادي معانقةٌ ويسراه وشاحي
٣ – سُتِرْتُ بظُلمتَيْ ليلٍ وشعرٍ وعانقتُ الصباحَ الى الصَّباحِ
٤ – دعا الداعي بحَيَّ على الفلاحِ وحَيَّ على سرورٍ وافتراحِ(١٠٥)

(قافية الدال) (١٠٦)

[٣٠]

وقال (١٠٧) :

١ – أمَا تُبصِر دمعَ العيـ ـنِ سكّاباً (١٠٨) على الخدِّ
٢ – اذا ما سَهِدَ القلبُ فإن القلبَ يستعدي
٣ – وما يشكو الذي يلقا ه الاّ من ورا جهدِ (١٠٩)
٤ – فيا ليتك في قلبي عسى تبصر ما عندي

(١٠٥) كذا في الاصل ، ولعل الشاعر اشتق الافتراح من الفرح ، أو لعله تصحيف « انشراح » مثلا .
(١٠٦) لم يرد في الاصل ، وتراجع الحاشية التالية .
(١٠٧) في الاصل : « وقال على قافية الدال » .
(١٠٨) في الاصل «سكوا» ، ولعل الصواب ما اثبتناه وهو الانسب بسياق البيت ، وان كان « مسكوباً » هو الاقرب الى رسم الاصل .
(١٠٩) البيت بهذا النص ركيك جدا ، الا اذا كان قد طرا عليه من التصحيف ما شوهه .

٥ – سـأرعـاك على القـربِ وأرعـاك عـلى البُعـد
٦ – فكُـن لي كيفمـا أحببْـ ـتَ من وصلٍ ومـن صدِّ
٧ – [١٠/أ] فلومُتُّ من الوجدِ لَمَـا حلتُ عن العهـدِ
٨ – طلبت الوصـل لي وحـدي كذا أُحْرِمتُه (١١٠) وحـدي

[٣١]

وقال أيضاً :

١ – مولاي تمطلنـي غداً فغـدا وأرى غداً لا ينقضي أبـدا
٢ – أحييتَني بالوعد يا أمـلي ومطلتَني فـأمَتَّني كمـدا
٣ – لا تنسَ عهدك لي فأوْفِ به ان الكريـم يفـي اذا وعـدا
٤ – مالي أرى كلَّ العيون اذا نظرتْ اليك تغايرتْ (١١١) حسدا
٥ – لا تظهـرنْ والشمس طالعة لا تدَّعيك (١١٢) لنفسها ولـدا
٦ – خطرات قلبي في طرائقها(١١٣) تذر القلوبَ طـرائقـاً قِددا
٧ – لم تُبقِ لي جَلَـداً ولا تركتْ عينـاك قطُّ لعاشِقٍ جَلَـدا
٨ – مولاي يا هارون زُرْ دَنِفاً إنْ لم تزره اليوم(١١٤) مات غدا

[٣٢]

وقال أيضاً [١٠ / ب] :

١ – مزاري قريب والوصـال بعيـدُ وإبلاء شوقي في الفؤاد جديـدُ

(١١٠) قال في لسان العرب (تركيب حرم) : « وأحرمه لغة ليست بالعالية » .
(١١١) تغايرت : اختلفت .
(١١٢) في الاصل : لا يدعيك .
(١١٣) الطرائق : الحالات .
(١١٤) في الاصل : ان ترور اليوم .

٢ – فقلت(١١٥) بذنبي في الهوى وعذابه فيارب خلِّصني فلستُ أعودُ
٣ – أتهلكني من غير ذنبٍ وزلّةٍ فماذا بقتلي يا حبيب تريدُ
٤ – فو اللهِ ما بي أن أموت بغصّتي ولكنَّ بي أن يصطفيك حسودُ

[٣٣]

وقال أيضاً :

١ – قد كنتُ أطلب منك الوصل مقتصدا فصرتُ أطلب منك الهجرَ معتمِدا
٢ – رأيتُ رأيك مما(١١٦) كنتْ آمله على العناد وطول الهجر مفتقدا (١١٧)
٣ – فصرتُ أهوى الجفا إذ صرتَ تعشقه وازددْ صدوداً وإنْ لم تبقِ لي جلدا
٤ – والله لو سرَّ منك النفس قطعُ يدي لـمّا ثنيتُ(١١٨) ـ على قد يقدُّ ـ يدا
٥ – أوكان(١١٩) يرضيك من روحي عمى بصري ولقتُ(١٢٠) عينيَ حتى لا ترى أحدا
٦ – أوكان يرضيك ألا أن(١٢١) ترى قدمي تمشي على الأرض ماقاربته(١٢٢) أبدا
٧[١١/أ] وليتك الحكم في روحي وفي جسدي فأمضِ حكمك غيّاً كان أو رشدا
٨ – اردو (١٢٣) جفاك فمالي فيك من حيل عما قليل ترى لي فيك معتقدا
٩ – هذا اعتقادي ومجهودي ومقدرتي حتى الممات وفي يوم الحساب غدا
١٠ – عليك منّي سلام لا انقضاء له فلستُ أول مجهود(١٢٤) قضى(١٢٥) كمدا

(١١٥) كذا في الاصل ، ولعله تصحيف « قتلت » أو « ثقلت » أو « شقيت » .
(١١٦) كذا في الاصل ، وربما كان الاصل « فيما » .
(١١٧) هكذا ورد البيت في الاصل .
(١١٨) في الاصل : لما اسست .
(١١٩) في الاصل : « لو كان » ، وهو تصحيف .
(١٢٠) الولق : الفقء .
(١٢١) كذا في الاصل ، و « أن » زائدة .
(١٢٢) الضمير يعود على المشي .
(١٢٣) كذا في الاصل ، ولعل الصواب فيه : أو زد .
(١٢٤) كذا في الاصل ، ولعله تصحيف « معمود » .
(١٢٥) في الاصل : « طفا » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .

[٣٤]

وقال أيضاً :

١ـ مات الحسود مـن الكمدْ ووفى الحبيبُ بما وَعَـدْ
٢ ـ حَيِّي الوصال وقـل له : دم يا وصال الى الأبـدْ
٣ ـ اليوم أحيـا بالمنـى ويمـوت قـوم بالحسـدْ
٤ ـ أوَ ليس من طرَف الهـوى عطفُ الغزال على الأسـدْ

[٣٥]

وقال أيضاً :

١ ـ مالي بصدِّك يا غزال المربـدِ فلقد أطلتَ تحيُّلي وتلدُّدي
٢ ـ مَنْ منقذي من جور حكمك في الهوى مَن راحمي من شافعي من مُسعدي
٣ ـ [١١/ ب] يبلى شبابي في الهوى وعذابه متجدِّد مـن هجـرك المتجدِّدِ
٤ ـ يا أهل من أهوى رضيتم لابنكم أن تبصروه قاتـلاً لمُوَحِّـدِ
٥ ـ أنا بالرجا واليأس حيٌّ ميت حتى أرى إنجاز ذاك الموعِدِ

[٣٦]

وقال أيضاً :

١ـ اليوم فاشربْ على وردٍ وتوريدِ ولا تَبِـعْ فيه موجُوداً بمفقودِ
٢ـ نحن الشهود وحقق(١٢٦) العود خاطبنا يزوِّج ابن سماءٍ(١٢٧) بنتَ عنقودِ
٣ـ كأسٍ إذا أبصرتْ في اليوم محتشماً قال السرورُ له : قم غير مطرودِ
٤ـ أما ترى الحسن والاحسان قد جمعا فاطربْ فانك في عرسٍ وفي عيدِ

(١٢٦) كذا في الاصل ، ولعله تصحيف « خفق » وهو الضرب الخفيف ، او تحريف « صوت » .
(١٢٧) في الاصل : بروج من سماء .

[٣٧]

وقال أيضاً :

١ - أكتمُ ماحلٍّ بي لأنّي | أخاف أنْ يشمت الحسودُ
٢ - إنْ قلتُ : أشمَتَّ بي الأعادي | قال : فهذا الذي أريدُ
٣ - أو قلتُ : غادرتَني قتيلاً | قال : قتيل الهوى شهيدُ
٤ - [١٢/ أ] أشكو وأبكي فما يبالي | كأنما قلبه حديدُ

[٣٨]

وقال أيضاً :

١ - شكوتُ [الى](١٢٨) إلفي سهادي وعبرتي | فقلتُ: احمرار العين يخبر عن وجدي
٢ - فقال : محالٌ ما ادّعيتَ وانما | قطفتَ بعينيك التورُّدَ من خدّي

[٣٩]

وقال أيضاً :

١ - خلوتَ بمن تهوى(١٢٩) وأفردتني وحدي | فيامنيتي لا كان عندك ما عندي
٢ - تجرعتُ منكم غصةً بعد غصةٍ | فمن قبح هجرانٍ الى وحشة الصدِّ
٣ - وعدتَ مواعيداً فكانت نسيئةً | فعاجلني(١٣٠) منك التبغض بالنقدِ
٤ - فلو أنني عبد لما كان منكراً | تعطُّف مولىً بالجميل على العبدِ
٥ - وقد كنتَ تجفوني على القرب جاهداً | فكيف أُرجّي الوصل منك على البعدِ

[٤٠]

وقال أيضاً :

١ - عبدك أمرضْتَه فعُدْهُ | أمِتْهُ إن لم تكن تُرِدْهُ
٢ - قد ذاب لو فتَّشْتَ عليه | يداك في الفرش لم تَجِدْهُ

(١٢٨) زيادة يستدعيها الوزن والسياق .
(١٢٩) في الاصل : « اهوى » ، وهو تصحيف .
(١٣٠) هذا هو نص الاصل ، ولعل « وعاجلني » هو الانسب بالسياق .

[٤١]

[١٢ / ب] وقال أيضاً :

١ ـ اشربْ على وجـه الحبيـ ... ـب سلافةً في لـون خدِّهْ
٢ ـ يا من حياتك بعـد مـَوْ ... تك وصلُه من بعـد صـدِّه
٣ ـ لاشيء أحسـن موقعـاً ... من قرب إلفٍ بَعْدَ بُعْدِهِ
٤ ـ فاشرب كُفِيتَ صـدودَه ... ورُزِقتَ منـه وفـاء عهدِهِ

[٤٢]

وقال أيضاً :

١ ـ يا موحش الاخوان عش مستأنساً ... ومصاحب(١٣١) التوفيق والتسديدِ
٢ ـ إن ينصرمْ حبل العيان تباعداً ... فالذكر متَّصل بحبـل وريدي
٣ ـ لم أدرِ كيف فراق جسمٍ روحه ... حتى وقفتُ أودِّع الجـارودي

[٤٣]

وقال أيضاً :

١ ـ نفسي الفدا لمقارب كمباعد(١٣٢) ... حـذر الوشـاة وراغبٍ كالزاهـدِ
٢ ـ لزم التوقّي بالهـوى فلسـانُه ... متباعد (١٣٣) والقلب غيـر مباعدِ
٣ ـ مولاي لفظك في خطابٍ ناقصٍ ... لكنْ ضميرك في وفاءٍ زائـدِ
٤ ـ وأرى انقباضَك للتجمل تحتـه ... لحظات طرفٍ بالمحبَّـة شـاهـدِ
٥ ـ [١٣/ أ] هي نعمة لك لا أؤدي شكرها ... أنْ ملتَ نحوي بعد نهي الوالـدِ
٦ ـ لو كان كلُّ العالمين مخالفـي ... ما ضرَّني إنْ كنتَ أنت مساعدي

---

(١٣١) في الاصل : « للصاحب » ، والصواب ما اثبتناه .
(١٣٢) في الاصل : « ممارىى ومساعدى » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(١٣٣) في الاصل : « كماعد » ، وهو تصحيف وتحريف .

٧– واذا تآلفت القلوبُ على الهوى | احتلنَ في إبطال كيد الكائدِ
٨– قد قال قلبي إذ رآك مجانبي | ورآك ترصد غفلةً من راصدي
٩– صدَّ الحبيبُ وقد رأيت لصدِّه | عذراً فلست على الحبيب بواجدِ
١٠– جزعي اذا أبصرتُ فيك تنكُّراً | جزعَ المريض من انكسار العائدِ
١١– فاذا تواطينا فكلُّ مُغَرِّرٍ | من بعدُ يضرب في حديد باردِ
١٢– لأُدارينَّ وأُحسدنَّ ومن يَفُزْ | بوصال مثلك يصطبر للحاسدِ
١٣– لمكان ألفٍ لا يخلّى واحد(١٣٤) | لكن ألفاً يكرّمون لواحدِ (١٣٥)
١٤– كملتْ صفاتك، فيك حسن المشتري | بين النجوم وفيك شكل(١٣٦) عطاردِ
١٥– فاذا رأيتُ رأيت شخص محاسنٍ | واذا اختبرت رأيت شخص محامدِ
١٦– واللهِ ما أبغي الوصال لريبةٍ | أوْ لا فلا اتصلتْ بكفيَ ساعدي
١٧– لكنْ لطيب تراسلٍ وتغازلٍ | وتآلف وتحادثٍ وتناشدِ
١٨[١٣/ب] قد كان ذاك هوى الظراف(١٣٧) وانما | فسد الهوى في ذا الزمان الفاسدِ

[٤٤]

وقال أيضاً :

١ – أشتهي أن أُزيل بالوصل(١٣٨) وجدي | مثلما قد شقيتُ بالحب وحدي
٢ – ومن الغبن أن يفوز عدوّي | بحبيبي ولم يجِدْ منه وجدي

(١٣٤) في الاصل : « بمكا الف لا لحلى واحد » ، ولعل الصواب ما اثبتنا . ويخلى اي يترك .
(١٣٥) في الاصل : « الواحدي » ، وهو من سهو النسخ .
(١٣٦) في الاصل : « شك » ولعل الصواب ما أثبتناه .
(١٣٧) في الاصل : « فكان كذاك هو الظراف » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(١٣٨) في الاصل : « ان اربل بالوصال » ، ولعل الصواب ما أثبتناه ، ان لم يكن تصحيف « ان افوز بالوصل وحدي » .

[٤٥]

وقال أيضاً :

١ – سحائب يزجيها الأسى فبروقُها(١٣٩) غليل فؤادي والعويل رعودُ
٢ – وماذاك الاّ نار شوقٍ توقّدتْ فصعّد روحي بالدموع وقودُ
٣ – ألا لاأرى مثل الصبابة كلما بلي(١٤٠) مبتلاها يستجد جديد
٤ – ولا كعيون العِين مرضى سقيمة تُعاد فتُعدي سقمَها فيعودُ
٥ – ولامثلما تقسو(١٤١) قلوبٌ نواعم كأنّ قلوب العاشقين حديدُ

[٤٦]

وقال أيضاً :

١ – خانوا واني على العهد الذي عهدوا ياليتهم وجدوا بعضَ الذي أجِدُ
٢ – ما كان أسرع ما خانوا وما نكثوا عن الوفاء ولم يوفوا بما وعدوا
٣ – أبالخيانة جازوني وقد علموا اني لقيتُ الذي لم يلقه أحدُ
٤ – [١٤/أ]لهفي عليهم فاني من تذكّرهم ما تنقضي حسرتي أو ينقضي الأبدُ
٥ – تمكّن الوجد من قلبي ومن كبدي فليس لي معه قلب ولا كبدُ
٦ – من ذا يسدُّ طريق الحزن عن كلِفٍ طرائق الشوق في أحشائه تقدُ(١٤٢)
٧ – كأنّ قلبي أسيرٌ(١٤٣) قد أحاط به جيش من الكرب لايحصى له عَدَدُ
٨ – سلّ الغرام(١٤٤) سيوف الموت يبرقها(١٤٥) على الحياة فعزّ الصبر والجَلَدُ

(١٣٩) في الاصل : فيروقها .
(١٤٠) كذا في الاصل ، ولعله اراد بذلك « بلي » ، أو « بلي » من قولهم بلاه السفر والهم .
(١٤١) في الاصل : يقسو .
(١٤٢) الطرائق : الحالات . ولعل (حرائق الشوق) أولى والصق بالسياق .
(١٤٣) في الاصل : « ملى كان اسرا » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(١٤٤) في الاصل : « سل الفؤاد » ، ولا معنى للفؤاد هنا ، الا ان يريد به مافيه من الهوى والحب .
(١٤٥) كذا في الاصل ، والمعروف ان الفعل « يبرق » لازم لا يتعدى الا بالباء.

٩ – تُغْشي[١٤٦] على القلب ذكراكم اذا خطرتْ ... بالقلب مما على قلبي لكم يردُ
١٠ – كأنما الدهر أغرى بيننا حسداً ... ونعمةُ الله مقرون[١٤٧] بها الحسدُ
١١ – الله يحكم ما بيني وبينكُمُ ... بكم شقيتُ وأعدائي بكم سعدوا

[٤٧]

وقال أيضاً :

١ – بَدْوُ الإساءة حبٌّ (١٤٨) كان عن زللٍ ... وما لخلقٍ بردٌّ الفائتات يَدُ
٢ – اذا لسان الفتى أضحى يقاتله ... بسيف حتف فمن يأخذ له القوَدُ[١٤٩]
٣ – خطيئة أخرجَتْني من جنان مُنىً ... وأضرمتْ فيَّ نار اليأس تتَّقد
٤ – [١٤-ب] لو كان بي[١٥٠] خرَسٌ مما نطقتُ به ... لكان في الخرس التوفيق والرَّشد
٥ – فإنْ تكن غفلةٌ جاءت بسيئةٍ (١٥١) ... مني فقد كان احساني له مددُ (١٥٢)
٦ – اذا الأحبَّة لم يرعوا ولم يَصِلوا ... فالموت إن قربوا والموت إن بعدوا[١٥٣]
٧ – صبراً عليهم وإن جاروا وإن ظلموا ... هم الأحبَّة إن غابوا وإن شهدوا
٨ – اني لأُنشِد بيتاً قد لهجتُ به ... لأن شجوي على معناه يطَّردُ
٩ – لأخرجنَّ من الدنيا وحبُّكُمُ ... بين الجوانح لم يشعر به أحدُ

---

(١٤٦) كذا في الأصل .
(١٤٧) في الاصل : مقرونا .
(١٤٨) في الاصل : حى .
(١٤٩) كذا في الاصل ، ولعل البيت : « فممن يؤخذ القود » ليستقيم اعرابه ، والقود : القصاص .
(١٥٠) في الاصل : ى .
(١٥١) في الاصل : لسه .
(١٥٢) كذا البيت ، وفيه اقواء او لحن .
(١٥٣) في الاصل : ان نعد .

[٤٨]

وقال أيضاً :

١ ــ يقولون صِفْ حربَ الرعيَّة والجندِ ... وصلحَ رجالٍ من بلالٍ ومن سعدِ
٢ ــ ولي شغل في صلح قلبي وناظري ... على تَـلَفي حتى فنيتُ من الوجـدِ
٣ ــ ويقبح ذكرى وقعةٍ ، وبمهجتي ... وقـائع شتّـى من جهاد ومن جهدِ
٤ ــ وكم قتلةٍ لي في حروب من الهوى ... تسلَّط فيهن الظباءُ على الأُسـدِ
٥ ــ فوالله ماهَـزٌّ الرماح بمقلتي ... بأروع لي من هَـزٍّ معتدل القـد
٦ ــ [١٥ـأ]وان ارتكاض الشوق في حلبة الحشا ... لأَهْـوَلُ من ركض المسوَّمة الجردِ
٧ ــ ولحظ عيون العين أمضى مضارباً ... وأتلفُ للأرواح من قضب الهنـدِ
٨ ــ وأنْفَذُ من وقـع السهام تغازلٌ ... على القرب أوحُسن الاشارة من بُعدِ
٩ ــ سهام الهوى تُهدى الى باطن الحشا ... وتُـردي ولكنْ لاتؤثِّــر في الجِلدِ
١٠ ــ عجبتُ من الطرف المكحَّل انه ... يُشحِّطني بالسيف والسيف في الغمدِ
١١ ــ فلو انني في غمرَتَيْ حرب داحسٍ ... وحربِ بسوسٍ كان دون الذي عندي
١٢ ــ وشيطان شعري ليس يُعذَر حيث لا ... يراد له(١٥٤)، مانفع زرعٍ بلاحصدِ
١٣ ــ ولي هاجس طَـلْق على كل لذة ... وما هاجسي وقفاً على الأجر والحمد
١٤ ــ وأبسط أُنسي في الملاح ممازحاً ... فإنْ تسطوبي صار(١٥٥)مزحي الى جدٍّ
١٥ ــ فمن حيث دار وادرتُ فيهم ككوكب(١٥٦) ... بأرزن من قاضٍ وأسخف من قرد
١٦ ــ ولي قلبُ برق تحت رعد فكاهة ... فأستمطر اللذات بالبـرق والرعدِ
١٧ ــ [١٥/ب]وأطردمَن أحببتُ طردَ تظرُّفٍ ... فيجـذبه لي ماتقـدَّم من طردي
١٨ ــ مفاكهةً طوراً وطوراً دماثة ... وطوراً مجوناً ، كلٌّ ذلك من عندي

---

(١٥٤) كذا البيت في الاصل .

(١٥٥) كذا في الاصل ، ولعله : بسطوني .

(١٥٦) في الاصل : بكوكب .

١٩ـفتُقضى ديون العاشقين نسيئة ... بوكس ٍ ودَيني في وفاء وفي نقد
٢٠ـخليليَّ هل أبصرتما أو سمعتما ... بأكرم من مولىً تمشّى الى عبد[157]
٢١ـأتى زائراً من غير وعد ٍ وقال لي: ... أصونك من تعليق قلبك بالوعد ِ
٢٢ـفمازال نجم الكأس بيني وبينه ... يدور بأفلاك السعادة والسعد ِ
٢٣ـسَل ِ الكأس َ لِم ْ تبدي لنا في خدودنا ... حياءً وفي أفعالنا قِحَةً تبدي
٢٤ـتواقح تجميشي(١٥٨) فأظهر خدُّهُ ... حياءً على تلك الوقاحة يستعدي
٢٥ـولكنْ اذا راحٌ وروح تغازلا ... تحاقد ذاك الخدُّ واحمرَّ للحقد ِ
٢٦ـلثمتُ ثناياها فذقتُ رُضابَها ... كذوب نقيٍّ الثلج في خالص الشّهد ِ
٢٧ـفقلت لها لمّا ترشّفت ريقَها ... فأطفى غليلاً كان مضطرم الوقد ِ
٢٨ـارى نَفَسي خلى[159] الجحيم بلالظى ... وريقك خلّى الزمهرير[160] بلابرد ِ
٢٩ـفقالت: تمتّع ْ بالحياة فانما ... حياة الفتى تعديله(١٦١) الضدَّ بالضدّ
٣٠ـفمازلتُ في كدٍّ هو الفوز بالمنى ... وكم راحة ٍ للروح في ذلك الكدِّ
٣١ـ[١٦/ أ] تمردت في المرد الملاح لأنهم ... من المهد شرطي سرمداً والى اللحد ِ
٣٢ـ أُموِّه كذباً(١٦٢) بالله ...تسترّاً ... على عاذلي والله يعلم ما قصدي
٣٣ـ ببدريْن من بدر السماء ووجهها ... وليليَيْن ِ من ليل ٍ ومن فرعها الجعد ِ
٣٤ـ فبتنا بليل ٍ كان من طيب عيشه ... وتخليد ذكراه جنى جنة الخلد[163]

(١٥٧) في الاصل : « العبد » ، والسياق يقتضي التنكير ، ويأتي في التخريج تأييد ذلك .
(١٥٨) تواقح : من القحة ، ولم نجد هذا الفعل في المعجمات ، وربما كان (توقح) . والتجميش : المغازلة .
(١٥٩) في الاصل : « ارامعى خلا » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(١٦٠) في الاصل : « خلا الرمهري » .
(١٦١) التعديل : المساواة والموازنة .
(١٦٢) في الاصل : كدبى .
(١٦٣) في الاصل : جنا حنه الجلدى .

٣٥– وأفرك رمّانَ الصدور وأكتفي ‏ بورد جنيّ في الخدود عن الورد(١٦٤)
٣٦–فلولم يكن في العشق سحر وأخذة(١٦٥) ‏ لَمَا أنِسَ الوحشُ المفرّدُ بالفهد(١٦٦)
٣٧– وإنْ ترني فرداً وحيداً فانما ‏ تزيف(١٦٧) اناثُ الطير للذكر الفردِ
٣٨– فكم نلتُ نعمى أحمد الله عندها ‏ وقد تعب الشيطان فيها بلا حمد(١٦٨)
٣٩– لقد ركز الشيطان(١٦٩) بندجيوشه ‏ ببندي، فكل الجيش يأوي الى بندي
٤٠– فلو وُلد المولود بالصين فارهاً ‏ أتتني به الأخبار ركضاً على البُرْدِ
٤١–[١٦/ب]يزيد مجوني عندعشقي كمثل ما ‏ تزيد(١٧٠) بوهج الجمر رائحة الندِّ
٤٢– صلابة وجهي في الهوى لو تمثلتْ ‏ بأيام ذي القرنَيْنِ أغنتْ عن السدِّ
٤٣– اذا جمحتْ خيلُ الهوى للذاذتي ‏ فألف عنان لا يطيق بها رَدّي
٤٤–ولم ينتفع بي(١٧١) غيرابليس وحده ‏ وإن متُّ لم يظهر على غيره فقدي
٤٥– وكنتُ فتىً من جندابليس فارتقى ‏ بي الأمر حتى صار ابليس من جندي
٤٦– فاومات قبلي كنتُ أحسن مثله(١٧٢) ‏ صنايع فسق ليس يُحسِنها بعدي

[٤٩]

وقال أيضاً :

١– بي مثل مابك من شوق ومن كمدِ ‏ لكنْ أغطّي الهوى بالصبر والجلدِ
٢– أصون نفسيَ عن لعب الوشاة بها ‏ وإنْ تلاعبتِ الأسقام في جسدي

(١٦٤) في الاصل : على الوردى .
(١٦٥) في الاصل : سحرا وخده .
(١٦٦) في الاصل : « بالفهدى » . والفهد : من اولاد الضأن والظباء والبقر .
(١٦٧) تزيف : أي تدور وتمشي مدلة .
(١٦٨) في الاصل : «بلاعمدى » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(١٦٩) في الاصل : لقد ركن ركن السـطان .
(١٧٠) في الاصل : برند .
(١٧١) في الاصل : ولم سفعني .
(١٧٢) في الاصل : مله .

٣– اني تعاطيتُ صبراً تحته حرجٌ فصرتُ في حال مجهودٍ ومجتهدِ
٤– لولا الحفاظ ولولا العهد لم ترني أذوب شوقاً ولا أشكو الى أحدِ
٥– لأَستَعينَنَّ بالكتمان منتظِراً فرُبَّ مكروهِ يومٍ فيه خير غدِ
٦– تطلَّع الموت في روحي وفي بدني ولا تَطَلَّعَ أعدائي الى خلدي
٧– كانوا يخوضون في لومي فساعدني وصلُ الحبيب فخاضوا اليوم في حسدي
٨– عابوه عندي قديماً وهو يهجرني وزاحموني عليه وهو طوع يدي
٩– [١٧/أ] أحيد عنهم[173] لإشفاقي فأوهمهم اني سلوتُ وقلبي [عنه] (١٧٤) لم يَحِدِ
١٠– تحمُّلي عُدَّةٌ لي في الهوى فاذا جوزيتُ[175] في الأمر لم أغفل عن العُدد
١١– هذا وصالٌ وهذا دونه طمعٌ فأرصُد العيشَ والتنغيص في رصدِ
١٢– فيالها نعمةٍ ذقتُ الشقاء بها ففي فمي علقم من مضغة الشهد (١٧٦)
١٣– القرب أفتن للمبُلى من البعدِ وانما حسرتي إذ نحن في بلدِ
١٤– ارى المنى وأراني كيف أحرَمها لذاك ألقى الذي [ألقى][177] من الكمدِ
١٥– ما غاب عنّيَ بل غاب السرورُ به فصرت أبكي فقيداً غير مفتقَدِ
١٦– أبكي لشجوي ولا أبكي لمنزلِه (أخنى عليه الذي أخنى على لبدِ) (١٧٨)
١٧– أثني[179] الرجاء على الصبر الجميل ولا أثني (القتودَ على عيرانةٍ أُجد)(١٨٠)

---

(١٧٣) كذا في الاصل ، ولعل الصواب : عنه .
(١٧٤) زيادة يستدعيها الوزن .
(١٧٥) في الاصل : « حوزيت » ، وجازيته : يكون في الشر ، وربما كان « حوربت » أو « حوزبت » .
(١٧٦) لا وجه لحركة الهاء . وفي الاصل : ففى فم الخ .
(١٧٧) زيادة يستدعيها السياق .
(١٧٨) الشطر للنابغة الذبياني ، وقد ورد في ديوانه : ٢٦ ، ونصه فيه :
اضحت خلاء واضحى اهلها احتملوا
اخنى عليها الذى اخنى على لبد
(١٧٩) ثنى الشيء : رد بعضه على بعض .
(١٨٠) هذا الشطر للنابغة ايضا ، وهو في ديوانه : ٢٦ ونصه فيه :
فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له
وانم القتود على عيرانة أجد

[٥٠]

وقال أيضاً [١٧ / ب] :

١ــ للعيد أوعدني[١٨١] من لم يزل عيدا ... طوباي إنْ أنجز العيدَ المواعيدا
٢ــ فلي مع الناس عيدٌ في الهلال ولي ... وحدي هلال وعيدٌ فيهما زِيدا
٣ــ إن مهّد الوعد للانجاز تمهيدا ... حتى أرى شاهداً فيه ومشهودا
٤ــ أفطرتُ فطرَين اني لم ارال نعى[١٨٢] ... صوم الصدود بصوم الدين معقودا
٥ــ إنْ صحَّ عيدُ هوانا كان خاطبُنا ... فيه ومنبرُنا الأوتارَ والعُودا
٦ــ وجه الحبيب مُصلّى ناظري فأرى ... هناك كلَّ صفات الحُسن موجودا
٧ــ حتى أضمَّ الى قلبي أنامله ... عسى أحسُّ لهذا الوجد تبريدا
٨ــ هناك أجعلَ محرابي وقِبلتَه ... من ذلك الشخص ذاك النحر والجيدا
٩ــ شرطي اذا ما رأيت الردف مرتدفاً ... والخصر مختصراً والقدَّ مقدودا
١٠ــ شرطٌ لو آنَّ هلال الدين أبصره ... لم يستطع لشروط (١٨٣) الفقه توكيدا
١١ــ ورد الخدود ورمّان النهود وأعـ ... ـطاف القدود تصيد السادة الصيدا
١٢ــ فيرحم الله عبداً للمحبِّ دعا ... بزورة تجعل المرحوم محسودا
١٣ــ أنفاسه نفَّستْ عن نفسه كرباً ... وخدِّ في خدِّه بالدمع أُخدودا
١٤[١٨/أ] حتى اذا ماقناع الشيب حار بدا[١٨٤] ... عاف الصِّبا وتحامى الفال والغيدا(١٨٥)
١٥ــ ثم انثنى للأيادي[١٨٦] البيض يشكرها ... لأنها بيَّضتْ أيامنا السودا
١٦ــ نقلتُ عشقي الى شكري وممتدحي ... لسيِّد يعشق الإحسان والجودا

---

(١٨١) يريد : وعدني .
(١٨٢) كذا في الاصل .
(١٨٣) في الاصل : « لم يستطيع له وط » ، ولعل الصواب ما اثبتناه .
(١٨٤) كذا في الاصل ، ولعله تحريف (جلله) .
(١٨٥) في الاصل : « وبحاما العال والعيدا » ، وربما كان (الفال) تصحيف (العذل) .
(١٨٦) في الاصل : لابادى .

١٧– من بسط جدواه أغناني ومهد لي ... عند الملوك ببسط الجاه تمهيدا
١٨– فالحمد لله إذْ أرعى رعيتَه ... مَنْ ليس إحسانُه في الناس مجحودا
١٩– أمّا القلوب فقد ألْقَتْ بأجمعها ... الى الأمير ابن يزداد(١٨٧) المقاليدا
٢٠– لا غرو إنْ كان كلُّ الناس حامده ... من لم يزل محسناً لازال محمودا
٢١– اللهُ سلَّ به سيف المهابة للـ ... ـبُقيا وأصبح سيف البغي مغمودا
٢٢– كم سربلتْ رحماءَ الناس رحمته ... وكم تجرَّد فيمن كان مرِيدا (١٨٨)
٢٣– وكم ببذل الندى أحيا المحاميدا(١٨٩) ... وكم(١٩٠) برغم العدى اردى الصناديدا
٢٤– مانَ الرعايا(١٩١) بجهدمن عنايته ... كأنه والد قد مان مولودا
٢٥– [١٨/ب] يقسو ويرحم إملاجاً بذاك وذا ... فيبسط العدل تليناً وتشديدا (١٩٢)
٢٦– يقلِّب الرأي تصويباً وتصعيدا ... ويبرم الأمر تقريباً وتبعيدا
٢٧– يا من له عند كل الناس مكرمة ... آويتَ كلَّ رجاءٍ كان مطرودا
٢٨– أحييتَ من كرم الأخلاق ميِّتَها ... فأنتَ تُوجِد فضلاً كان مفقودا
٢٩– ألَّفتَ بين قلوب الناس فائتلفتْ ... باللطف منك وقد كانت عباديدا(١٩٣)
٣٠– أنت المبارك والميمون طلعتُه ... ترعي الرعية توفيقاً وتسديدا
٣١– فانعم بعيدك يا عيد الامارة في ... عزٍّ يزيده على الأيام تجديدا
٣٢– ولاتزل(١٩٤) تلبس الأعياد في نعم ... وردِ الخلود بها يزداد توريدا

---

(١٨٧) هو محمد بن يزداد ، وكان ينوب عن ابن رائق في ادارة البصرة في سنة ٣٢٥هـ (الكامل : ٦/٢٥٩) .
(١٨٨) تجرد : اي جد . والمريد : الشديد العتو .
(١٨٩) في الاصل : « المحامدا » ، ولعل المحاميد جمع محمود ويعني به الفعل المحمود .
(١٩٠) في الاصل : وفكم .
(١٩١) مان الرعايا : احتمل مؤونتهم وقام بكفايتهم .
(١٩٢) في الاصل : « لي باسا وسديدا » ، ولعل الصواب ما أثبتناه
(١٩٣) عباديد : متفرقة .
(١٩٤) كذا في الاصل ، والجزم هنا غير صحيح ، ويأتي مثل ذلك في البيت ٣٧ .

٣٣ـ في عيدخير[١٩٥] جديد نستفيض به ... بحراً لديك من الآمـال مـورودا

٣٤ـ صامت سجاياك عن كل العيوب فما ... تـزال في رمضـانٍ ليس معـدودا

٣٥ـ وسرتَ في الناس بالحسنى فأبهجهم ... فصيَّروا كلَّ يوم عندهم عيـدا

٣٦ـ فأنت دهرك في صوم العفاف لهم ... ودهرهم فرح قد صار تعييدا (١٩٦)

٣٧ـ[١٩ /أ]لا زلت ركناً لمن والاك ذا ثبت ... ولا يزل ركن من عاداك مهدودا (١٩٧)

٣٨ـ فزادك الله في بَدْوٍ وعـاقبة ... عزاً ونصـراً وتمكينـاً وتأييـدا

---

(١٩٥) في الاصل : حر .
(١٩٦) في الاصل : فرج مدصاربعسدا .
(١٩٧) في الاصل : مهدوما .

زيادة الألف والنون في النسب

الدكتور أحمد مطلوب
عضو المجمع
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

النسبة في اللغة العربية هي اضافة ياء مشدّدة الى آخر الاسم للدلالة على اتصافه بما نسب اليه ، وبعبارة سيبويه : « انك إذا اضفت رجلاً فجعلته من آل ذلك الرجل الحقت ياءي الاضافة ، فان أضفته الى بلد فجعلته من أهله ألحقت ياءي الاضافة ، وكذلك إن أضفت سائر الاسماء الى البلاد ، أو الى حيّ أو قبيلة » (١) واختلفت النحاة في التسمية وسماها الاوائل كسيبويه والمبرد الاضافة والنسبة(٢) ، وسماها معظم المتأخرين النسبة إلا أن ابن عصفور يفضل التسمية الأولى ، قال : « اختلف النحويون في تسمية هذا الباب ، فمنهم من سماه بالنسب ، ومنهم من يسميه الاضافة ، وهو الصحيح لان الاضافة أعمّ من النسب ، لان النسب في العرف انما هو إضافة الانسان الى آبائه وأجداده ، يقال : فلان عالم بالانساب ، والاضافة في هذا الباب قد تكون الى غير الآباء والأجداد . فلذلك كانت تسميته « إضافة » أجود من تسميته نسبا » (٣) . ولعل النسبة أوضح دلالة لانها لاتلتبس بالاضافة التي اكتسبت معنى آخر في كتب النحاة :

---

(١) الكتاب ج ٣ ص ٣٣٥ .
(٢) ينظر الكتاب ج ٣ ص ٣٣٥ والمقتضب ج ٣ ص ١٣٣ .
(٣) شرح جمل الزجاجي ج ٢ ص ٣٠٩ .

واهتم النحاة بهذا الباب وعقدوا له مباحث تناولت ماجاء قياسيا ، وأفردوا للمسموع جزءاً يسيرا من مباحثهم وسموه « شاذاً » ، وأدخلوا فيه مازيد فيه قبل ياء النسبة المشددة ألف ونون ، وهو أمر يدعو الى التأمل لما في هذا الحكم من تعطيل للقياس وهو أحد وسائل نمو اللغة . قال ابن جني : « هذا موضع شريف واكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه ولطفه ، والمنفعة به عامة والتساند اليه مقوّ مجد ، وقد نصّ أبو عثمان(٤) عليه فقال : « ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب »(٥) .

لقد عدّ النحاة النسبة بالألف والنون قبل اليـــاء المشـــدّدة شاذة أو سماعية ؛ لانها خالفت قواعدهم على الرغم من ورودها في القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وكلام العرب البلغاء وشعرهم ، وكثر استعمالها في عهود التقدم العلمي وازدهار الحضارة العربية ، وكان على النحاة المتأخرين أن يصوغوا لها قاعدة تكسبها أصالة إلاّ أنهم ظلوا على حكم الأوائل فاضاعوا بناءاً تحتاج اللغة العربية اليه . إن ورود هذه النسبة في كتاب الله العزيز دليل على أصـــالة عروبتها وصحتها ، ففيـــه جاءت « الرباني » ثلاث مرات و «الربي» مرة واحدة ، قال تعالى : « ولكنْ كونوا ربّانيين بما كنتم تعلّمونَ الكتابَ »(٦) . وقال : « يحكمُ بها النبيونَ الذين أسْلموا للذين هادوا والرَّبانيونَ والأحبارُ »(٧) .

وقال : « لولا ينهاهُمُ الرَّبَّانيونَ والأحبارُ »(٨) .

(٤) يريد به المازني المتوفى سنة ٢٤٨ أو ٢٤٩هـ .
(٥) الخصائص ج ١ ص ٣٥٧ ، وينظر المنصف ج ١ ص ١٨٠ وفيه : « وكان الخليل وسيبويه يأبيان ذلك ويقولان : « ماقيس على كلام العرب فهو من كلامهم ، وما لم يكن في كلام العرب فليس له معنى في كلامهم » .
(٦) آل عمران ٧٩ .
(٧) المائدة ٤٤ .
(٨) المائدة ٦٣ .

وقال : « وكأيِّنْ من نبيٍّ قاتلَ معه رِبِّيون كثيرٌ »(٩) .

والرَّبانيّ : الحَبْرُ ، ورب العلم ، وقيل : الذي يعبد الرب ، زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب ، أو تخصيصا بعلم الرب دون غيره ، كأن معناه : صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم . فالرباني الموصوف بعلم الرب ، والربيون : الربانيون (١٠) .

ولا يخرج المفسرون عنَ هذا المعنى ، فالربانيّ « منسوب الى الرب بزيادة الألف والنون كما يقال : رقباني ولحياني ، وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته »(١١) .

لقد نصّ القدماء على أن « الرَّباني » نسبة الى « الرب » بزيادة الألف والنون للمبالغة في النسب أو للتخصيص بعلم الرب دون غيره ، وهي نسبة تبدو غريبة وقد جعلت أبا عبيد يقول : « أحسب الكلمة ليست بعربية ، انما هي عبرانية أو سريانية ، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لاتعرف الربانيين » . ويقول : « وانما عرفها الفقهاء وأهل العلم ، وسمعت رجلاً عالمابالكتب يقول : الربانيون : العلماء بالحلال والحرام ، والأمر والنهي»(١٢).

ولو استقصى أبو عبيد العربية لوجد هذا البناء كثيرا ؛ لان النسبة لاتكون بالياء المشددة وحدها كما ذهب اليه النحاة ، وانما هناك أبنية مختلفة عدّوها شاذة أو سماعية لايقاس عليها ، وماذاك إلاّ لانهم التزموا بقواعدهم التي

(٩) آل عمران ١٤٦ .
(١٠) ينظر المفردات في غريب القرآن ص ١٨٤ ، النهاية في غريب الحديث والاثر ج٢ ص ١٨١ ، أساس البلاغة ، اللسان ، القاموس ، تاج العروس (ربب) ، وفيه ان الربي المنسوب الى الرب والرباني الموصوف بعلم الرب.
(١١) الكشاف ج١ ص ٢٨٩ ، ٣٢٧ ، ٤٩٥ .
(١٢) المعرب ص ١٦١ ، ولسان العرب (ربب) ، وفي المفردات ص ١٨٤ : « وقيل : رباني لفظ في الاصل سرياني ، واخلق بذلك ، فقلما يوجد في كلامهم » .

وضعوها وأصبحت راسخة في كتب المتأخرين . فكلمة « الرباني » — مثلا — بناء عربي أصيل أما « ندرة الوزن ، وأما أن العرب لم يعرفوا الربانيين بالمعنى الاصطلاحي الاسلامي فان ذلك لا يدل على تعريبها كأكثر ألفاظ الاسلام العربية الأصل التي أريد بها معنى خاص بالشريعة »(١٣) . وقد وردت في القرآن الكريم وهو الكتاب العربي المبين ، وفي حديث الامام علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — قال : « الناس ثلاثة : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق » . ومنه حديث ابن الحنفية ، قال حين توفي ابن عباس : « مات ربانيّ هذه الأمة » (١٤) .

وتعرض النحاة لهذا البناء فقال سيبويه : إنهم « زادوا ألفاً ونوناً في « الربانيّ » إذا أرادوا تخصيصا بعلم الرب دون غيره ، كأنّ معناه : صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم وهو كما يقال : « رجل شعراني ، ولحياني ، ورقباني » إذا خصّ بكثرة الشعر ، وطول اللحية ، وغلظ الرقبة . فاذا نسبوا الى الشعر قالوا : « شَعْريّ » والى الرقبة قالوا : « رَقَبيّ » والى اللحية : « لحيي » ، والربيّ منسوب الى الرب »(١٥) . وذكروا أنه منسوب الى « الرَّبان » ولفظ « فَعْلان » من « فَعِل » يبنى نحو : عطشان وسكران ، وقلما يبنى من « فَعَلَ » وقد جاء « نَعْسان » . وقيل : إنه منسوب الى «الرب» الذي هو المصدر ، وهو الذي يربّ العلم كالحكيم»(١٦) . وذكروا أنه في الأصل « ربّيّ » أدخلت الألف للتفخيم ، ثم أدخلت النون لسكون الألف كما قيل في صنعاني ، ونصراني ، وواحدها « ربّان» كما يقال : ريّان وعطشان ، ثم ضمت الياء ياء النسبة كما قالوا : لحياني ورَقباني»(١٧)

(١٣) المعرب حاشية صفحة ١٦١ .
(١٤) النهاية في غريب الحديث والاثر ج٢ ص ١٨١ .
(١٥) اللسان (ربب) ، المعرب ص ١٦١ (الحاشية) .
(١٦) المفردات في غريب القرآن ص ١٨٤ .
(١٧) الكليات ج ٢ ص ٣٦٩ .

ومعنى هذا أن النسبة بالألف والنون والياء المشددة غير النسبة بالياء المشددة وحدها ، وقد عرفتها اللغة العربية في كثير من الألفاظ ، وذكرها النحاة ولم يقولوا إنها أعجمية وانما قالوا : إنها جاءت على غير قياس

ذكر سيبويه في باب الاضـافة أو النسبة (١٨) أن ياءي الاضـافة لحقتا الاسماء فإنّهم مما يغيرونه عن حاله قبـل أن تُلحق ياءي الاضافة ، ومنه ما يجيء على غير قياس ، ومنه مايعدل وهو القياس الجاري في كلامهم ، قال الخليل : « كل شيء من ذلك عدلته العرب تركته على ماعدلته عليه ، وما جاء تاماً لم تحدث العرب فيه شيئا فهو على القياس » . ومن المعدول الذي هو على غير قياس قولهم في هذيل : «هُذَليّ» وفي طيّ : «طائيّ» وفي زَبينة : « زَبانيّ » وفي صَنْعاء : « صنعانيّ » وفي بهراء « بَهرانيّ » وفي دَسْتَواء : « دَسْتَوانيّ » وفي بحرين : « بَحرانيّ» وفي رَوْحاء : « روحانيّ » . وذكر في باب « مايصير إذا كان علما في الاضافة على غير طريقته »(١٩) أنهم يقولون في الطويل الجُمة : « الجُمانيّ » وفي الطويل اللحية : « اللحيـانيّ » . وفي الغليظ الرقبة : « الرَقَبانيّ » فان سميَ برقبة أو جُمّة أو لحية قيل : رَقَبيّ ، ولحيي ، ولَحويّ ، وجُمّيّ ، وذلك لان « المعنى قد تحوّل ، انما أردت حيث قلت : جُمّانيّ الطويل الجّمة ، وحيث قلت : اللحياني الطويل اللحية ، فلما لم تَعْن ذلك أُجري محرى نظائره التي ليس فيها ذلك المعنى »(٢٠) . فالنسبة هنا للوصف والمبالغة إذ حوّلت الكلمة الى معنى آخر ، وبعبارة سيبويه : « ان المعنى قد تحوّل » ، أي : انها غير النسبة التي أقرها النحاة وعدّوها قياسية ، كما يقال : الكوفيّ ، والبصريّ ، والبغداديّ ، والحريري ، والكتانيّ .

---

(١٨) الكتاب ج ٣ ص ٣٣٥ وما بعدها .
(١٩) الكتاب ج ٣ ص ٣٨٠ وما بعدها .
(٢٠) الكتاب ج٣ ص ٣٨٠ .

ولم يخرج المبرد عما ذكره سيبويه إذ قال في باب « مايقع في النسب بزيادة لما فيه المعنى الزائد على معنى النسب » : « وذلك قولك في الرجل تنسبه الى أنه طويل اللحية : لحيانيّ ، وفي طويل الجمة : جمانيّ ، وفي طويل الرقبة : رقبانيّ ، وفي كثير الشعر : شَعْرانيّ ، فانما زدت لما أخبرتك به عن المعنى ، فان نسبت رجلا الى رقبة أو شعر أو جمة قلت : جُميّ ، وشَعْريّ ، ورَقَبيّ ؛ لانك تريد فيه ماتريد في النسب الى زيد وعمرو »(٢١) . أي : ان إرادة معنى المبالغة لم يقصد اليها ، قال الرضي : « وقد يلحق ياء النسب أسماء بعض الجسد للدلالة على عظمها إما مبنية على فُعال كأنافيّ للعظيم الأنف ، أو مزيداً في آخرها ألف ونون كلحيانيّ ورقبانيّ وجمانيّ للطويل الجمة . وليس البناءان بالقياس بل هما مسموعان ، وإذا سميت بهذه الاسماء ثم نسبت اليها رجعت الى القياس إذ لاتقصد المبالغة إذن فتقول : جُميّ ولحييّ على قول الخليل ، ولحَويّ على قول يونس »(٢٢) .

إن هذا البناء ـ عند النحاة ـ شاذ أو معلول(٢٣) ، قال ابن جني :«وقد شذّت ألفاظ من النسب لايقاس عليها »(٢٤) .

---

(٢١) المقتضب ج٣ ص ١٤٤ .

(٢٢) شرح الشافية ج٢ ص ٨٤ ، وينظر تسهيل الفوائد ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

(٢٣) شواذ النسب أو المنسوب الى غير قياس ثلاثة أنواع : نوع بابه ان يغير فلم يغير ، ونوع كان بابه الا يغير فغير ، ونوع كان بابه أن يتغير نوعا من التغيير فتغير تغييرا آخر بخلاف تغيره المعهود . فما تغير وبابه أن لا يتغير قولهم في هذيل : هذلي ، ومما ترك تغييره وبابه أن يتغير قولهم في النسب الى سليقة : سليقي . ومما غير خلاف تغييره الذى يجب فيه في النسب الى زبينة : زباني ، وبابه زبني ، وفي صنعاء وبهراء ودستواء وروحاء : صنعاني وبهراني ودستواني وروحاني ، والباب فيها أن يقال : بهراوي ودستواوي وصنعاوي وروحاوي » ينظر شرح جمل الزجاجي ج٢ ص ٣٢٢ والمقرب ص ٤٢١ .

(٢٤) اللمع من ٢١٠ ، وينظر شرح اللمع ج٢ ص ٦٣١ .

وقال ابن سيده : « وليست قواعدِ النسب مما نعترضه في كتابنا هذا ، غير أني أذكر منه ما شذّ »(٢٥)

وقال الحريري : « فهو من شواذ النسب ، والشاذ لا يعاج اليه ولا تحمل نظائره عليه »(٢٦) .

وقال الزمخشري : « ومن المعدولة عن القياس : بحرانيّ وصنعانيّ وزَباني وبَهْرانيّ ورَوحانيّ »(٢٧) .

وقال ابن يعيش : « وهو خارج عن قياس النسبة ، ولذلك لا يستعمل إلا فيما استعملته العرب »(٢٨) .

وقال ابن مالك : « وما غُيِّرَ في النسب تغييراً لم يذكر ، حفظ ولم يُقَسْ عليه »(٢٩) .

وقال ابن هشام : « وما خرج عما قررناه في هذا الباب فشاذ »(٣٠) .

وقال ابن عقيل : « ماجاء من المنسوب مخالفا لما سبق تقريره فهو من شواذ النسب يحفظ ولا يقاس عليه »(٣١) .

وقال السيوطي : «فلا يقاس على شيء من ذلك...بل يقتصرعلى ماسمع»(٣٢).

وقال الأشموني : « إن ماجاء من النسب مخالفاً لما تقدم من الضوابط شاذ يحفظ ولايقاس عليه . وبعضه أشذ من بعض » (٣٣) .

---

(٢٥) المخصص ج ١٣ ص ٢٤١ . (٢٦) درة الغواص ص ١١٣ .

(٢٧) المفصل ص ٢١١ – ٢١٢ ، وينظر الايضاح في شرح المفصل ج١ ص ٦٠٥.

(٢٨) شرح المفصل ج٦ ص ١٢ .

(٢٩) شرح عمدة الحافظ ص ٨٩٧ . ولم يشر في تسهيل الفوائد ص ٢٦٥ الى عدم قياسيته او شذوذه ، وانما قال : « قد تلحق ياء النسب أسماء أبعاض الجسد مبنية على فعال او مزيدا في آخرها ألف ونون للدلالة على عظمها » .

(٣٠) اوضح المسالك ج٣ ص ٢٨٥ .

(٣١) شرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٠٧ . (٣٢) همع الهوامع ج٦ ص ١٧٤ .

(٣٣) شرح الاشموني ج٣ ص ٧٤٦ .

ولا يخرج النحاة الآخرون عن هذه القاعدة في الحكم على المنسوب بالألف والنون قبل الياء المشدّدة ، فهو شاذ أو مسموع لايقاس عليه . وعلى هـذا الرأي معظم المعاصرين إذ حكموا عليه بالشذوذ ، وعدم القياس (٣٤) . وأنكر الدكتور احمد مختار عمر أن يكون « من شواذ النسب أو من نادر معدول النسب على حد تعبير سيبويه » (٣٥) ، وجوّز استعماله ؛ لانه يحمل معنى إضافيا على مجرد النسبة كالوصفية للتفرقة بين الأبنية وما تدل عليه ، مثل « نفساني » نسبة الى علم النفس و « نفسي » نسبة الى النفس ، و« روحاني» نسبة الى علم الروح ، و « روحي » نسبة الى الروح ، وهي « تفرقة دقيقة ما أحرانا أن نلتزم بها » ، وكان « المعجم الوسيط إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد أورد كلمة « الطب الروحاني » وان عدّها مولدة ، كما أورد كلمة « علمانيّ » نسبة الى العلْم بمعنى العالَم – وهو خلاف الديني أو الكهنوتي – دون أن يحدد مستوى الاستخدام »(٣٦) .

إن إضافة الألف والنون الى اللفظة في النسب أعطاها معنى جديدا ، وأضاف اليها دلالة لم تتحقق في النسبة بالياء المشددة وحدها ، وفي المعاجم وكتب التراجم والتاريخ والبلدان والأنساب كثير من هذه الالفاظ التي لو جمعت لكانت معجما صغيرا ينتفع به في تعريب المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية . وقد اتضح من الوقوف عند بعضها ان زيادة الألف والنون في النسب تدل على عدة معان أو أغراض منها :

الأول : الوصف والمبالغة فيه مثل :

(٣٤) ينظر النحو الوافي ج٤ ص ٧٤٥ ، ازاهير الفصحى ص ٣٣٥ .
(٣٥) العربية الصحيحة ص ١٠٣ .
(٣٦) العربية الصحيحة ص ١٠٤ .

البَحْرانيّ : الشديد الحمرة ، نسبة الى البَحْرِ وهو قعر الرَّحِمِ ، ومنه حديث ابن عباس – رضي الله عنه – : «حتى ترى الدمَ البَحْرانيّ»(٣٧) قال ابن منظور : «سئل ابن عباس عن المرأة تستحاض ويستمر بها الدم فقال : «تصلي وتتوضأ لكل صلاة ، فاذا رأت الدم البحراني قعدت عن الصلاة » . ودم بحراني : شديد الحمرة ، كأنه قد نسب الى البحر ، وهو اسم قعر الرحم ، منسوب الى قعر الرحم وعمقها . وزادوه في النسب ألفاً ونوناً للمبالغة ، يريد الدم الغليظ الواسع . وقيل : نسب الى البحر لكثرته وسعته. ومن الأول قول العجاج : « وَرْدٌ من الجَوْفِ وبَحْرانيُّ »(٣٨). أي : عبيط خالص . وفي الصحاح : « البحَرَ عمق الرحَم ، ومنه قيل للدم الخالص الحمرة : باحر وبحراني . ابن سيده : ودم باحر وبحرانيّ خالص الحمرة من دم الجوف ، وعمّ بعضهم به فقال : « أحمر باحريّ وبحرانيّ » ولم يخصّ به دم الجوف ولا غيره »(٣٩) .

البَلْتعانيّ : من بلتع . يقال : رجل بلتع ومتبلتع وبلتعي وبلتعاني أي : حاذق ظريف متكلم ، والانثى : بلتعانية (٤٠) . أو هو الذي يتظرف ويتحذلق وليس عنده شيء (٤١) .

البَلْغمانيّ : الكثير البلغم نسبة الى البلغم – وهو من أخلاط البدن – أو الموصوف بالبلغم (٤٢) .

(٣٧) النهاية في غريب الحديث والاثر ج١ ص ٩٩ .
(٣٨) ينظر ديوان العجاج ص ٣٣٤ ، وفيه ان البحراني : الخالص .
(٣٩) اللسان (بحر) .
(٤٠) اللسان (بلتع) .
(٤١) غوامض الصحاح ص ١٠٨ .
(٤٢) المخصص ج١٣ ص ٢٤٢ ، وينظر اللسان والقاموس وتاج العروس (بلغم) .

الجُسْمانيّ : الفخم الجسم نسبة الى الجسم ، يقال : « رجل جسماني وجُثماني » إذا كان ضخم الجثة (٤٣) . ووردت الجُسمانيَة في الكتب القديمة ، قال الرازي : « وأما إذا كان الاشتراك في كيفية جسمانية غير محسوسة . . . »(٤٤) .

الجُمانيّ : الطويل الجمة — وهي مجتمع شعر الرأس ، قال سيبويه : « فمن ذلك قولهم في الطويل الجمة :جُمّانيّ »(٤٣٥) . وهو من نادر النسب ، فان نسب اليه لغير هذا المعنى كأن يسمى بالجمة قيل : جُمّيّ . وممن نسب الى الجمة الهذيل بن ابراهيم الجماني ؛ لانه كان طويل الجمة (٤٦) .

الجَوْلانيّ : الكثير التراب والريح نسبة الى الجَوْل ، يقال : « يوم جَوْلاني وجَيْلاني : كثير التراب والريح ، ويوم جَوْلان وجَيْلان كثير التراب والغبار (٤٧) .

الجَيْلانيّ : الكثير التراب والريح ، وهو « الجَوْلاني » نفسه إلا ان الواو قلبت ياءً استخفافا ، قال ابن جني : «ومنها أنهم قد قلبوا الواو ياءً قلباً صريحا لا عن علة مؤثرة أكثر من الاستخفاف نحو قولهم : غَدْيان وعَشْيان والاريحية ورِيّاح ، ولا كسرة هنــاك ولا اعتقاد كسرة

---

(٤٣) اللسان والمعجم الوسيط (جسم) وتنظر في اللسان والقاموس مادة (جثم) .

(٤٤) نهايــة الايجاز ص ٩٧ ، وينظــر البرهان الكاشــف عن اعجاز القرآن ص ١٢٨ .

(٤٥) الكتاب ج٣ ص ٣٨٠ ، وينظر المقتضب ج٣ ص ١٤٤ ، المخصص ج١٣ ص ٢٤١ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (جمم) .

(٤٦) الانساب ج٣ ص ٣٢٦ ، اللباب ج١ ص ٢٣٦ .

(٤٧) اللسان والقاموس وتاج العروس (جول) وفي ديوان رؤبة ص ٣١٢ : « جول التراب فهو جولاني » .

فيه قد كانت في واحده ؛ لانه ليس جمعا فيحتذى به ويقتاس به على حكم واحده ، وكذلك قول الآخر : « جَوْلَ التراب فهو جَيْلانيّ »(٤٨) .

الحَرَقانيّ : الشديد الحرق أو السواد ، والحَرَقانية نسبة الى الحرق ، وفي حديث الفتح : « دخل مكة وعليه عمامة سوداء حَرَقانية » . قال ابن الاثير:

هكذا يروى ، وجاء تفسيرها في الحديث : أنها السوداء ، ولا يُدرى ما أصله . وقال الزمخشري : الحرقانية هي التي على لون ما أحرقته النار ، كأنها منسوبة — بزيادة الألف والنون — الى الحَرَق — بفتح الحاء والراء — وقال : يقال : الحَرْق بالنار والحَرَق معا ، والحَرَق من الدق الذي يعرض للثوب عند دقه محرك لاغير ومنه حديث عمر بن عبد العزيز — رضي الله عنه — : « أراد أن يستبدل بعماله لما رأى من ابطائهم في تنفيذ أمره فقال « أما عَدِيَ بن أرطاة فانما غَرَّني بعمامته الحَرَقانية السوداء »(٤٩)

الرَّبانيّ : الموصوف بعلم الربّ ، وجيء بها للتعظيم والمبالغة في الوصف . وقد سبق التفصيل فيها .

الرَّقَبانيّ : الغليظ الرقبة ، وقيل إنه « من نادر معدول النسب »(٥٠) ، فان سمي برقبةقيل : رَقَبيّ : وممن نسب اليها طاهربن محمد الرقبانيّ الصقلي اللغوي (٥١) .

(٤٨) الخصائص ج٣ ص ١٦١ ، والشطر للعجاج وهو في ديوانه ص ٣١٢ : « ... جولاني » .

(٤٩) النهاية في غريب الحديث والاثر ج١ ص ٣٧٢ ، اللسان (حرق) .

(٥٠) الكتاب ج٣ ص ٣٨٠ ، المقتضب ج٣ ص ١٤٤ ، المخصص ج١٣ ص ٢٤١ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (رقب) .

(٥١) انباه الرواة ج٢ ص ٩٤ .

الرَّوْحاني : نسبة الى الروح ، وقيل للبقعة : روحاء ، أي : طيبة ذات رائحة ، ومكان رَوْحاني : طيب (٥٢) .

السَّبلاني : الضخم السَّبَلة أو الطويل السبلة — وهي مقدم اللحية خاصة — وقيل : هي اللحية كلها بأسرها (٥٣) .

الشَّعْراني : الكثير الشعر نسبة الى الشعر ، وفي نوادر النجيرمي ان الأصمعي قال : « يقال : رجل شعراني إذا كان طويل شعر الرأس ، ورجل أشعر إذا كان كثير شعر البدن » (٥٥) . وعرف بهذه النسبة جماعة منهم : ابو محمد الفضل بن محمد بن المسيب الشعرانيّ ، وانما قيل له الشعراني ؛ لانه كان يرسل شعره (٥٦) . ومما يردّ الى هذه النسبة « المشعراني » لكثير شعر البدن ، والمشعرانية (٥٧) . وذكر ياقوت الحموي : أن شعران جبل بالموصل ، سمي بذلك لكثرة شجره(٥٨) .

الشَّعْشَعانيّ : الطويل الحسن الخفيف اللحم ، يقال : رجل شَعْشاع وشَعْشعاني مشبه بالخمر المشعشعة . ووصف العجاج المشفر بالشعشعاني لطوله ورقته فقال : « بشعشعانيّ صَّهابيّ هدل » (٥٩) .

---

(٥٢) معجم البلدان ج٣ ص ٧٦ ، القاموس وتاج العروس (روح) .
(٥٣) المخصص ج١ ص ٥١ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (سبل) .
(٥٤) المقتضب ج٣ ص ١٤٤ ، المخصص ج١ ص ٦٢ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (شعر) .
(٥٥) المزهر ج٢ ص ٢٩٢ .
(٥٦) الانساب ج٨ ص ١٠٧ ، اللباب ج٢ ص ٢١ .
(٥٧) ينظر رد العامي الى الفصيح ص ٢٩٥ .
(٥٨) معجم البلدان ج٣ ص ٣٤٩ ، وينظر اللسان (شعر) .
(٥٩) المخصص ج٢ ص ٧٠ ، وينظر اللسان والقاموس وتاج العروس (شعع) .

الشّهواني : الشديد الشهوة ، رجل شهيّ وشهوان وهي شهوى ، قال العجاج : « فهي شهاوى وهو شَهْوانيّ » (٦٠) .

الطُّرانيّ : مأخوذ من « طرأ » وهو الطارىء على القوم القطيع المنكر(٦٦) ، قال العجاج : « يَلْمِزها وذاك طُرآنيُّ »(٦٢) . وقال بعضهم انه اشتق من « طرأ » أي خرج ، وقيل : إن طرآن جبل فيه حمام كثير واليه ينسب الحمام الطرآني ، والعامة تقول : « طوراني » وهو خطأ (٦٣) .

الطُّمطمانيّ : نسبة الى الطمطمة وهي العجمة ، يقال : طمطم في كلامه ، ورجل طِمْطم وطِمطمي وطُمطمانيّ . وفي صفة قريش : « ليس فيهم طمطمانية حمير »(٢) شبّه كلام حمير لما فيه من الالفاظ المنكرة بكلام العجم (٦٤) .

الفيْلمانيّ : العظيم الفخم الجثة من الرجال والعظيم الجمة نسبة الى الفيلم ، وفي الحديث في صفة الدجّال : « أقمر فيلم » وفي رواية « فيلمانياً » . قال ابن الأثير : « الفيلم : العظيم الجثة ، والأمر العظيم ، والياء زائدة . والفيلمانيّ منسوب اليه بزيادة الألف والنون للمبالغة »(٦٥) .

---

(٦٠) ديوان العجاج ص ٣٢٩ ، وفي اللسان : فهي شهوى . وينظر القاموس وتاج العروس (شهى) ومنه قول رابعة : « ياشهواني » .

(٦١) المذكر والمؤنث لابن الانباري ج٢ ص ١٧١ .

(٦٢) ديوان العجاج ص ٣١٦ .

(٦٣) اللسان (طرأ) .

(٦٤) النهاية في غريب الحديث والاثر ج٣ ص ١٣٩ ، وينظر اللسان والقاموس وتاج العروس (طم) . وقد يقاس على هذه اللفظة الجمجماني من الجمجمة وهي الكلام الذي لا يبين من غير أن يقيد بعي ولا غيره ، والتجمجم مثله ، وجمجم في صدره شيئا : اخفاه ولم يبده . ينظر معنى (جمجم) في اللسان وغيره من المعاجم .

(٦٥) النهاية في غريب الحديث والاثر ج٣ ص ٤٧٤ ، اللسان (فلم) وفيه : « يقال فيلماني كما يقال : دحسماني . والدحسماني الغليظ مع سواد (مادة دحسم) .

الكِلْمانيّ : الجيد الكلام الفصيح (٦٦) ، أو الكثير الكلام ، وفي اللسان : رجل كلماني أي جيد الكلام ، فصيح حسن الكلام منطيق . وقال ثعلب : « رجل كلماني : كثير الكلام » فعبر عنه بالكثرة ، قال : والانثى : كلمانية . قال : ولا نظير لكلماني ولا لتكلامة »(٦٧) . وفي القاموس : « وكلماني كسلماني ، وتحرك ، وكِلِّماني – بكسرتين مشددة اللام وبكسرتين مشددّة الميم – ولا نظير لهما ، جيد الكلام فصيحه ، أو كِلماني : كثير الكلام وهي بهاء »(٦٨) .

اللحيانيّ : الطويل اللحية ، فان سمي بلحية قيل : لحييّ ولحِويّ (٦٩) . قال ابن منظور : « وأبو الحسن علي بن خازم يلقب بذلك ، وهو من نادر معدول النسب ، فان سميت رجلاً بلحية ثم أضفت اليه فعلى القياس »(٧٠) .

اللَّخْلَخانيّ : من اللّخ أي : التف ، واللخلخانية العجمة في المنطق ، يقال : رجل لخلخاني وامرأة لخلخانية إذا كانا لا يفصحان . وفي الحديث : « فأتانا رجل فيه لخلخانية » أي : عجمة . قال البعيث :

سيتركها إنْ سلّم الله جارها

بنو اللخلخانيات وهي رتوع

وقيل : هو منسوب الى « لخلخان » وهي قبيلة ، وقيل : موضع (٧١) .

(٦٦) المخصص ج٢ ص ١١٢ .
(٦٧) اللسان (كلم) .
(٦٨) القاموس (الكلام) .
(٦٩) الكتاب ج٣ ص ٣٨٠ ، المقتضب ج٣ ص ١٤٤ ، المخصص ج١٣ ص ٢٤٢ ، القاموس وتاج العروس (اللحية) .
(٧٠) اللسان (لحا) ، وينظر المزهر ج٢ ص ٤٤٦ .
(٧١) اللسان (لخخ) .

وفي شعر امرىء القيس انها اللخ ، قال :

وقد عمر الروضات حول مخطط

الى اللخ مرأى من سعاد ومسمعا(٧٢)

المَخْبرانيّ : الحسن المخبر ، أو ذو المخبر ، يقال : رجل مَنْظرانيّ ومَخبرانيّ أي : حسن المنظر والمخبر (٧٣) .

المَرْنَبانيّ : الكساء المرْنَبانيّ هو ما كان لونه لون الارنب (٧٤) .

المَنْظرانيّ : الحسن المنظر ، أو ذو المنظر ، يقال : رجل منظراني مخبراني .

الوَحْدانيّ : نسبة الى الوحدة والانفراد ، وفي الحديث « إن الله تعالى لم يرضَ بالوحدانية لأحد غيره، شرار أمتي الوَحْدانيّ المعجَب بَدينه ، المرائي بعمله » . يريد بالوحدنيّ « المفارق للجماعة المنفرد بنفسه ، وهو منسوب الى الوحدة والانفراد ، بزيادة الألف والنون للمبالغة »(٧٥) . والله هو « الأوحد والمتوحد ذو الوحدانية »(٧٦) .

الثاني : الحرفة أو الصنعة ، مثل :

الباقلانيّ : بائع الباقلاء ، قال السمعاني : « هذه النسبة الى الباقلا وبيعه »(٧٧) . وقيل : انهـا نسبـة مخطوءة ، والصحيح باقلائي ، قال الحريري « ويقولون في المنسوب الى الفاكهة والباقلاء والسمسم : فاكهاني وباقلانيّ وسِمْسِمانيّ فيخطئون فيه ؛ لان العرب لم يلحقوا الألف والنون في

---

(٧٢) في ديوان امرىء القيس ص ٢٠٩ : اللج ، وينظر معجم البلدان ج٥ ص ١٥ .

(٧٣) المخصص ج٤ ص ٨٠ ، ج١٣ ص ٢٤٢ ، اللسان (خبر) و (نظر) .

(٧٤) المخصص ج٤ ص ٨٠ ، اللسـان والقاموس وتـاج العروس (رنب) والارنباني : الخز الادكن الشديد الدكنة .

(٧٥) النهاية في غريب الحديث والاثر ج٥ ص ١٦٠ ، اللسان (وحد) .

(٧٦) القاموس (الواحد) ، تاج العروس (وحد) .

(٧٧) الانساب ج٢ ص ٥٢ ، وينظر اللباب ج١ ص ٩٠ .

النسب إلا باسماء محصورة زيدتا فيها للمبالغة » . ثم قال : « فأما المنسوب الى الباقلى فمن قصره قال في النسب اليه : باقليّ ؛ لان المقصور إذا تجاوز الرباعي حذفت ألفه في النسب كما يقال في النسب الى حبارى : « حباريّ » والى قبعثرى : « قبعثريّ » . ومن مدّ الباقلاء أجاز في النسب اليه : باقلاّويّ وباقلائيّ ، كما ينسب الى حرباء وعلباء : حرباويّ وحربائيّ ، وعلباويّ وعلبائيّ » (٧٨) وقال ابن خلكان : «الباقلاني – بفتح الباء الموحدة وبعد الألف قاف مكسورة ثم لام ألف وبعدها نون – هذه النسبة الى الباقلى وبيعه »(٧٩) ، وذكر إنكار الحريري لهذه النسبة ، ثم قال : « والسمعاني ما أنكر النّسبة الأولى » .

البَوْرَانيّ : نسبة الى عمل البواري التي تبسط في الدور ويجلس عليها ، ويقال له : البورائيَ والبواري . وممن نسب اليها أبو علي الحسن بن ربيع البوراني البجلي من أهل الكوفة (٨٠) . وفي القاموس : « والى بيعه ينسب الحسن بن الربيع البَوَّاريّ شيخ البخاريّ ومسلم »(٨١) .

التّانيّ : نسبة الى التناية ، وهي الدهقنة ، ويقال لصاحب الضياع والعقار التاني . وفي حديث قتادة : « كان حميد بن هلال من العلماء فأضرت به التناوة . أراد : التناية وهي الفلاحة والزراعة فقلب الياء واواً ، يريد أنه ترك المذاكرة ومجالسة العلماء » . (٨٢) والمشهور بهذه النسبة

(٧٨) درة الفواص ص ١١٢ – ١١٣ ، اشتهر بلقب الباقلاني ابو بكر صاحب اعجاز القرآن المتوفى سنة ٤٠٣هـ والحسن بن معالي الباقلاني المتوفى سنة ٦٣٧هـ .
(٧٩) وفيات الاعيان ج٣ ص ٤٠٠ – ٤٠١ ، وينظر ج٢ ص ٤٧٤ .
(٨٠) الانساب ج٢ ص ٣٥٠ ، اللباب ج١ ص ١٥٠ .
(٨١) القاموس المحيط (البور) .
(٨٢) النهاية في غريب الحديث والاثر ج١ ص ١٩٩ .

أبو بكر محمد بن عبدالله بن ربذة التاني ، ومحمد بن عمر بن تانة التانيّ ، واحمد بن محمد بن تانة التاني (٨٣) .

التَّيّانيّ : نسبة الى التين ، وممن نسب اليه المرسي أبو غالب تمام بن غالب بن عمرو المعروف بالتياني من أهل مرسية . قال ياقوت : « مرسية بلدة حسنة من بلاد الاندلس كثيرة التين – يجلب منها الى سائر البلدان فلعله نسب اليها لبيع التين »(٨٤) . وقال ابن خلكان : « والتيانيّ : أظنه منسوبا الى التين وبيعه »(٨٥)

الحَلْوانيّ : نسبة الى عمل الحلوى وبيعها ، وممن نسب اليها شمس الائمة عبد العزيز بن احمد البخاري (– ٤٥٦ هـ) ، ومحمد بن علي شيخ الحنابلة في القرن الخامس للهجرة وأبو المعالي عبد الله بن احمد ، ويقال له الحلوائي بهمز بلانون (٨٦) .

السَّفَرْجَلانيّ : بائع السَّفَرْجَل ، وقد نسب اليه عبد الرحمن بن محمد عيد السفرجلاني (٨٧) .

السِّمْسِمانيّ : بائع السِّمْسِم . وقيل : إن هذه النسبة غير صحيحة ، قال الحريري : « ووجه الكلام في الأول أن يقال في المنسوب الى السمسم : سِمسِميّ ، كما يقال في المنسوب الى تِرْمِذ : تِرْمِذيّ »(٨٨) .

(٨٣) ينظر الانساب ج٣ ص ٨ ، اللباب ج١ ص ١٦٧ ، المشتبه ص ٣٨ ، الاكمال ج١ ص ٥٧٨ . اللسان وتاج العروس (تنا) .
(٨٤) معجم الادباء ج٢ ص ٣٩٤ ، وينظر القاموس وتاج العروس (تين) .
(٨٥) وفيات الاعيان ج١ ص ٢٦٩ ، وينظر الاكمال ج١ ص ٤٤٣ ، انباه الرواة ج١ ص ٢٥٩ .
(٨٦) ينظر الانساب ج٤ ص ٢١٦ . اللباب ج١ ص ٣١١ ، والمشتبه ص ٢٢٤ ، والقاموس وتاج العروس (حلو) .
(٨٧) ينظر الاعلام ج٣ ص ٣٣٦ .
(٨٨) درة الغواص ص ١١٢ .

وقال ابن خلكان في ترجمة أبي الحسن علي بن عبيد الله بن عبدالغفار السمسماني اللغوي (ـ ٤١٥ هـ) : « ولا أعرف نسبته الى ماذا هي — بكسر السينين المهملتين وبسكون الميم الأولى وفتح الثانية وبالنون — ثم وجدت في درّة الغواص للحريري ما مثاله ، ويقولون في النسبة الى الفاكهة والباقلاء والسمسم : فاكهانيّ ، وباقلانيّ ، وسِمْسِمانيّ ، فيخطئون فيه ، وبيّن وجــه الخطأ . ثم قال بعــد ذلك : ووجه الكلام أن يقال في المنسوب الى السمسم : سمسمي ، وتمم الكلام الى آخره . فلما وقفت على هذا علمت أن نسبة أبي الحسن المذكور الى السمسم ، وانه استعمل على اصطلاح الناس »(٨٩) . وقال ياقوت : ورأيت جماعة من أهل العلم يزعمون أن النسبة الى السمسميّ والسِمْسِمانيّ واحد ، يقال هذا ، ويقال هذا » (٩٠) . وحكى ابن خالويه « انه يقال لبائع السمسم : سِمّاس ، كما قالوا لبائع اللؤلؤ : لأآل »(٩١) .

الصَّنْدَلاني : لغة في الصَّيْدَلانيّ ، بائع الصَّنْدَل ، وهو خشب أجوده الأحمر أو الأبيض ، محلل للأورام ، نافع للخفقان والصداع ، ولضعف المعدة الحارة والحميات . يقال : رجل صَنْدلانيّ وصَيْدَلانيّ (٩٢) . وذكر أدي شير أن الصندل معرب ، ثم قال : « الصيدلانيّ والصندلانيّ والصَّنْدَنانيّ : بياع العطر والعقاقير والأدوية ، قيل : هو فارسي معرب ولم أجده ، وأظن أن أصل الصيدلاني : صندلاني أي : بياع

(٨٩) وفيات الاعيان ج٢ ص ٤٧٤ ، وينظر انباه الرواة ج٢ ص ٢٨٨ .
(٩٠) معجم الادباء ج٥ ص ٢٧٢ ، وينظر نزهة الالباء ص ٢٣٢ ، الانساب ج٧ ص ٢٢١ .
(٩١) اللسان (سمم) وتاج العروس (سمم) .
(٩٢) غوامض الصحاح ص ١٦٥ ، القاموس وتاج العروس (صندل) .
(٩٣) معجم الالفاظ الفارسية المعربة ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ، وينظر المعرب ص ٢٢٠ ، شفاء الغليل ص ١٧٠ .

الصندل ، ثم أطلق على كل من يبيع أي جنس كان من العطر والعقاقير والأدوية »(٩٣) .

الصَّنْدَنانيّ : بائع الأدوية والعقاقير والطب (٩٤) .

الصَّيْدَلانيّ : بائع الأدوية والعقاقير والعطر ، والجمع الصيادلة ، وهو منسوب الى الصَّيْدَل والصَّيْدَن – وهما في الأصل حجارة الفضة ، ثم جعلا اسمين للعقاقير (٩٥) وذكر ابن منظور أنه فارسي معرب والجمع صيادلة (٩٦) . ثم قال : إن الصَّيْدلانيّ لغة في الصَّيْدَنانيّ أي : العطار ، منسوب الى الصَّيْدَل والصَّيْدَن ، والأصل فيهما حجارة الفضة ، فشبّه بها حجارة العقاقير ، وعليه قول الأعشى يصف ناقة شبّه زورها بطلاءة العطار :

وزوراً ترى في مرفقيه تجانفا

نبيلا كدوك الصيدنانيّ دامكا

ويروى : « الصَّيْدَلانيّ دامكا »(٩٧) وذكر أن الصَّيْدَن العطار وأورد بيت الأعشى ، ثم قال نقلاً عن ابن خالويه : «الصَّيْدَن : دويبة تجمع عيدانا من النبات ، فشبه به الصَّيْدَنانيّ لجمعه العقاقير » ، ثم قال حكاية عن ابن بري عن ابن درستويه : « الصيْدَن والصَّيْدَل : حجارة الفضة ، شبه بها حجارة العقاقير ، فنسب اليها الصيدنانيّ الصيدلانيّ ، وهو العطار »(٩٨) . وممن نسب الى بيع العطر وهو الصيدلة : محمد بن داود الفقيه الصيدلاني وجده ، وأبو عبد الرحمن المعتزلي

(٩٤) معجم الالفاظ الفارسية المعربة ص ١٠٩ .
(٩٥) درة الغواص ص ١١٢ ، الانساب ج٨ ص ٣٥٩ ، اللباب ج٢ ص ٦٥ .
(٩٦) اللسان (صدل) .
(٩٧) اللسان (صندل) ، ديوان الاعشى ص ١٣١ وفيه : كبيت الصيدلاني .
(٩٨) اللسان (صدن) .

غلام أبي علي الجبائي ، واسماعيل بن احمد السياري ، وابو القاسم ابن الصيدلاني (٩٩) .

الصَّيْدَنانيّ : بائع الأدوية والعقاقير (١٠٠) ، وهناك « جامع الصيدناني »(١٠١)

الفاخِرانيّ : نسبة الى من يعمل الفخار ، وهو الخزف . اشتهر بهذه النسبة جماعة منهم : حمة الفاخراني (١٠٢) ، وأبو الحسن علي بن هلال ابن خميس الواسطي ، وقيل انه « منسوب الى الفخرانية وهي قرية من سواد واسط » (١٠٣) .

الفاكهانيّ : بائع الفاكهة ، وقد أنكر الحريري هذه النسبة وقال : « المنسوب الى الفاكهة : فاكهيّ ، كما ينسب الى السامِرة : سامريّ » (١٠٤) وفي اللسان : « والفاكهاني : الذي يبيع الفاكهة ، قال سيبويه : ولايقال لبائع الفاكهة : فكّاه ، كما قالوا لبّان ونبّال ؛ لان هذا الضرب انما هوسمَاعي لااطرادي »(١٠٥) . وفي القاموس : «الفاكهاني : بائعها»(١٠٦)

القافِلانيّ : نسبة الى من يشتري السفن ويكسرها ويبيع خشبها وقيرها وقفلها — وهو حديدها — . قال السمعاني : « وهذه النسبة الى حرفة عجيبة ، سمعت القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ببغداد مذاكرة

(٩٩) ينظر القاموس وتاج العروس (صدل) ، الاشباه والنظائر ج٦ ص ٢٠٩ ، طبقات السبكي ج٧ ص ١٠١ ، شذرات الذهب ج٣ ص١٥٣ .
(١٠٠) الانساب ج٨ ص ٣٥٩ ، اللباب ج٢ ص ٦٥ ، درة الغواص ص ١١٢ .
(١٠١) الامتاع والمؤانسة ج٢ ص ٥٧ .
(١٠٢) الانساب ج٩ ص ٢٠٩ ، اللباب ج٢ ص ١٨٧ .
(١٠٣) شذرات الذهب ج٤ ص ٣٠٧ .
(١٠٤) درة الغواص ص ١١٢ ، اللباب ج٢ ص ١٩٤ ، وفيات الاعيان ج٢ ص ٤٧٤ .
(١٠٥) لسان العرب (فكه) .
(١٠٦) القاموس (الفاكهة) .

يقول : القافلاني اسم لمن يشتري السفن الكبار المنحدرة من الموصل والمصعدة من البصرة ، ويكسرها ويبيع خشبها وقيرها وقفلها – والقفل الحديد الذي فيها – يقال لمن يفعل هذه الصنعة : القافلاني ، والمشهور بهذه النسبة أبو الربيع سليمان بن محمد بن سليمان القافلاني »(١٠٧)، وقد روى عنه أهل البصرة ، وكان يبيع السفن فيها (١٠٨) .

القَصَباني : نسبة الى القصب وبيعه (١٠٩) ، وممن سمي به : الفضل بن محمد النحوي البصري شيخ الحريري (١١٠) .

المالحاني : نسبة الى من يبيع السمك المالح ، واشتهر بها أبو محمد اسماعيل ابن اسحاق المالحاني الكوفي (١١١) .

الثالث : الملكية مثل :

الدَّيْراني : صاحب الدير ، ويقال له ديَّار أيضا (١١٢) .

الرابع : النسبة الى الأماكن مثل :

الإسْتاني : نسبة الى إسْتا من قرى سمرقند ، ينسب اليها أبو شعيب صالح ابن حمزة الخزاعي الإسْتاني (١١٣) . وقد تكون نسبة الى « أسْتان » من قرى بغداد (١١٤) .

الاسْكَنْدَراني : نسبة الى الاسكندرية (١١٥) ، والمنسوبون اليها لا يحصون .

(١٠٧) الانساب ج١٠ ص ٣٠ .
(١٠٨) اللباب ج٢ ص ٢٣٧ .
(١٠٩) الانساب ج١٠ ص ١٦٧ ، اللباب ج٢ ص ٢٦٦ .
(١١٠) نكت الهيمان ص ٢٢٧ .
(١١١) الانساب ج١٢ ص ٤٥ ، اللباب ج٣ ص ٨٦ .
(١١٢) ديوان الادب ج٣ ص ٣٨٥ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (دير) .
(١١٣) الانساب ج١ ص ١٩٧ ، معجم البلدان ج١ ص ١٧٣ .
(١١٤) المشتبه ص ٢٩ .
(١١٥) معجم البلدان ج١ ص ١٨٣ .

الإسْناني : نسبة الى « إسْنا » — بكسر الهمزة — مدينة بصعيد مصر ، وقد ينسب اليها : الإسْنائيّ والاسْنوي (١١٦) .

الأَشْرفانيّ : نسبة الى الأشرفية من قرى الغوطة بدمشق ، وينسب اليها محمد بن مالك الأشرفاني (١١٧) .

الأُشْنَانْدانيّ : نسبة الى أُشْنان وهي محلة في بغداد واليها ينَسب أبو عثمان سعيد الاشناندانى . قال ياقوت : « والاشناندانى : نسبة الى اشنان محلة ببغداد ، وزادوا الدال فيها كما زادوا الهاء في الأشنهي نسبة الى أشنا »(١١٨) . وقد ينسب اليها : الأُشْناني (١١٩) .

الأُشْنانيّ : نسبة الى أُشْنُه ، وهي قرية من جهة أربل ، ونسب المحدّثون اليها جماعة من الرواة على ثلاثة أمثلة : أُشْنانيّ ومنهم أبو جعفر محمد عمر بن حفص الأُشْنانيّ ، والأُشْنُهيّ ، والأُشْنائيّ على غير قياس ، واليها ينسب الفقيه عبد العزيز بن علي الأُشْنُهي الشافعي (١٢٠) .

الباقَدْرانيّ : نسبة الى باقَدْر ، وهي من قرى بغداد ، وينسب اليها أبو عبد الله الضرير الباقدْراني(١٢١)،ونسب اليها الباقَدْرايّ أيضا(١٢٢)

---

(١١٦) الانساب ج١ ص ٢٤٧ ، معجم البلدان ج١ ص ١٨٩ .
(١١٧) الاعلام ج٧ ص ١٧ .
(١١٨) معجم الادباء ج٤ ص ٢٤٥ ، وينظر بغية الوعاة ج١ ص ٥٩١ .
(١١٩) معجم البلدان ج١ ص ٢٠١ .
(١٢٠) معجم البلدان ج١ ص ٢٠١ — ٢٠٢ ، معجم الادباء ج٤ ص ٢٤٥ ، طبقات الاسنوي ج١ ص ٩٨ ، طبقات السبكي ج٧ ص ١٧١ .
(١٢١) نكت الهميان ص ١٤٤ .
(١٢٢) معجم البلدان ج١ ص ٣٢٧ .

البَحْرانيّ : نسبة الى البحرين ، وزعم الخليل « أنّهم بَنَوا البحر على « فَعْلان » ، وانما كان القياس أن يقولوا : بحري»(١٢٣) . ولم يقولوا : بحري لئلا تشبه النسبة الى البحر : قال اليزيدي : « سألني والكسائيّ المهديُّ عن النسبة الى البحرين والى حصنين : لم قالوا : حصني وبحراني ؟ فقال الكسائي : كرهوا أن يقولوا : حصناني لاجتماع النونين . وقلت أنا : كرهوا أن يقولوا بحريّ لئلا يشبه النسبة الى البحر »(١٢٤) وقال ابن يعيش : « فأما بحرانيّ فشاذ ، والقياس : بحريّ ، تحذف علامة التثنية في النسبة كما تحذف تاء التأنيث ، لكنهم كرهوا اللبس ففرقوا بين النسب الى البحر ؛ لان النسبة بحريّ ، وبين ماينسب الى البحرين ، والبحرين موضع بعينه والذي يقول : بحراني ، نسبة الى « فَعْلان » كأنهم سموا به على مثال « سَعْدان »و«سَكْران » فنسبوا اليه للفرق » (١٢٥) . وقال السمعاني : « هذه النسبة الى البحر أو الى الجزائر والسكون فيها واستدامة ركوب البحار ، أو كان ملاح السفن »(١٢٦) . قال ابن الاثير : « تعسف السمعاني في هذه النسبة ، وخرج عن قاعدة النحاة ، فانهم ينسبون الى البحر : بحريّ . وانما « البحراني » منسوب الى البحرين » . (١٢٧)

البَزَوغانيّ : نسبة الى بَزَوغى . وينسب اليها ابو يعقوب اسحاق بن ابراهيم ابن حاتم بن اسماعيل البزوغاني (١٢٨) .

(١٢٣) الكتاب ج٣ ص ٣٣٦ . شرح الشافية ج٢ ص ١١ ، ٨٢ ، شرح اللمع ج٢ ص ٦٣١ .
(١٢٤) المخصص ج١٣ ص ٢٤٢ ، وفيات الاعيان ج٤ ص ١٠٤ ، وج١ ص ٤١٢ .
(١٢٥) شرح المفصل ج٦ ص ١١ .
(١٢٦) الانساب ج٢ ص ٩٩ .
(١٢٧) اللباب ج١ ص ١٠٠ .
(١٢٨) معجم البلدان ج١ ص ٤١١ .

البَصّلانيّ : نسبة الى البَصَلِيّة وهي محلة في طرف بغداد الجنوبي ، خرج منها جماعة من العلماء منهم : أبو بكر محمد بن اسماعيل بن علي البصلاني ، كان شيخاً ثقة ، مات في شعبان سنة ٣١١ هـ (١٢٩).

البوُرانيّ : نسبة الى بوُرَى وهي قرية قرب عُكْبَرَاء ، منها محمد بن أبي المعالي بن البوراني (١٣٠) .

الجِبْرانيّ : نسبة الى قرية جِبْرِين من أعمال حلب(١٣١) ، وينسب اليها جبرينيّ أيضا (١٣٢) .

الجَدَيانيّ : نسبة الى جَدَيا أو جِدْيا وهي من قرى دمشق ، وينسب اليها أبوحفص عمربن صالحبن عثمان بنعامر المريريالجدياني(١٣٣) .

الجَلُنْتانيّ : نسبة الى جَلُنْتا من قرى النهروان ، وينسب اليها أبو طالب المحسن بن علي الجلتانيّ من فقهاء أصحاب الشافعي .

الجُنْبلانيّ : نسبة الى جُنْبلا أو جُنْبُلاء « كورة وبليد ، وهو منزل بين واسط والكوفة منه الى قناطر بني دارا الى واسط »(١٣٥) . واليها ينسب عبد الله بن محمد الجنان الجُنْبلاني مؤسس الطريقة الجُنْبلانية (١٣٦) .

---

(١٢٩) الانساب ج٢ ص ٢٥٣ ، اللباب ج١ ص ١٢٨ ، معجم البلدان ج١ ص ٤٤٢ .
(١٣٠) معجم البلدان ج١ ص ٥٠٦ ، القاموس (البور) .
(١٣١) المشتبه ص ١٩٧ .
(١٣٢) معجم البلدان ج٢ ص ١٠١ .
(١٣٣) معجم البلدان ج٢ ص ١١٥ ، الانساب ج٣ ص ٢١٩ ، اللباب ج١ ص ٢١٤ .
(١٣٤) الانساب ج٣ ص ٣٠٥ ، معجم البلدان ج٢ ص ١٥٥ .
(١٣٥) معجم البلدان ج٢ ص ١٦٨ .
(١٣٦) الانساب ج٣ ص ٣٤١ ، الاعلام ج٤ ص ١١٨ .

الجَوْبَـرانيّ : نسبة الى جَوْبَر من قرى غُوطة دمشق (١٣٧) .

الحدثانيّ : نسبة الى حديثة الفرات المعروفة بحديثة النورة ، وينسب اليها جماعة منهم سويد بن سعيد أبو محمد الحدثاني(١٣٨) . ويقال الحديثي والحدثي ، والأخيرة تختلط بالنسبة الى الحدث وهي قلعة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور ، وقد نسب اليها خلق منهم عمر بن زرارة الحَدَثيّ (١٣٩) .

الحَرَسْتانيّ : نسبة الى حَرَسْتا ، وهي قرية وسط بساتين دمشق على طريق حمص ، وينسب اليها عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الانصاري الحرسْتاني (١٤٠) .

الحَنْدُوثانيّ : نسبة الى حَنْدوثا من قرى معرة النعمان ، وينسب اليها أبو عبد الله الحسين بن احمد بن أبي جعفر الحندوثاني (١٤١) .

الدّارانيّ : نسبة الى داريا من قرى دمشق بالغوطة ، وبها قبر أبي سليمان الداراني (١٤٢) . وينسب اليها ابن الخلال الدمشقي (١٤٣) .

الدِّبْثانيّ : نسبة الى دِبْثا قرب واسط ، نسبوا اليها أبا بكر محمد بن يحيى بن محمد بن روزبهان المعروف بابن الدِبْثاني (١٤٤) .

---

(١٣٧) المشتبه ص ١٩٤ ــ ١٩٥ .

(١٣٨) الانساب ج٤ ص ٨٨ ، اللباب ج١ ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥ ، معجم البلدان ج٢ ص ٢٣٠ ــ ٢٣١ ، نكت الهيمان ص ١٦٢ .

(١٣٩) معجم البلدان ج٢ ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .

(١٤٠) الانساب ج٤ ص ١١٩ ، اللباب ج١ ص ٢٩١ . طبقات الاسنوي ج١ ص ٤٤٥ ــ ٢٤٧ ، طبقات السبكي ج٨ ص ١٩٦ ، شذرات الذهب ج٥ ص ٣٠٩ ، معجم البلدان ج٢ ص ٢٤١ .

(١٤١) معجم البلدان ج٢ ص ٣١٠ .

(١٤٢) معجم البلدان ج٢ ص ٤٣١ ــ ٤٣٢ ، وفيات الاعيان ج٢ ص ٣١٣ . الانساب ج٥ ص ٢٧١ ، اللباب ج١ ص ٢٠٣ .

(١٤٣) الوافي بالوفيات ج٣ ص ٢٣٠ .

(١٤٤) معجم البلدان ج٢ ص ٤٣٧ .

الدَّسْتَوانيّ : نسبة الى دَسْتَواء ، والنسبة اليها الدستوائي أيضا (١٤٥) .

الرَّوْحاني : نسبة الى الرَّوْحاء وهي بلد ، ومنهم من يقول روحاوي (١٤٦) .

الرَّوْحانيّ : نسبة الى رَوْحا وهي قرية من قرى الرحبة ، ينسب اليها أبو الحسن علي بن محمد بن سلامة الروحاني (١٤٧) .

الزَّمْلَكانيّ : نسبة الى زَمْلَكان أو زَمَلُكا من قرى دمشق ، وقد نسب اليهـا خلق منهم جماهير بن احمد بن محمد بن حمزة أبو الأزهر الزملكاني (١٤٨) . ومنهم ابن الزملكاني عبد الواحد بن عبد الكريم (ـ ٦٥١ هـ) صاحب « التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن » و« البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن » وولده علاء الدين وحفيده كمال الدين (١٤٨) .

الزَنْدنيانيّ : نسبة الى زندنيا من قرى نسف . منهم الحاكم أبو الفوارس عبد الملك الزندنياني (١٥٠) . وذكر ياقوت أنها زَنْدنيا ، وهي من قرى نسف بما وراء النهر (١٥١) .

الزُّومانيّ : نسبة الى زُوم من نواحي أرمينية مما يلي الموصل (١٥٢) .

السَّقْبانيّ : نسبة الى سَقْبا من قرى دمشق بالغوطة ، ينسب اليها أبو جعفر احمد بن عبيد بن احمد بن سيف القضاعي السَّقْباني (١٥٣) .

(١٤٥) الكتاب ج٣ ص ٣٣٦ ، معجم البلدان ج٢ ص ٤٥٥ .
(١٤٦) الكتاب ج٣ ص ٣٣٧ ، شرح المفصل ج٦ ص ١٠ ـ ١٢ .
(١٤٧) معجم البلدان ج٣ ص ٧٦ .
(١٤٨) معجم البلدان ج٣ ص ١٥٠ ، وينظر الانساب ج٦ ص ٣١٨ ، اللباب ج١ ص ٥٠٧ .
(١٤٩) ينظر طبقات الاسنوي ج٢ ص ١٢ ـ ١٥ ، طبقات السبكي ج٨ ص ٣١٦ ، شذرات الذهب ج٦ ص ٧٨ .
(١٥٠) اللباب ج١ ص ٥١٠ .
(١٥١) معجم البلدان ج٣ ص ١٥٤ .
(١٥٢) معجم البلدان ج٣ ص ١٥٩ .
(١٥٣) معجم البلدان ج٣ ص ٢٢٦ ، المشتبه ص ٣٦١ .

السَّلمانيّ : نسبة الى سَلَمية في الشام ، وينسب اليها عتيق السلماني صاحب أبي القاسم ابن عساكر (١٥٤) ، ومحمد بن تمام بن صالح أبو بكر الحراني الحمصي السلماني (١٥٥) .

السِّنْدَوانيّ : نسبة الى السِّنْدِية من قرى بغداد على نهر عيسى ، ينسب اليها السندوانيّ للفرق بين النسبة الى السند والسندية ، وينسب اليها أبو طاهر محمد بن عبد العزيز السِّنْدوانيّ (١٥٦) .

الشَّعْرانيّ : نسبة الى ناحية ساقية أبي شعرة من قرى المنوفية بمصر ، وينسب اليها احمد بن علي الشعراني ، وعبد الوهاب بن احمد (١٥٧) .

الشَّيانيّ : نسبة الى شيا قرية من ناحية بخارى ، وينسب اليها أبو نعيم عبد الصمد بن علي بن محمد الشياني (١٥٨) .

الصَّنْعانيّ : نسبة الى صنعاء اليمن (١٥٩) ، وقيل : صنعان ، قال ياقوت : « صنعان لغة في صنعاء عن نصر ، وما أراه الا وهماً ؛ لانه رأى النسبة الى صنعاء : صنعاني »(١٦٠) . وقيل : إنهم أبدلوا النون من الواو (١٦١) .

الصورانيّ : نسبة الى صورا وهي قرية بين بغداد والكوفة ، وقد يقال لها : سورا والنسبة السوراني لان الصاد تبدل بالسين (١٦٢) .

(١٥٤) المشتبه ص ٣٦٦ .
(١٥٥) معجم البلدان ج٣ ص ٢٤١ .
(١٥٦) معجم البلدان ج٣ ص ٢٦٨ .
(١٥٧) الاعلام ج١ ص ١٧٩ ، ج٤ ص ١٨٠ .
(١٥٨) معجم البلدان ج٣ ص ٣٧٨ .
(١٥٩) الكتاب ج٣ ص ٣٣٦ .
(١٦٠) معجم البلدان ج٣ ص ٤٣١ ، وينظر المنصف ج١ ص ١٥٨ ، سر صناعة الاعراب ج٢ ص ٤٣٦ ، ٤٤١ ، المسائل المشكلة ص ١٥٠ .
(١٦١) تنظر المصادر السابقة .
(١٦٢) الانساب ج٨ ص ٣٤١ ، اللباب ج٢ ص ٦٢ .

الصَّيْدانيّ : نسبة الى صَيْدا أو صَيْداء المدينة المعروفة في لبنان ، ويقال : صيداوي (١٦٣) .

الطّبرانيّ : نسبة الى طَبَرِيَّة وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية ، قال ياقوت : « والنسبة اليها طبراني على غير قياس ، فكأنه لما كثرت النسبة بالطبري الى طبرستان أرادوا التفرقة بين النسبتين فقالوا : طبراني الى طبرية ، كما قالوا : صنعانيّ ، وبَهرانيّ ، وبحرانيّ »(١٦٤) .

الطُّورانيّ : نسبة الى الطور ، وهو الجبل ، وطور سيناء ، ويقال : طوريّ ، والنسب اليه طوريّ وطورانيّ ،وحمام طورانيّ وطوري منسوب اليه (١٦٥)

الطِّيْرانيّ : نسبة الى طِيرا أو طيرى من قرى اصبهان ، وينسب اليها أبو العباس احمد بن محمد بن علي بن متة الطيراني ، والنسبة الى طيرة من قرى دمشق : الطيريّ (١٦٦) .

الفَرْبيانيّ : نسبة الى فَرْبيا من قرى عسقلان ، وينسب اليها أبو الغنائم محمود بن الفضل بن حيدر بن مطر الفربياني (١٦٧) .

القَرْقَساني : نسبة الى قرقيسيا ، وهي بليدة بالجزيرة قريبة من الرقة، وينتسب اليها عبد الملك بن سليمان ابن القرقساني (١٦٨) .

القَرَماني : نسبة الى بلدة قرة بيري ،وينسب اليها محمد بن يوسف القرماني(١٦٩)

(١٦٣) الانساب ج٨ ص ٣٥٤ ، اللباب ج٢ ص ٦٥ ، معجم البلدان ج٣ ص٤٣٧ .
(١٦٤) معجم البلدان ج٤ ص ١٨ ، وفيات الاعيان ج١ ص ٣٥٨ ، ج٢ ص ١٤١ .
(١٦٥) اللسان (طور) .
(١٦٦) معجم البلدان ج٤ ص ٥٤ ، القاموس وتاج العروس (طير) .
(١٦٧) معجم البلدان ج٤ ص ٢٤٦ .
(١٦٨) الانساب ج١٠ ص ١٠٥ .
(١٦٩) الاعلام ج٧ ص ١٥٤ .

القُنَّانيّ : نسبة الى قُنَّـا ، وهي قريـة بالسواد (١٧٠) . قال ياقوت : «دير قَـنّا : من نواحي النهروان قرب الصافية ، النسبة اليها قنائي»(١٧١) .

القُـوفانيّ : نسبة الى قُـوفا من قرى دمشق ، وينسب اليها أبو المستضيء معاوية بن أوس بن الأصبغ بن محمد بن لهيعة السّكْسَكيّ القوفاني(١٧٢)

القيْسرَانيّ : نسبة الى قَيْساريّة ، وهي بلد ساحل بحر الشام تعدّ في أعمال فلسطين ، وينسب اليها عبدالله محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني(١٧٣).

الكُـوثانيّ : نسبة الى كُـوثى ، وهي عدة مواضع ، وقد نسب اليها : كُـوثيّ وكُـوثانيّ ، ومن الثاني أبو منصور بن حمـاد بن منصـور الضرير الكوثاني (١٧٤) .

الكَـلْواذاني : نسبة الى كَـلْواذَى ، وقد نسب اليها احمد بن عبيد الله بن أحمد المعروف بابن قرعة (١٧٥) . والنسبـة اليها الكلواذي أيضا (١٧٦) وقال السمعاني : « هذه النسبة الى كلواذان من قرى بغداد »(١٧٧) .

المَسْفَرانيّ : نسبة الى مَسْفَرا ، وهي قرية في طرف نواحي مرو من ناحيـة طريق خوارزم ، وينسب اليها أبو جعفر محمد بن علي المسْفَراني (١٧٨) .

---

(١٧٠) المشتبه ص ٥١٨ .
(١٧١) معجم البلدان ج٤ ص ٣٩٩ ، وينظر ج٢ ص ٥٢٨ .
(١٧٢) معجم البلدان ج٤ ص ٤١٣ .
(١٧٣) الانسـاب ج١٠ ص ٢٩٠ ، اللباب ج٣ ص ١٦ ، معجم البلدان ج٤ ص٤٢١ ، وفيات الاعيان ج٤ ص ٨٢ ـ ٨٥ .
(١٧٤) معجم البلدان ج٤ ص ٤٨٨ .
(١٧٥) معجم الادباء ج١ ص ٢٢٨ ، الوافي بالوفيات ج٧ ص ١٧٤ .
(١٧٦) معجم البلدان ج٤ ص ٤٧٧ ، اللباب ج٣ ص ٤٩ .
(١٧٧) الانسـاب ج١٠ ص ٤٦٠ .
(١٧٨) معجم البلدان ج٥ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

المَشْغرانيّ : نسبة الى مَشْغَري من قرى دمشق من ناحية البقاع ، وينسب اليها القرشي المشغراني الدمشقي (١٧٩) .

المَنْبَجانيّ : نسبة الى مَنْبج ، والنسبة اليهـا منبجي أيضا (١٨٠) . قال ابن سيده : « الأصمعي : كساء منبجاني منسوب الى منبج ، ولايقال : انبجاني . قال أبو حاتم : فقلت له : لم فتحت الباء وانما نسبت الى منبج ؟ قال : خرج مخرج منظراني ومخبراني » . (١٨١) .

النَّصْرانيّ : نسبة الى الناصرة أو النصورية التي ولد فيها المسيح — عليه السلام — والنصرانية واحدة النصارى ، والنصرانية أيضا دين أتباع عيسى — عليه السلام — ويقال : نصراني وأنصار (١٨٢) .

اليَلْداني : نسبة الى يَلْدا من قرى دمشق ، وهناك يَلْدان من قرى دمشق أيضا ، قال ياقوت : « لاأدري أهما واحد أم اثنان »(١٨٣) ، وينسب اليها أو اليهما عبد الرحمن بن عبد المولى اليَلْداني (١٨٤) .

اليَمانيّ : نسبة الى اليمن ، ويقال : اليمني ، وقد تحذف منه أحد الياءين فيقال : يمان ، كما يقال في تهامة : تهام من يقول : يماني ويمني (١٨٥) .

الخامس : النسبة الى القبيلة أو الأب مثل :

البَهْرانيّ : نسبة الى بَهْراء ، وهي قبيلة مَن قضاعة أو حيّ ، وقد

(١٧٩) معجم البلدان ج٥ ص ١٣٤ .
(١٨٠) معجم البلدان ج٥ ص ٢٠٧ ، اللسان (نبج) .
(١٨١) المخصص ج٤ ص ٨٠ .
(١٨٢) اللسان والقاموس وتاج العروس (نصر) .
(١٨٣) معجم البلدان ج٥ ص ٤٤١ .
(١٨٤) نكت الهيمان ص ١٨٨ .
(١٨٥) الكتاب ج ٣ ص ٣٣٧ ، المقتضب ج٣ ص ١٤٥ ، معجم البلدان ج٥ ص ٤٤٧ .

يقال : بهراويّ ؛ لانه القياس . وقيل : إن النون بدل من الواو أو الهمزة (١٨٦) .

الحرُقانيّ : نسبة الى حرُقاء بطن من قضاعة (١٨٧) .

الزّبانيّ : نسبة الى زَبينة ، وبنو زَبينة حيّ أو قبيلة من باهلة ، وهو من المعدول الذي جاء على غير قياس ، واذا سمي رجل « زبينة » فلا يقال : زّباني ، ولكن يقال : « زَبَنيّ » (١٨٨) .

القُرنانيّ : نسبة الى بني القُرناء ، وهو بطن من تجيب ، والمنتسب اليهم عميرة بن تميم بن حيي القرناني (١٨٩) .

المامانيّ : نسبة الى « ماما» وهو جد أبي حامد احمد بن محمد بن أحيد بن عبد الله بن ماما الحافظ الماماني (١٩٠) .

السادس : أمن اللبس والتفريق بين المتشابهات مثل :

البحراني : نسبة الى البحرين ، ولم « يقولوا بحري ليفرقوا بينه وبين النسبة الى البحر »(١٩١)

الحَدَثانيّ : نسبة الى حديثة الفرات المعروفة بحديثة النورة ، وقد يقال : الحديثي ، ولايقال : الحدَثي . لئلا تختلط بالنسبة الى قلعة الحدث (١٩٢)

---

(١٨٦) الكتاب ج٣ ص ٣٣٦ ، المنصف ج١ ص ١٥٨ ، سر صناعة الاعراب ج٢ ص ٤٣٦ ، ٤٤١ ، شرح المفصل ج١٦ ص ١١ ، الانساب ج٢ ص ٧٣ ، اللباب ج١ ص١٥٦ ، معجم البلدان ج٣ ص ٤٢٦ ، اللسان والقاموس (بهر) .

(١٨٧) الانساب ج٤ ص ١٢٨ ، اللباب ج١ ص ٢٩٣ .

(١٨٨) الكتاب ج٣ ص ٣٣٥ ، المقتضب ج٣ ص ١٤٥ ، شرح المفصل ج٦ ص ١١، الشافية ج٢ ص ٨٤ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (زبن) .

(١٨٩) الانساب ج١٠ ص ١١٢ .

(١٩٠) اللباب ج٣ ص ٩٠ .

(١٩١) المخصص ج٣ ص ٢٤٢ ، وفيات الاعيان ج٤ ص ١٠٤ وينظر ج١ ص ٤١٢، اللسان (بحر) .

(١٩٢) معجم البلدان ج٢ ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .

الرُّوحانيّ : نسبة الى علم الرُّوح ، وقد يأتي لما فيه الروح وكذلك النسبة الى الملك والجن ، أو لكل مافيه الروح من الناس والدواب والجن . والجمع : روحانيون وأما الروحيُّ فهو نسبة الى الروح ، وفي الحديث « الملائكة الروحانيو ن (١٩٣) .

السَّفَرْجلانيّ : نسبة الى بيع السفرجل، والسفرجلي نسبةالىسَفَرْجلة(١٩٤). وهو اسم لجد أبي علي احمد بن محمد بن علي بن سفرجلة الكوفي

السِّنْدوانيّ : نسبة الى السندية للفرق بين النسبة اليها والى السند ، قال ياقوت : « كأنهم أرادوا الفرق بين النسبة الى السند والسندية » (١٩٥) .

الشَّعْرانيّ : ينسب اليها طويل شعر الرأس أما اذا كان كثير شعر البدن فهو أشعر (١٩٦) .

القَصَبانيّ : نسبة الى القصب وبيعه ، والقصبي نسبة الى واسط القصب ، قال السمعاني : « هذه النسبة لأبي حنيفة محمد بن حنيفة بن محمد ابن ماهان القصبي الواسطي أظن انما قيل له القصبي ؛ لانه واسطي وواسط يقال لها : واسط القصب لانها كانت قبل أن يبني الحجاج بها بلداً قصباً فقيل لها واسط القصب »(١٩٧) .

الطّبراني : نسبة الى طَبَريّة الشام ، والطبري نسبة الى طَبَرِسْتان ، قال ياقوت : « فكأنه لما كثرت النسبة بالطبري الى طبرستان أرادوا التفرقة بين النسبتين فقالوا : طبراني الى طبرية »(١٩٨) .

---

(١٩٣)الكتاب ج٣ ص ٣٣٨ ، النهاية في غريب الحديث والاثر ج٢ ص ٢٧٢ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (روح) .
(١٩٤) الانساب ج٧ ص ١٤٧ . (١٩٥) معجم البلدان ج٣ ص ٢٧٨ .
(١٩٦) المزهر ج٢ ص ٢٩١ . (١٩٧) الانساب ج١٠ ص ١٦٨ .
(١٩٨) معجم البلدان ج٤ ص ١٣ ، وينظر وفيات الاعيان ج١ ص ٣٥٨ ، ج٤ ص ٥٤ .

الطّيرانيّ : نسبة الى طِيرا ، والنسبة الى طيرة : طيري (١٩٩) .

العرِبانيّ : نسبة الى العرب ، وهي للفرق بين العربي الأصيل وغير العربي ، قال الفراء : « واذا نسبت رجلا الى أنه يتكلم بالعربية وهو من العجم قلت : رجل عرباني »(٢٠٠) وقد تأتي لغير ذلك فيقال : « رجل عربي اللسان » اذا كان فصيحا ، وقال الليث : « يجوز أن يقال : رجل عرباني اللسان » (٢٠١) . ونسبة « العرباني » للاعجمي تعطي معنى جديدا لاتتضمنه نسبة « العربي » .

النفسانيّ : نسبة الى علم النفس ، أما النفسي فهي نسبة الى النفس ، وقد استعملها القدماء بمعنى النفسي فقال الرازي : « واما اذا كان الاشتراك في كيفية نفسانية » (٢٠٢) .

الهندوانيّ : وهو السيف منسوب الى الهند على غير قياس (٢٠٣) . ويؤتى به للفرق بينه وبين نسبة الرجل أو الشيء الى الهند فيقال : هندي .

السابع : النسبة الى أشياء أخرى مثل :

البرّانيّ : نسبة الى البرّ . وفي حديث سلمان : « من أصلح جوانيّه أصلح الله برانيّه » المعنى من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، أخذ من الجو والبر ، فالجو كل بطن غامض والبر المتن الظاهر ، فهاتان الكلمتان على النسبة اليهما بالألف والنون . وورد « من أصلح جوانيَّه أصلح الله برانيَّه » ، قالوا : البراني : العلانية ، والألف والنون من زيادات

(١٩٩) معجم البلدان ج٤ ص ٥٤ .
(٢٠٠) الزاهر ج٢ ص ٦٢ .
(٢٠١) اللسان (عرب) .
(٢٠٢) نهاية الايجاز ص ٩٧ ، وينظر البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن ص ١٢٨ .
(٢٠٣) المخصص ج٦ ص ٢٥ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (هند) .

النسب كما قالوا في صنعاء : صنعاني ، وأصله من قولهم : « خرج فلان برا » إذا خرج الى البر والصحراء وليس من قديم الكلام وفصيحه » (٢٠٤)

التّحتانيّ : نسبة الى التحت ، واشتهر بهذه النسبة محمود بن محمد نظام الدين القطب الرازي المقيم بأسفل المدرسة الظاهرية بدمشق ، وكان معه بالمدرسة عالم آخر لقبه القطب أيضا يقيم بأعلى المدرسة فقيل لهذا القطب التحتاني (٢٠٥) .

الجَسَدانيّ : نسبة الى الجسد (٢٠٦) .

الجوانيّ : نسبة الى الجو ، وفي حديث سلمان — رضي الله عنه — : « أن لكل امرىء جوانياً وبرانياً ، فمن يصلح جوانيَّه يصلح الله برانيَّه » قال ابن الاثير : « أي باطنا وظاهرا وسرا وعلانية ، وهو منسوب الى جو البيت وهو داخله ، وزيادة الألف والنون للتوكيد » (٢٠٧)

والجواني : نسبة الى الجوانية أيضا ، موضع بقرب أحد واليها ينسب بنو الجواني العلويون ، ومنهم أسعد بن علي بن معمر الحسيني الجوّاني (٢٠٨)

الحَبْرانّية : نسبة الى الحَبْر ، وهو العالم ، أو العالم بتحبير الكلام ، ويراد بها البيعية المنتسبة الى السلك الكهنوتي (٢٠٩)

الحقانيّ : نسبة الى الحق ، ومنه وزارة الحقانية أي وزارة العدل (٢١٠) .

---

(٢٠٤) النهاية في غريب الحديث والاثر ج١ ص١١٧ ، اللسان والقاموس وتاج العروس (برر) و (جوا) .
(٢٠٥) الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٣٩ ، الانساب ج٣ ص ٢٢ ، طبقات الاسنوي ج١ ص ٣٢٢ ، الاعلام ج٧ ص ٣٨ .
(٢٠٦) سبعون ص ٣٨٤ ، ٤٢٢ وغيرهما .
(٢٠٧) النهاية في غريب الحديث والاثر ج١ ص ٣١٩ ، ١١٧ ، وينظر اللسان (صح ١) .
(٢٠٨) معجم البلدان ج٢ ص ١٧٥ ، بغية الوعاة ج١ ص ٤٤١ .
(٢٠٩) أين الخطأ ص ١٣٤ .
(٢١٠) المعجم الوسيط (حقق) .

الحِلانّية : نسبة الى الحِل والحِليّ ، ويراد بها العلمانية (٢١١) .

السَّفلانيّ : نسبة الى الأسفل (٢١٢) .

الصيحاني : ضرب من التمر (٢١٣) .

الطُّورانيّ : الطوريّ : الوحش ، وما بها طوريّ وطورانيّ أي أحد(٢١٤) .

العِبْرانيّ : ويراد به العبري من أتباع موسى – عليه السلام .

قال الشماخ :

كما خطّ عبرانية بيمينه   بتيماء حَبْرٌ ثم عرّض أسطرا(١٢٥)

العَقْلانيّ : نسبة الى العقل (٢١٦) .

العَلْمانيّ : نسبة الى العَلْم بمعنى العالم ، وهو الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك (٢١٧) ، وليس نسبة الى العلم إذ لاعلاقة لها بالعلم من قرب أو من بعد (٢١٨) . وبراد بالعلمانية الاشاحة عن الانتساب الى الدين .

الفَوْقانيّ : نسبة الى فوق ، وينسب اليها القطب الذي كان يسكن بأعلى المدرسة الظاهرية (٢١٩) .

النُّورانيّ : نسبة الى النور ، ومنه النورانية (٢٢٠) .

---

(٢١١) أين الخطأ ص ١٣٣ – ١٣٤ .

(٢١٢) العربية الصحيحة ص ١٠٢ .

(٢١٣) ديوان الادب ج٣ ص ٣٨٥ . قال ابن منظور في اللسان (صحيح) : « الصيحاني : ضرب من تمر المدينة أسود صلب المضغة وسمي صيحانيا لان صيحان اسم كبش كان ربط الى نخلة بالمدينة فأثمرت صيحانيا فنسب الى صيحان » ، وينظر القاموس والتاج (صيح) .

(٢١٤) المعرب ١٦١ .

(٢١٥) اللسان (حبر) .

(٢١٦) العربية الصحيحة ص ١٠٢ ، وينسب الان الشكلاني الى الشكل .

(٢١٧) القاموس وتاج العروس (علم) .

(٢١٨) ينظر اين الخطأ ص ١٣٣ ، المعجم الوسيط (علم) .

(٢١٩) الدرر الكامنة ج٤ ص ٣٣٩ ، الانساب ج٣ ص ٢٢ .

(٢٢٠) المعجم الوسيط (نور) .

النصراني : نسبة الى الناصرة او النصورية التي ولد فيها المسيح – عليه السلام – ويراد بالنصراني – وجمعه النصارى – أتباع عيسى – عليه السلام – قال ابن منظور : « ونَصَرى ونَصْرَى وناصرة ونَصوريّة : قرية بالشام ، والنصارى منسوبون اليها . قال ابن سيده : هذا قول أهل اللغة ، قال : وهو ضعيف إلا أن نادر النسب يسعه . قال : وأما سيبويه فقال : أما نصارى فذهب الخليل الى أنه جمع نَصْريّ ونَصْران كما قالوا : ندْمان وندامى ، ولكنهم حذفوا إحدى الياءين كما حذفوا من « أثْفيَّة » وأبدلوا مكانها ألفاً كما قالوا صحارَى قال : وأما الذي نوجهه نحن عليه فانه جاء على « نَصْران » لانه قد تكلم به ، فكأنك جمعت « نَصْراً » كما جمعت « مَسْمَعاً » ، و « الأشعَث » وقلت : نصارى كما قلت : ندامى ، فهذا أقيس ، والأول مذهب . وانما كان أقيس لانا لم نسمعهم قالوا : نَصْريّ . قال أبو اسحاق : واحد النصارى في أحد القولين « نَصْران » كما ترى مثل « نَدْمان » و « نَدامى » والانثى « نَصْرانة » مثل « نَدْمانة » . . . ولكن لم يستعمل « نَصْران » إلا بياءي النسب ؛ لانهم قالوا : « رجل نَصْرانيّ » و « امرأة نصرانيّة » . قال ابن بري : قوله : إن النصارى جمع « نَصْران » و « نَصْرانة » انما يريد بذلك الأصل دون الاستعمال ، وانما المستعمل في الكلام : « نصراني » ، و « نصرانية » بياءي النسب . . . ويجوز أن يكون واحد النصارى « نصريا » (٢٢١) .

إن النسبة بزيادة الألف والنون والياء المشددة من الأبنية المعدولة التي جاءت على غير قياس النحاة ، واللغة العربية تحتاج اليها للدلالة على معان جديدة ، وقد استعملها القدماء ، وتظل الحاجة الى أبنية جديدة مابقيت اللغة المعبرة عن

(٢٢١) اللسان (نصر) .

متطلبات الحياة ،وان الاستفادة من هـذه الصيغ ضرورية لانهـا تعطي المعنى الأول المعروف في النسب ، قال علي الجامع : « انما كثرت النوادر في النسب لقوة التغيير فيه لفظا ومعنى ، ألا ترى أنه يصير ماليس بصفة صفة ، وينقل الاسم عن مسماه الى غيره ، وتغير صيغته بحذف أو بدل حركة أو الزام حركة أو توسط طرف »(٢٢٢) .

ومما يدعو الى استعمال هذه النسبة أمور منها :

الأول : ان هذه النسبة وردت في القرآن الكريم ، ولا توصف بالشذوذ ؛ لان كتاب الله نزل بلسان عربي مبين ، وهو لايخضع لقواعد النحاة ، وكان من الخير للعربية اخضاع القواعد لكتاب الله العزيز .

الثاني : انها وردت في الأحاديث النبوية ، والرسول الأعظم — صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وأبلغهم ، ولا يكون كلامه شاذا أو غريباً وإن خرج عن قواعد النحاة .

الثالث : انها وردت في كلام العرب الفصحاء والبلغاء للدلالة على معان متنوعة لاتتحقق بالنسبة المعروفة عند النحاة .

الرابع : ان الشاذ لايعني الخروج عن كلام العرب وانما الخروج عن قواعد النحاة وهو كثير ، قال السيوطي : « شواذ النسب المخالفة لما مرّ لا تحصى » (٢٢٣) .

الخامس : ان بعض النحاة سماه عدولاً عن القياس وأولهم الخليل بن احمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه والزمخشري (٢٢٤) والعدول في بعض

(٢٢٢) شرح اللمع ج٢ ص ٦٣٣ .
(٢٢٣) همع الهوامع ج٦ ص ١٧٣ .
(٢٢٤) الكتاب ج٣ ص ٣٣٥ ، المفصل ٢١١ .

الأحيان يغني اللغة إذا دلّ على معان جديدة ، أو رفع لبسا ، أو حدّد هدفا .

فهذه النسبة فصيحة وان خرجت عن قواعد النحاة ، ولا يعني هذا الأخذ بها مطلقا وانما لا بدّ من شروط منها :

الأول : الحاجة اليها في العلوم المستحدثة ووضع المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية ، واستعمال لفظة واحدة في المصطلح العلمي خير من استعمال لفظتين أو أكثر .

الثاني : دلالتها الدقيقة على المعنى المقصود الذي لايتحقق بالياء المشددة وحدها كالوصف ، أو المبالغة ، أو التوكيد ، أو الدلالة على حرفة ، وبعبارة المبرد الموجزة : « مايقع في النسب بزيادة لما فيه من المعنى الزائد على معنى النسب » (٢٢٥) .

الثالث : خلوصه من الالتباس بغيره ، وهو من شروط المصطلح العلمي الدقيق.

الرابع : قبول الذوق له ، وليس هناك مايمنع أن يقال « رأساني » لكبير الرأس كما فعل النحاة فقال السيوطي : فلا قياس عليه بحيث يقال في في العظيم الرأس : رأساني » (٢٢٦) .

لان « رأسي » لاتدل على كبر الرأس كدلالة « الرأساني » وسمي محمد ابن الحسن الكوفي « الرؤاسي » لكبر رأسه (٢٢٧) ولم يقل له : « رأسي » (٢٢٨) .

---

(٢٢٥) المقتضب ج٣ ص ١٤٤ . (٢٢٦) همع الهوامع ج٣ ص ١٧٤ .

(٢٢٧) معجم الادباء ج٦ ص ٤٨٠ ، المزهر ج٢ ص ٤٤٦ .

(٢٢٨) في اللسان (راس) : « والرؤاس والرؤاسي والاراس : العظيم الراس والانثى راساء ، ولم ينسبوا الى الراس ، وقالوا لمن يبيع الرؤوس : رآآس بوزن « رعاس » والعامة تقول : رواس . والرؤاسي : نسبه الى بني رؤاس وهم حي من عامر بن صعصعة ، او رواس قبيلة من سليم » .

وكان أمام القدماء هدف واضح لمثل هذه النسبة ، وقد حددها المبرد بقوله : « واعلم أن أشياء قد نسب اليها على غير القياس للّبس مرة ، وللاستثقال أخرى ، وللعلاقة أخرى ، والنسب اليها على القياس هو الباب » (٢٢٩) . فالعرب قد استعملوا هذه النسبة لأغراض متعددة كالوصف ، والمبالغة ، والحرفة و الملكية ، وجعل الرجل من أهل هذا البلد أو ذاك ، أو علاقته بتلك القبيلة أو ذلك الحي ، وأمن اللبس وغيره مما يقصد اليه ليتحقق المعنى الزائد على النسب ، وفي ذلك توسع في الاستعمال ، واضفاء معان جديدة على ألفاظ استعملت في دلالات لم تكن معروفة في القديم .

ان هذه الاسباب تدعو الى الأخذ بهذا البناء في المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية ، ولن يكون في ذلك خروج عن روح اللغة العربية ، ففي هذا البناء ياء النسبة المشددة المعروفة في النسب وقد زيدت قبلها ألف ونون للدلالة على معنى جديد أو لاضافة معنى لم يتضح في النسبة أو الاضافة المعروفة كالوصف والمبالغة ، وأمن اللبس ، والدلالة على حرفة ، أوتحديد معنى علمي جديد . وزيادة الألف والنون للمبالغة والوصف معروفة في اللغة العربية ، والأخـذ بهـا يفتح سبيلا لوضع المصطلحات العلمية والالفـاظ الحضارية الجديدة بعد أن تشعبت العلوم والفنون واتسعت مسارب الحياة ، وفي ذلك إغناء للعربية لتستوعب ما يستجد من علوم وفنون وآداب وما يأتي به التقدم العلمي وازدهار الحضارة . وقد أخذ المعجم الطبي الموحد بهذا البناء في بعض المصطلحات الطبية للتفريق بين الصيغ في الدلالة وأمن اللبس ، ومن الأسس التي جرى عليها العمل في اختيار المصطلحات « التصرف في صيغ النسبة للتمييز أو منع اللبس فقيل : بيضي وبيضوي وبيضاوي أو بيضاني» .

(٢٢٩) المقتضب ج٣ ص ١٤٥ ، وينظر شرح المفصل ج٦ ص ١٠ .

ومن الالفاظ أو المصطلحات التي وردت في المعجم : اكليلاني ، وانثواني، وبصلاني ، وبلوراني ، والتحتاني ، وجنساني ، وحقاني ، والحمراني ، والخثراني ، والدولاني ، واللوداني ، والذأباني ، والذبحاني ، والرقصاني ، والزوراني، والسمسماني،والشعرانية،والشوكاني، ،والصبغاني ، والصيدلاني ، والضعفاني ، والضعفانية ، والظهاراني ، والعصواني ، والعصوانية ، والعظماني ، والعقلاني ، والغدوماني ، والفرواني ، والقطراني ، والفوقاني ، والقزماني ، والقشراني ، والكرواني والكروانية ، والكنعاني ، والمخروطاني ، والنفساني ، والنشواني . ولهذا البناء دلالة غير الدلالة التي تعطيها النسبة أو الاضافة المعروفة ، ولكل لفظة مقابلها الأجنبي ، فالاكليلاني غير الاكليلي ، والانثواني غير الانثوني والبصلاني غير البصلي ، وهكذا في الالفاظ الأخرى . وفي بعض المعاجم الحديثة والكتب العلمية لون من هذه النسبة ، وقد تسرب بناؤها وأخذ به المؤلفون والواضعون ، وهو نهج لاينكر ؛ لانه لم يخرج عن روح اللغة العربية ولم يفرط بأبنيتها المسموعة أو المقيسة ، وفي ذلك فتح للطريق أمام العلماء والمترجمين وحل للمشكلات التي تعترض المجامع اللغوية والعلمية ، وتوسع في اللغة وحفاظ عليها من تسرب الالفاظ الأجنبية بعد أن تدفقت آلاف المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية . وليس بدعاً أن يأخذ المحدثون بما أخذ القدماء ، ولايعني وقوفهم عند الالفاظ انكارهم لهذا البناء ، ولو أنهم احتاجوا اليه لخاضوا اليه البحر وأداروه في كتبهم ومعاجمهم ، ولكنهم كانوا واقعيين لايضعون كلمة ، أو يشتقون لفظة ، أو يصوغون بناءً الا بعد أن تعرض لهم حاجة وتستجد أمور ، وما اكثر حاجات العصر الحديث وما أوسعها في كل زمان .

(٢٣٠) استندت هذه المعاجم والكتب الى البناء القديم ، وهو كثير في المعاجم العربية وكتب التاريخ والتراجم والانساب والبلدان ، وقد توقف هذا البحث عند الامثلة التى ذكرها لان استقراء كل ما وصل من ابنية شبه مستحيل ، وفيما ذكر دليل على اهمية هذا البناء في القديم والحديث.

سلامة اللغة العربية
بين التشريع والتطبيق

الدكتور نوري حمودي القيسي
عضو المجمع العلمي
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

ارتبطت اللغة منذ ان تيسرت لها اساليبها وتوحدت حروف نطقها بتفكير الانسان فأصبحت وسيلته التعبيرية واداته في استكمال لوازم الحياة وصوته الذي يعبر من خلاله عن ذاته ووجدانه واحساسه فاكتسبت خصوصية الناطقين بها موحدة مشاربهم ، جامعة مواطن اهتمامهم ، تهزهم عبارتها وتمتلك مشاعرهم احداثها وقصصها واخبارها يجدون فيها الصورة التي يريدونها ويبلغون الغاية التي عاشت في وجدانهم وهم يتهيأون لها فكان تعلق الامم بلغاتها تعلقا روحيا تحملهم عليه صلة الانتماء وتشدهم به اسباب التواصل وتدفعهم للاحساس به وشيجة الحالة التي تعتريهم وهم يتابعون اجزاءها ويتناقلون اوجه اختلافها. فالاهتمام باللغة والانصراف لتحليل مفرداتها يشكل المرحلة الاولى التي يمكن من خلالها استيعاب الوجدان الصادق والتوجه الفكري والثقافي والواقع الاجتماعي والحضاري الذي ادركته الامة في سياق تطورها . فاللغة تمثل الحياة رمزا ومعنى ودلالة . وان اية محاولة لتفسير الظواهر الحياتية لاتخرج عن هذا المفهوم ، ولاتبتعد عن الاساسيات المعتمدة في هذا الحقل بعد ان اصبح الفقه

اصلا تتفرع عنه الاشكاليات المطروحة التي يؤديها في اية ثقافة تمثل القدرة على الاستمرار في رؤية الواقع والطبيعة والحياة رؤية واضحة وان اي تطور يمكن، أن تقدمه العقلية الانسانية لابدان يخضع لقواعد منطقية تحكمها اللغة وتنظمها اساليبها وفق الطريقة التي استوعبتها تراكيبها وتوافقت فيها قواعدها واذا كان للفلسفة منطقها العقلاني في قبول الاحكام وللعلوم تسلسلها في القضايا والنتائج، فان للغة اصولها في التدرج والمعرفة والادراك .

وقد درجت الامم منذ ان استطاعت ان تجد لنفسها ظلا على تفهم هذه الصورة لاحساسها بانها الوسيلة الحية لاسباب التقارب وتبادل المشاعر والعواطف واداة التعبير عن الكوامن التي تعجز عن ادائها كثير من الوسائل الاخرى فانصرفت بكل جهودها لجمع مفرداتها واحتواء لهجاتها وتنظيم معجماتها والوقوف عند غريبها والاستشهاد بما حفظته ذاكرتها او جاء على لسان رواتها لشرح كل معضل او مستغلق من حروفها فكان الاهتمام بها سابقا على كل اهتمام والاعتناء بأساليبها مقدما على كل مسألة وكان الوصول الى دخائلها واسرارها يحدد المعرفة التي انتهت اليها ومتابعة دلالاتها يكشف عن المعاني التي كانت تحتويها والقدرة التعبيرية التي طوتها وهي تأخذ امتدادها الزمني وبعدها المتناهي .

فالاحساس بالمسألة اللغوية والاهتمام بعناصر اللغة ومفرداتها يمثل الاحساس القومي المباشر الذي يدفع الناس الى توحيد الجهد للاعتناء بكل ماله صلة بفقهها واذا كان الاهتمام بالكتابة والاهتداء الى الوسائل المعبرة عن النفس قد شغل الذهن البشري منذ المراحل الاولى فان محاولة تثبيت القواعد الاساسية لوضع القاعدة المشتركة التي يمكن ان يجتمع الناس عليها ويتوحدوا في اطار الحفاظ عليها ويناضلوا من اجل ايجاد الوسائل الكفيلة التي تضمن لها البقاء كانت المهمة الاخرى التي حملت الانسان وحفزته لتهيئة الاسباب الموجبة لصيانتها

ورعايتها والاعتناء بها فالاهتمام باللغة يعني التوجه للحفاظ على الشخصية القومية وان دواعي الانصراف للاعتقاد بها تأتي متوافقة مع حالات الاحساس بالتحدي والشعور بان وضعا قريبا تتعرض له واشكالا دخيلة من الالفاظ وصورا من التراكيب واقدارا من التأثيرات تهدد كيانها وتعرض وجودها للفناء والاندثار او الانحسار والتغير وقد دفع هذا الحرص ابناء امة العرب منذ القرن الاول ، والثاني الهجريين الى بذل الجهود المضنية لاخذها عن الاعراب شفاها والرحلة الى البادية لسماعها من افواههم وليس اخذها قراءة من كتب وقد اعطى هذا الحرص هؤلاء الرواة دورهم الرائد في الحفاظ على ثروة الامة ومتابعة تدوينها خشية الضياع وخوفا من عوادي الزمن وقد تجسد هذا الاحساس في وضعهم الكتب الاولى وتدوينهم الاخبار التي وجدوا فيها بداية حقيقية لوضع المعالم الاولى على طريق النهضة التي شهدها القرن الثالث والرابع الهجريين

فاللغة العربية من أوثق وسائل الترابط وأشدها صلة بوجود الانسان ، وهي أساس ثابت من أسس العلاقة التي تشدّ بين العرب وغيرهم ، وتوحد أساليب تفكيرهم . والحصن الذي يحول دون وقوعهم في دائرة الافكار الوافدة ، وقد اجتمعت تحت ظلالها امم وتحدث بلسانها أقوام وآمنت برسالتها طوائف ، لأن سبيل معرفة الاسلام لايتم بضبط العربية ، ومعرفتها فرض واعتياد الخطاب بغيرها مجانب للدين ، وهي ميزة عرفت بها وفضيلة تخصصت بجماليتها ووجه تحددت بموجبه قسمات شخصيتها . والقرآن الكريم – وهو النموذج الاعلى لبلاغتها – يزيد في قيمتها هذه ، ويبرهن على أصالتها ويشيد بالامة التي نزل عليها بلسانها ، فكانت أزلية القرآن حقيقة أزلية هذه اللغة التي شرفها الله فكانت لغته ، ووحّدها فكانت الدائرة الكبيرة التي ازدهرت فيها علومها ومعارفها وخصائصها .

والحديث عنها لاينفصل عن الحديث عن دالة الفكر العربي ، لأن اللغة تمثل السبيل لاستكشاف دواخل الامة ، فمن خلال الفاظها تعبر عن كوامن

الاحساس بالمواطنة والشعور بالصلة ، والتوافق بالمشاعر . وهي من أقوى عوامل الوحدة والتضامن بين أبناء الامة الواحدة . فهي القادرة في كل أحوالها على تحويل الانسان الى كائن اجتماعي يتحسس الواقع ، ويستشرف الخصائص المميّزة التي تكمن في كل اشارة من اشاراتها ودلالة من دلالاتها . وقد وجد فيها العرب منذ أقدم العصور ، صفة الملازمة للفرد في حياته وتسربها الى اعماقه حسا ووجدانا ، وتوغلها في تضاعيف نفسه تعبّر عن أدق خطراته ورغباته ، وهي بالتالي تجعل من الامة الناطقة بها كلا متماسكا ومتراصا تحكمه قواعدها واصولها ، وتوحد تفكيرها اساليبها وطرائقها ، ومن هنا أصبحت اللغة تمثل الرابطة الحقيقية التي توحد بين رغباتهم ومطامحهم وعاشت في أذهانهم فكرا وأملا وحياة .

ان حرص العرب على لغتهم ينطلق في كثير من أسبابه من الصورة الجليلة التي تحدد السمات المتميزة للانسان العربي ، وما يتحقق في نفسه من هواجس وهو يختار من اللغة ما يوافق كل خافقة من حوافقه ، ويعبر عنه من افكار ومشاعر وأخيلة لانها الوسيلة التي يفكر بها ، والاداة التي يمتلك من خلالها حسّه الجماعي . وهو في كثير من حالاته يعمد الى تعقيل الوجود عن طريقها ، ومن هنا كانت لمسة الفكر فيها لمسة النوازع والهواجس ولمسة المخاوف والمطامح ولمسة الاحلام والذكريات . وتتجلى في حروفها وتراكيبها صورة ابداعه ، وقدرة اختياره وروعة اسلوبه البياني الذي يعطي الفكرة حقها ، والاحساس تصوّره ، والمشاعر رقتها ، حتى أصبحت الفكرة الماثلة في كل قضية من قضاياها تعني الحضور الوجداني والروحي. وهو يحلل اجزاءها المتداخلة في بنية الالفاظ وتراكيبها التي لاتنفصل بأي حال عن الذهن ، فتقرأ في مفرداتها تجارب الامة وصور الماضي بكل أحداثه ، وتستعاد في معانيها اخبارها وترى في صورها عظمة الاعمال الخالدة وعبقرية المبدعين الافذاذ الذين تركوا في كل حركة من حركاتها مايوحي بوفائهم لامتهم ويؤكد حبّهم للغتهم ، وايمانهم بانها الوحدة

التي تلتقي في رحاب قدرتها كل المطامح ، وتنطلق في نبرات حروفها كل الاصوات التي تجمع المؤمنين برسالتها في الحياة، فتصبح حلقات الثقافة متصلة ، ويزداد تراث الامة في اغنائها ثراء ، وتشعر الاجيال بأنها تتقاسم هذا التراث بناء وتشارك في رفده عطاء وتفاعلا . لأن الامة تستطيع أن ترى في هذه اللغة اشراقة كيانها تتعاظم ، وتدرك اسرار مايحيط بها من عوالم وما تتمخض عنه ذاتها ، وهي تواكب المسار المستديم لكل مرحلة من مراحلها ، حتى أصبحت اللغة صورة فذة لايدانيها أثر على الاطلاق ، لأنها تكشف عن عالم فكري موحّد في اطار اسلوبها الذي تحكم صياغته قوانينها المحكمة وتوحد اصالته تراكيبها التي نمت في ظلّ استعمالاتها وتوافق دلالاتها ومعانيها .

والعربية لغة القرآن ، وأساليبها هي الاساليب التي عبرت عن المضامين التشريعية لهذا الدين الحنيف ، فكانت أفصح كلام وأبلغه لفظا واسلوبا ومعنى ليجد السبيل الى امتلاك الوحدة العربية التي كانت معقودة بالالسنة ، ومحسوسة بكل المشاعر التي حملت العرب على الاعتزاز بها ، وفي آيات القرآن البينات يكشف الستار عن عالم فكري في اطار التوحيد ، وخصائص متقاربة في ظل المعتقد ، واهداف سامية تجمعها وحدة المصير ، وتحدد اهدافها التوجهات الانسانية الرفيعة التي تناقلت الآيات سورها ، وتركت للأجيال في كل عصر أن تجد في أبعادها صورة من حياتها ووجها من وجوه مجتمعها ، وفي حديث الرسول الكريم مايؤكد اعتزازه بفصاحته ، وفي السنّة النبوية الشريفة مايوحي بوحي بهذا الاعتزاز والاهتمام ، وعرف الصحابة الاخيار بسعة اطّلاعهم باللغة ، واحاطتهم بأساليبها ووقوفهم على دقائقها وخصائصها ، ومن هنا كان اهتمامهم بالشعر الغريب والنادر .

واعتبرت اللغة والصرف والنحو من العلوم التي لايستشهد عليها الاّ بكلام العرب ، لأنها تمثل الحقيقة المعتمدة في التوثيق والقواعد ، وعليها ترتكز

علوم العربية . وان الحفاظ على سلامتها ، والالتزام بالمقاييس التي تقاس عليها يمثلان التوجه السليم الذي يحفظ للعربية هذا الاستمرار ويؤكد لها هذا الوجود وظاهرة الاستشهاد في اللغة حالة اوجبتها ظروف الاختلاط بالاعاجم عندما بدأت بوادر اللحن تظهر على الالسنة ، فاندفع الغيارى من الابناء الى صيانة لغتهم مما يعلق بها من الدخيل والغريب ، واحاطتها بسياج من الضوابط والاحكام حتى لاتتعرض لما يشين وجهها ، ويفسد اصالتها ، ولتظل نقية أصيلة ، تتمثل في جوها شخصية الامة وتقرأ في صفحاتها وإرثها وثقافتها ، وتتجدد في كل مرحلة من مراحلها قدرتها على التمثل والاستيعاب والاقتدار . وبقيت اللغة تحتفظ بالهوية القومية للامة لأنها تمثل الصورة التي تجتمع حولها ، والآصرة التي تشد أطرافها ، والموئل الذي ترجع اليه ، فحملت رسالة وحدتها وظيفة واحساسا ، تعبيرا وعاطفة ، واصبحت المنطلق الحقيقي لمواجهة المشكلات المصيرية التي تعرضت لها . فهي وسيلة الامة الى العالم ، ولغة الفقه والتشريع ولغة الفكر والعلم والسياسة ، ولهذا كان اهتمام العلماء بها اهتماما متميزا ، فهي لغة القرآن الكريم والدين الحنيف ، والاعتناء بها اعتناء بالقواعد التي أصبحت خصائص مميزة لها .

ان هذا الحرص على اللغة هو الذي حمل العلماء الاوائل وهم يجدون بوادر اللحن تظهر على الالسنة ، وبدايات الخطأ تتوسع في احاديث الناس بسبب اختلاط العرب بغيرهم ، ودخول العناصر غير العربية في المجتمع لأنهم تعودوا – قبل هذه المرحلة – أن يسمعوا اللغة سليمة ، والكلام فصيحا ، والاسلوب صحيحا مستقيما . فكانت المحاولة الاولى تنطلق لتحديد موارد الاستشهاد أو تثبيت المنابع الصافية التي يمكن اعتمادها للحفاظ عليها سليمة ، والوقوف على اصولها بعيدة عن الدخيل والغريب ، واضحة لكل من يريد أن يعتمد قواعدها ، ويتابع اساليبها التي لايدخلها اللحن ، ولا يفسح المجال لما يمكن أن يخلّ بضوابطها .

ان هذا الحرص دفعهم الى التشديد في الاستشهاد ، فكان اعتمادهم على

الشواهد الصحيحة هو الاساس في قبول الشاهد فقبلوه من الشعراء الذين يعتد بفصاحتهم ، واقتصروا على الشعراء الجاهليين ، ورفض المتشددون منهم الاستشهاد بالشعراء الاسلاميين ، وعدّوهم من المولدين ، وهم الذين كانوا في صدر الاسلام كجرير والفرزدق ، فقد كان ابو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي اسحاق والحسن البصري وعبدالله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة واضرابهم (١) .

وكان الخليل لايستشهد الا باشعار الجاهليين والاسلاميين ويترك المولّدين(٢) وكان أبو عمرو لايعدّ الشعر الا ماكان للمتقدمين (٣) وذكر السيوطي في الاقتراح انه لايحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية (٤) .

ومثل ماوقف اللغويون من صحة الاحتجاج هذا الموقف المتشدد فانهم لم يجوزوا الاحتجاج بشعر أو نثر لايعرف قائله خشية ان يكون ذلك الكلام مصنوعا ، ولهذا اجتهد الشراح في تخريج ابيات الشروح وفحصوا من قائلها حتى نسبوا كل بيت الى قائله ان استطاعوا ، ونسبوه الى قبيلته أو فصيلته ، وميزوا الاسلامي عن الجاهلي . والصحابي عن التابعي ، وحاولوا أن يضموا الى البيت مايتوقف عليه معناه ، وان كان من قطعة نادرة أو قصيدة عزيزة أوردوها كاملة ، وشرحوا غريبها ومشكلها ضبطا وتقييدا ليعمّ النفع ويؤمن التحريف والتصحيف وليوثق بالشاهد لمعرفة قائله ويدفع احتمال ضعفه .

ان هذه الضوابط العلمية الدقيقة والمتابعات العقلية المحكمة والحرص

---

(١) عبدالقادر بن عمر البغدادي ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، على شواهد شرح الكافية ، ج١ ، ص٣ .

(٢) ابو احمد الحسن بن عبدالله العسكري ، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف .

(٣) البغدادي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٤ .

الذاتي المخلص تؤكد شعور هؤلاء العلماء بصلتهم الوثيقة ، ومحافظتهم على فصيحها من الدخيل ، وصونها من الغريب ، وابقائها نقية عن كل مايشين صفاءها ، ويذهب رونقها ، ويبعدها عن اصولها التي حافظت على سلفيتها وهي لاتحتاج الى قاعدة ، وعبرت عن حقيقتها باسلوب قويم وعبارة حسنة ، وقد وجدوا في الشعر العربي وهو ديوان العرب مادتهم الاولى في الاستشهاد ، وثروتهم الكبيرة التي يعتمدونها في شرح الغريب وتصحيح الخطأ وتصويب اللحن ، وفي مراجعة سريعة للشواهد الشعرية التي اعتمدها النحاة مقارنة بالآيات القرآنية تتضح لنا الحقائق الجلية التي تؤكد ان كتاب سيبويه الذي يعد اعظم كتاب شامل لمباحث اللغة والاساس الذي اعتمد عليه النحويون في شواهدهم ، وقواعدهم واصولهم ، قد استشهد بأكثر من الف شاهد شعري ، في حين تقل شواهد القرآن حتى لتصل الى ثلثمائة وسبعين شاهدا ، وما يقال عن كتاب سيبويه يقال عن كتاب المقتضب لأبي العباس المبرد وهو من كتب النحو القديمة ، والاصول المعتمدة والمباحث الرائدة في هذا الميدان (٥) ، وان الاحصاءات الدقيقة التي تقدمها كتب النحو تؤكد ان الشعر الجاهلي يأخذ المكانة الاولى في الاستشهاد ، لأن الاجماع على صحته حاصل ، والوثوق من صحة روايته مسألة لم يعد فيها مجال للشك ، أو احتمال للمناقشة ، بعد أن احيطت روايته بسياج من الدقة وخضعت اصولة لموازين النقد السليم والمحاججة المنطقية المقبولة .

كان الحفاظ على اللغة العربية والحرص على سلامتها مسألة شغلت أفكار الحريصين ، واستغرقت جزء من اهتمامهم الذي عاش في وجدانهم حقيقة ثابتة . وأصبح صورة من اعتزازهم بعد أن ادركوا خطورة المواقف المواجهة ، وتحدّي شيوع اللحن حتى أصبحت هذه القضية سببا تقام من أجله حلقات الدرس وتناقش في اطاره حدود الاستشهاد وتعتمد قياسا في اختيار النماذج والشواهد

(٥) انظر : عبدالجبار النايلة ، الشواهد والاستشهاد في النحو ، ص ٣١٦ .

وكانوا يعنون (باللحن) الخطأ في اللغة والنحو والصرف والمعنى وقد جاء الاهتمام بهذا المصطلح بعد أن وجد العرب انفسهم بين أقوام دخلوا في دين الله أفواجا وهم لايحسنون أداءالعربية ولايعرفون قواعدها ولا يضبطون أحكامها وأساليبها حتى شاعت أخطار اللحن في الحديث فخشوا نتائجه وافزعتهم مخاوفه لارتباطه باللغة وهي أساس وجودهم وعنوان شخصيتهم وصوت تفكيرهم بعد أن وجدوا الناس يستخفون الفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها وكانت العامة تستخف أقلّ اللغتين واضعفهما وتستعمل ماهو أقل في أصل اللغة استعمالا وتدع ماهو أظهر وأكثر لأن اللفظ الهجين الرديء والمستكره أعلق باللسان وآلف للسمع واشدّ التحاما بالقلب من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم ، ولو جالس المرء الجهّال شهرا فقط لم تُنَقّ لغته من أوضار كلامهم وخيال معانيهم بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا لأن الفساد أسرع الى الناس وأشدّ التحاقا بالطبائع وقد حمل هذا الخوف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أن يطلب من الحصين بن الحُرّ أن يقنّع (يعلو) كاتبه سوطا حين لحن في حرف لما كان يخشاه على اللغة من ميل أو انحراف أو خروج وجعل التقنّع بالسوط عقابا لمن يلحن في حرف وجزاء للذي يخرجها عن قواعدها أو ضوابطها ليكون عبرة لغيره . وفي هذا التوجه بداية لسن قانون وتشريع ضوابط وتأتي مقولة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة أخرى تعلموا النحو كما تعلّمون السنن والفرائض تأكيدا يوحي برفعة اللغة ويؤكد قدسيتها في المنطق العقلاني وكان حرص الخلفاء الراشدين على اللغة حرصا ينبع من تكريم عميق وحسّ ديني واعتزاز يصل الى حدّ التقديس في كثير من الأحيان لما كانت تتصف به من اعجاز في التعبير واتساع في الاستعمال وبراعة في الاشتقاق والتزم الخلفاء الامويون والامراء والولاة بهذا التوجيه فكان

(٦) الجاحظ . البيان والتبيين : ١٠٠/١٠ .

عبد الملك بن مروان يحذّر أبنـاءه اللحن لأنه هجنة على الشريف وهو في المنطق أقبح من آثار الجدري في الوجه وحرص عليه من جاء من بعده وكأنه تشريع يدعون الى تنفيذه وتطبيقه ليحفظوا سلامة اللغة وأوشك أن تكون هذه السلامة هاجسا يخيفهم اكراما لها وتقديراً لشرفها وصونها . ولمّا سئل عبد الملك عن اسراع الشيب اليه كان جوابه تأكيدا لهذا الهاجس وهو يجيب (شيبّني صعود المنابر والخوف من اللحن) لأن مكانة اللغة في نفوسهم كبيرة ورعايتهم لها جليلة وتحوّطهم من الوقوع في الخطأ يثير دواعي الخوف العميق ويأخذ بخناق الحرص المتمكن في ذاتهم لما يترتب على ذلك من تقصير في حقها واضعاف لقدرتها ونكوص عن الاهتمام بها فكان مسلمة بن عبد الملك يكره (االلاحنين) ويؤذي عمر بن عبد العزيز (اللحن) والحجاج يسأل البلغاء عن (سلامة لغته) من اللحن تعظيما لقدرها في نفسه وعزّتها في حديثه وقدسيتها في فلسفة حياته وأصبح الحرص على هذه السلامة مأثرة يمدح بها الفصحاء ومحمدة يخصّ بها اهلها لأنها تنمّ عن الوفاء الخالص والأعتزاز المحض وهم يستكملون بها مروءتهم فتعرف أرومتهم وتعلو مرتبتهم فمن تخلى عنها أو قصّر فيها كان موضع هجاء الشعراء .

وألحن الناس كل الناس قاطبة

وكان يولع بالتشديق في الخطب

وفصل الجاحظ في حديث اللحن في البيان والتبيين (٧) وقد جعله في الاعراب وأقبحه لحن اصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والتفخيم وأقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين ، على طرق السابلة وبقرب مجامع الأسواق لاختلاطهم بالمسافرين وتعاملهم معهم مما جعلهم يتأثرون بهم ففسدت ألفاظهم وشاع في أحاديثهم اللحن والخطأ . ويفشو اللحن في عوام أهل

(٧) الجاحظ . البيان والتبيين : ١٥٩/١ .

المدن وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب . (واللحن) في هذا (عدول) عن طريق الصواب كما ذهبت اليه بعض التفاسير وقد ذهب اللغويون وأصحاب البلاغة في تفسير معنى (اللحن) مذاهب شتى فهو امالة شيء عن جهته وميل عن التعبير الواضح الصريح وميل عن الاعراب الى الخطأ وهو الخطأ عند البعض واذا كان الاوائل قد نهجوا هذا النهج فان المصطلح ظل يعني الخروج على المألوف والميل عن الصحيح الى الخطأ والانصراف عن الفصاحة الى الهجنة وهو ما اجتمعت عليه آراء الباحثين في هذا الباب وهم يجدون فيه خروجا دعاهم الى الحرص على صفائها والحفاظ على نقائها بعد أن دخل الناس في الاسلام وأقبلوا عليه ارسالا واجتمعت الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة فنشأ الفساد في اللغة العربية (٨)

ولم تقف هذه النخبة من العلماء أمام هذا الضغط الغامر والتحدي السافر دون أن تتخذ لها موقفا يتناسب وحبّ العربية بعد أن تلمست عقابيل الخطر وتوجّست عواقبه وهو يهدد كيانها ويتسرب الى لغة القرآن ، فاندفعوا الى وضع الضوابط التي تحول دون الامتداد في التجاوز عليها بعد أن حدّدت أساليب (اللحن) اتقاء وقوع الخطأ ودفعا لشيوع الدخيل وصونا من تفشي الفاسد من الكلام وحفاظا على الفصيح السليم الذي يبقي نقاء اللغة محصنا وصفاء رونقها بعيدا عن الرطانة التي تضعف قدرتها وتهز كيانها وتزعزع قواعدها بعد أن وقفوا على مواطن الضعف وهم يرون هذا الاتساع في التهديد والانتشار في اضعاف القواعد . وفي نفوسهم حبّ لها وتقدير لمكانتها فوجدوا لزاما عليهم أن يصونوها عن طريق وضع المعاجم ويحفظوا فصيحها في جمع ما أجمع العرب على سلامته بعد أن شرّف الله سبحانه وتعالى هذا اللسان العربي بالبيان على كل لسان وكفاه شرفا انه به نزل القرآن وأنه لغة اهل الجنان .

(٨) الزبيدي . طبقات النحويين واللغويين .

واستمعوا الى حديث الرسول صلوات الله عليه وهو يوجه بحب العرب لثلاث لأنه عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي فاستوقفتهم بلاغتها واعجازها وهي تسمو بيانا وتتجلى فصاحة وتعذب اداء وتعبيرا وقد وجدت من خلال متابعتي لمن ألف في المعاجم سلوك هذا المسلك واعتداد هذا المنهج مستلهمين مواقف الاعتزاز من شرف اللغة وواجدين في خصائصها مايحقق حبّها في قلوب الآخرين لماتبعثه مفرداتها من اعجاب وتثيره معانيها من ايحاء مستذكرين آيات الذكر الحكيم والكلام على معجزاته ليزينوا بترصيع درره عقدها ويحلّوا بما يقفون عليه من فرائده جيدها . وقد لازمهم هذا الحب وحملهم على أن يشدّوا الرحال الى البوادي ليسمعوا عنهم أو يشافهوهم أو ينقلوا عن العرب العرباء توثيقا للصحيح من اللغة وتصديقا لما يأخذونه عنهم ليكونوا ثقات في الرواية ، صادقين في النقل . . .

وكان أصحاب المعاجم حريصين على تحديد القرن الاول عصرا للاستشهاد فأجهدوا أنفسهم في إبقاء هذا الحد فاصلا ليمنعوا تسرّب الدخيل والغريب والمعرّب وغير الفصيح مع انهم أوضحوا ذلك في المفردات التي دخلت . . . . وعند اشتداد موجة اللحن واتساع عدنه كانت هناك موجة اخرى من التأليف تجلّت اغراضها في مقدمات أصحابها واتضحت دواعيها في سياق الاسباب التي اعتمدوها وهم يجعلون كتبهم مداخل لتقويم اللسان وتعليم البيان وتصحيح الألفاظ العربية المستعملة التي حرّفتها العامة عن موضعها وتكلمت بها على غير ماتكلمت بها العرب في ناديها ومجتمعها ، فاذا صححها وازال عنها التحريف ونفى عنها التصحيف . . كان ماوراء ذلك عليه أقرب وأسهل للطلب (٩) .

تتجلى صورة الاهتمام الذي أبداه الحريصون على سلامة اللغة في اعداد

(٩) محمد بن هشام اللخمي . المدخل الى تقويم اللسان / الورقة الاولى .

الكتب التي ألفت في هذا الباب والكيفية التي عالجت بها هذا الميل عن الفصيح بعد أن أصبح اللحن مشاعا وانتشاره خطرا يعصف بأصول اللغة ويهدد وجودها .

وقد أدرك القدامى من السلف الصالح هذه الظواهر التي اعترت اللغة فأولوها عنايتهم ودافعوا عنها دفاعهم عن أعزّ مايملكون لأن الحفاظ على اللغـــة جزء من الحفاظ على العقيدة والوجــود والشخصية ، وكانوا ينظرون الى كل حالة من هذه الحالات نظرة جادّة لما تتركه في بناء الانسان من ضعف وتخلفه من خلل في الثقافة وتبعثه من تهاون في المسائل التي تتعلق بهذه اللغة الكريمة لغة القرآن . وقد توزع اهتمام هذه النخبة على الميادين التي تخص العربية نحوا ولغة ، بلاغة وتفسيرا ، قراءة وكتابة ، لحنا وتصحيحا . فانصرفت عنايتهم اليها انصرافا واسعا حملهم على تأليف الكتب في كل باب داعين الى صيانتها وتنقيتها من اللحن والعامي والدخيل والغريب حرصا على على سلامتها وذبّا عن كرامتها ووفاء لدورها في توحيد الثقافة ونشر المعرفة وتوسع أبواب الأدب ، وتؤكد مقدمات الكتب التي ألفت في هذا الباب توجه المؤلفين والخوف الذي كان يعتريهم وهم يرون تفشي اللحن وانتشار الغلط وينبهونهم الى مواطن الخطأ ومواضع اللحن ليعيدوا الذين خرجوا على الفصيح الى جادة الصواب . وقد تمثل منهجهم بجمع طائفة من هذه الألفاظ مستعينين بالمفاهيم اللغوية على تصحيحها وما ذكر الفصحاء لاسقاط حجة من يحتج بها . وقد توجهت هذه النخبة الى المتعلمين الذين يستمع اليهم الناس وهم يستخدمون لغة التخاطب بعد أن تسلّل اللحن الى لغتهم وشاع الخطأ في كتاباتهم وأحاديثهم وانتشرت العجمة في أساليبهم ولعلّ كتاب الحريري وهو يوجه الى أوهام الخواص . يؤكد هذة الحقيقة التي تابعه في تأليفه آخرون من الحريصين .

ويأتي محمد بن محمد بن أحمد بن هشام اللخمي فيجعل كتابه في لحن

العامة مدخلا الى تقويم اللسان وتعليم البيان ويقول في مقدمته (١٠) ان أول ما يجب على طالب اللغة تصحيح الالفاظ العربية المستعملة التي حرّفها العامة عن موضعها وتكملت بها العرب في ناديها ومجتمعها فاذا صححها وأزال منها التحريف ونفى عنها التصحيف . واقامها كالقدح في التثقيف لنظر بها كما لفظت بها العرب في المشتاة والخريف والمربع والمصيف كان ما وراء ذلك عليه أقرب وأسهل للطلب (١١) .

ولم يكتف العلماء بالابواب العامة لهذه الموضوعات وانما تخصصوا في اصلاح الغلط عند كل فئة فكانت كتب التصحيح اللغوي لما يلحن فيه رواة الحديث (ينظر كتاب اصلاح غلط المحدثين للخطابي) و (غلط الضعفاء من الفقهاء لابن بري) وقد عرض المؤلف في الكتاب الثاني الى اللحن الذي يدور على ألسنة الفقهاء خاصة وعدّ من كتب التصحيح اللغوي وقد أورد المؤلف في هذا الكتاب أكثر من مائة لفظة من الألفاظ التي يخطىء الفقهاء في ضبطها أو في معناها وأشار الى ضوابطها معتمدا في ذلك على أقوال العلماء ومن خلال متابعة المحقق الكريم لهذا الكتاب اهتدى الى أن المؤلف اعتمد اعتمادا كليا على ثلاثة كتب هي : —

١ — تثقيف اللسان لابن مكي الصقلي .
٢ — لحن العوام لأبي بكر الزبيدي .
٣ — درّة الغواص للحريري .

وتابع العلماء هذه التآليف التي وجدت اللحن قد فشا ودائرة الخطأ قداتسعت ومجال الابتعاد عن اللغة أصبح ظاهرة من ظواهر العصور فكانت كتب (سهم الالحاظ في وهم الألفاظ لابن الحنبلي) وهو ذيل لكتاب درّة الغواص للحريري . وكتاب (خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام للقسطنطيني) .

---

(١٠) عبدالعزيز مطر . لحن العامة ٦٧ .
(١١) محمد بن أحمد بن هشام اللخمي / المدخل الى تقويم اللسان الورقة ٢٨ .

وتؤكد معظم الكتب التي ألفت في هذا الباب على ان المؤلفين وجدوا كثيرا من المنتسبين الى العلم يتكلمون بالكلام المرذول الذي يضعف بناء البنية الصحيحة ، وهذا يدفعهم الى تحصين اللغة والتنبيه على الخطأ وبيان وجوه الصواب والتذكير بما افسدته العامة وأخذت عناوين الكتب التي الفت في هذا الباب مسميات مختلفة منها لحن العامة أو ماتلحن فيه العامة أو ماتلحن فيه العوام أو مايلحن فيه العامة أو خالفت العامة فيه لغات العرب أو لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام أو غلطات العوام وانصرف بعضها الى مالحن فيه الخواص من العلماء أو ماتلحن فيه الخاصة أو أوهام الخواص وذهبت التآليف الاخرى الى اصلاح المنطق وتثقيف اللسان وتلقيح الجنان وتعليم البيان وتحرير التحريف وتصحيح التصحيف وازالة الرطانة والفصيح والتنبيه وتقويم اللسان ووهم الالفاظ أو مايعطي هذا التوجيه صفة الاشارة الى الحالة التي تعالجها هذه الكتب .

وكانت بداية تأليف هذه الكتب بداية متقدمة تميزت بقوائمها الكبيرة وهي تزخر باعلام اللغويين الاوائل فكانت قائمة (توربيكة) عام ١٨٧١ في مقدمة تحقيقه لكتاب درة الغواص في أوهام الخواص أول قائمة كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب . وهي تضم اثنين وعشرين مؤلفا . وتأتي تصحيحات المستشرق كولدتسيهر في مقال له على صورة خطابين منه الى (فليشر) نشر في مجلة جمعية المستشرقين الالمانية سنة ١٨٧٣ (١٢) وجاءت هذه التصحيحات استكمالا في بعض الاحيان وتخصيصا لبعض ماورد من فصول في كتب وتنبيها على بعض ماورد في كتب لم تأت على ذكرها قائمة (توربيكة) . وبقيت قوائم المحققين تتوالى وهي تضيف الى تلك القوائم اعدادا جديدة وأبوابا . وتتسع ساحة القائمة في مقالين نشرهما عيسى اسكندر المعلوف لتصل الى حوالي مائتين وخمسين كتابا تضم ابحاثا مختلفة للمستشرقين

(١٢) رمضان عبدالتواب . لحن العامة والتطور اللغوي ٦٧ .

وكتبا في الالفاظ المعربة والدخيلة وكثيرا من كتب لحن العامة ، وعد من بينها كتبا ليست من لحن العامة كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب(١٣) . وتكبر مساحة القوائم وهي تتعدد وتكبر معها اعداد المؤلفات التي تؤكد الحرص الزائد والوفاء الكريم لهذه اللغة لتدفع اللكنة عن الألسن الفصيحة فكان عز الدين التنوخي وصلاح الدين المنجد وكوركيس عواد وعبد القادر المغربي وحسن حسني عبد الوهاب وحسين نصار والمستشرق الايطالي (أمبرتو ريزيتانو) ورمضان عبد التواب وأخيرا الدكتور حاتم الضامن .

لقد تميزت حركة التأليف بجمع ماشاع على ألسنة الناس من كلام يخالف سنن الكلام العربي الفصيح خشية امتــداد خطره الى اللغة العربية المشتركة وتهدف هذه المجاميع كما أكدنا على صيانة اللغة وتنقيتها ، فذكرت الخطأ المستعمل والصواب الذي يجب أن يجري به الاستعمال (١٤) وينطلق هذا الحرص من ايمان بكرامة اللغة وعزتها ووفاء خالص لشرفها وجمالها ولكبح جماح الداعين الى الخروج عليها وايقاف التجاوز الذي بدأت بوادره تتسع وأنصاره يشيعون أفكارهم فكان لابد لهذا النفر الحريص من صوت يرتفع لحماية الاصالة والحفاظ على سلامتها لأن الدفاع عنها اظهار للحق والصواب وردّ على من ارتكب في كلا الغلط وافصاح عما نطق به أولو الألباب .

كانت العناية بشؤون اللغة العربية موضع اهتمام مجلس قيادة الثورة الذي وجه بقيام المجمع العلمي العراقي بدراسة الموضوع الخاص وتقديم خطة عمل مفصلة ومستلزمات تطبيقها . بعد أن وجد ظاهرة تفشي الكلمات غير العربية في العلوم والمخترعات والبضائع الجديدة وانتشارها تأخذ مساحة دون أن تكون هناك جهة تتولى مهمة تعريبها وأثر هذا الزحف في المستوى الجامعي الذي

(١٣) رمضان عبدالتواب . لحن العامة ٦٩/٠٠ ـ ٧٠ .
(١٤) الدكتور حاتم الضامن . اربعة كتب في التصحيح اللغوي /٧ .

يمثل صعوبة أكثر حين تستحيل المسألة الى ظاهرة تصعب مواجهتها فكان مقترح قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية قانونا تتبناه الدولة ويصدر عن مجلس قيادة الثورة بتاريخ ٢٨ – ٤ – ١٩٧٧ .

وتنص المادة الاولى بالزام الوزارات وما يتبعها من الدوائر الرسمية وشبه الرسمية والمؤسسات والمصالح والشركات العامة وكذلك الجمعيات والنقابات والمنظمات الشعبية بالمحافظة على سلامة اللغة العربية واعتمادها في وثائقها ومعاملاتها وذلك بجعل اللغة العربية وافية بأغراضها القومية والحضارية . ونصت المادة الثانية على اعتماد اللغة العربية لغة للتعلم على المؤسسات التعليمية في مراحل الدراسة كافة وعليها أن تحرص على سلامتها لفظا وكتابة وتنشئة الطلاب على حسن التعبير والتفكير وادراك مزاياها والاعتزاز بها . .

وتلتزم مؤسسات النشر والاعلام في المادة الثالثة والتي تكون مطبوعاتها ومناهجها باللغة العربية أن تعنى بسلامة اللغة الفاظا وتراكيب ، نطقا وكتابة وتيسيرها للجماهير وتمكينهم من فهمها على الا يجوز لها استعمال العامية الاّ عند الضرورة القصوى مع السعي الى تقريبها من اللغة الفصيحة والارتفاع بها على وفق خطة منظمة ومقصودة وتهدف المواد الاخرى الى تأكيد تحرير الوثائق والمذكرات والسجلات والمحاضر والعقود والايصالات واللافتات والعلامات والبيانات التجارية باللغة العربية وجنبت استعمال المصطلحات الاجنبية الاّ عند الضرورة وبصورة مؤقتة عند عدم توفر المصطلحات العربية وطالب الوزارات بانشاء اجهزة لها تعنى بسلامة اللغة العربية في وظائفها ومعاملاتها بما يكفل حسن تطبيق هذا القانون وأوكلت الى المجمع العلمي العراقي أن يكون المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلمية والفنية وعلى الاجهزة المعنية الرجوع اليه بشأنها . وفي المادة الحادية عشرة أوجب القانون معاقبة المخالف لأحكام هذا القانون بالعقوبات الانضباطية بالنسبة لمنتسبي الدولة

وبالعقوبات المنصوص عليها في القوانين المرعية الاخرى بالنسبة لسواهم .
وتضمنت ديباجة الاسباب الموجبة فلسفة الدولة وموقفها من اللغة العربية لما تشتمل عليه من التراث الفني للثقافة العربية والاسلامية . وفي قمته آي الذكر الحكيم ، مقوما رئيسياً للقومية العربية ، وأساسا لوحدة الفكر بين أبنائها ، وكانت العناية بها موصولة بالعناية بوحدتها وبضميرها في الحاضر والمستقبل .

ولما كانت غلبة العامية على العربية الفصيحة أثرا من آثار التخلف والجهل وسمة من سمات الامية ، وعاملا من عوامل الفرقة والتجزئة ، ومعوقا من معوقات انتشار التعليم ويقظة الوعي القومي والجهود المنظمة نحو ثقافة الجماهير .

ولما كانت الحضارة الحديثة وما يصاحبها من ثورة علمية فنية وماتفتح من آفاق واسعة لتقدم الشعوب ورخائها ، لاتخلو من مشكلات تمس ثقافتها ، ومنها ذلك السيل المتصل من مفاهيم العلم الحديث وأسماء مخترعات التقنية ومواد الصناعة وانتاجها التي لابد أن تستوعبها اللغة القومية والآ انتشر الدخيل بينها وضاعت مقوماتها .

ولما كانت اللغة قد برهنت خلال تطورها على حيويتها وقابليتها للتطور والتجدد والاستيعاب لمتطلبات اللغة والحضارة ، كما حرص على ذلك المسؤولون والمفكرون والمثقفون من ابنائها .

ولما كانت العناية باللغة العربية تستوجب فيما تستوجب التزام الجهات الرسمية وشبه الرسمية والمصالح والشركات والجمعيات والنقابات والمنظمات الشعبية بالمحافظة على سلامة اللغة العربية واعتمادها في وثائقها ومعاملاتها كما تستوجب التزام الجهات المسؤولة عن التربية والتعليم وعن الاعلام برعايتها واعتماد الفصيحة منها أداة للتعليم وللاعلام وتنمية المهارات لأدائها .

ولما كانت القيادة السياسية لثورة السابع عشر من تموز تدرك بعمق مسؤولياتها

القومية والحضارية ، ومهماتها في صيانة اللغة العربية باعتبارها تأكيدا لشخصية الأمة ولمقومات ذاتها ، وعاملا من عوامل وحدتها .

وبناء على ما اقترحه المجمع العلمي العراقي في نطاق خطة للنهوض باللغة العربية استجابة لتوجيهات مجلس قيادة الثورة ، فقد تم تشريع هذا القانون .

وبالنظر لأهمية اللغة العربية ولما يعبر به مجلس قيادة الثورة من اعتزاز بها وحرص على سلامتها وحفاظ على شخصيتها فقد أصدر مجلس قيادة الثورة قانون الهيئة العليا للعناية باللغة العربية برقم (٨٣) لسنة ١٩٨٣ ولغرض تسهيل مهمة عمل الهيئة ودفع مسيرتها وتحقيق أهدافها بشكل يضمن لها قوة القرار وفاعلية التأثير ، نصت المادة الاولى على ارتباط الهيئة بمجلس قيادة الثورة وتعيين رئيس لها يعين بقرار من مجلس قيادة الثورة وتأليف الهيئة من خمسة عشر عضوا بضمنهم رئيسها ووزراء التعليم العالي والبحث العلمي والتربية والثقافة والاعلام ورئيس المجمع العلمي العراقي ويكون الاعضاء الآخرون من المعروفين بتخصصهم أو اهتمامهم وعنايتهم بشؤون اللغة العربية من منتسبي الجهات الآتية ويعينون بقرار من مجلس قيادة الثورة . .

- مكتب الثقافة والاعلام في حزب البعث العربي الاشتراكي
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
- وزارة التربية
- وزارة الثقافة والاعلام
- لجنة المناهج التعليمية

وحددت أهداف الهيئة بالعناية باللغة العربية من جميع الوجوه في المادة الثالثة بوصفها اللغة القومية للأمة العربية التي هي في مقدمة اللغات المستقلة الحية المتطورة المنتشرة على النطاق العالمي وتيسير استعمالها لتعميم الاستفادة منها في الاغراض كافة وفي الشؤون العلمية بوجه خاص .

ولم يكد تشريع قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية يظهر حتى ارتفع صدى هذا الاهتمام في أوساط المعنيين بشؤون اللغة والمدركين لأهمية هذا القانون في مرحلة تعزيز ثقة المواطن بلغته وترسيخ اصول التكوين العام لشخصيته التي يعتمد اللغة قاعدة رصينة فانبرت هذه المجاميع من المثقفين تعبّر عن أهميته وتؤكد خصوصية اللغة التي تعبر عن خصوصية الأمة وان اقدام مجلس قيادة الثورة يعد خطوة قومية تضاف الى الخطوات القومية الاخرى التي يعبر فيها المجلس عن أهداف الحزب ومبادئه في التوجه القومي الوحدوي .

وأكد هؤلاء أهمية اللغة العربية باعتبارها عماد وحدة الفكر ووحدة الشعور بين أبناء العروبة واقامة الوحدة فكرا وشعورا وتثقيفا وتأكيدا لمعاني الوحدة القائمة بين أبناء العروبة واتسعت الدعوة لكل المعنيين للاتفاق على وسائل وأساليب تحفظ اللغة من الانحراف ومن اللهجات المحلية وغزو الالفاظ الدخيلة والاساليب غير الفصيحة وكبرت مساحة الدعوة لتصبح دعوة الى اجتماع على المستوى القومي لتدارس هذه الأمور ولعرض القانون على المعنيين بأمر اللغة والحريصين على سلامتها والغيورين على أساليبها حتى يصبح القانون ذا جدوى على المستوى القومي وهو الهدف الذي توخاه مجلس قيادة الثورة من التشريع .

لقد وضع القانون المسؤولية التاريخية في أعناق كل المؤمنين برفعة اللغة وحمّلهم مسؤولية الاسهام في تحديد الطريقة التي تعطيها قدرة هذه الرفعة والانتفاع من خبراتهم وتجاربهم للوصول الى الصيغة الصحيحة بعد أن أصبحت النظرة جماعية تتوحد فيها الجهود وتذلّل الصعوبات وتشارك المؤسسات ويتنادى المعنيون ، فالقانون لم يصدر عن رغبة خاصة ولا لينهض به قطر دون غيره وانما جاء استجابة ملحة اقتضتها ظروف قومية وأملتها حقيقة فكرية تفرض على أقطار الوطن العربي أن تعمل موحدة لتحقيق

هذا الهدف القومي . وقد أثار قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية والصادر سنة ١٩٧٧ والذي أناط بالمجمع العلمي العراقي أن يكون المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلمية والفنية وعلى الأجهزة المعنية الرجوع اليه بشأنها كما نص على معاقبة المخالفين لاحكام هذا القانون بالعقوبات الانضباطية بالنسبة لمنتسبي الدولة وبالعقوبات المنصوص عليها في القوانين المرعية الاخرى بالنسبة لسواهم . اهتمام الحريصين فانبروا الى تحديد القنوات التي يمكن أن يطبق بها هذا القانون والاساليب التي يمكن اتباعها من أجل تطبيقه .

فالمجمع هو الموئل الذي ترجع اليه الدوائر الحكومية والمؤسسات من أجل اقرار ماتضع من مصطلحات وفي استفتائه فيما يتصل بقضايا الاساليب والاستعمالات اللغوية لتمييز الصحيح من الخطأ والدخيل من الأصل وبقدر مايمكن أن تقدمه المجامع اللغوية فان حركة امتداد المفردات الغريبة واتساع رقعتها وانتشارها وكثرة ماتقدمه وسائل الاعلام منها وما تبثه من خلال قنواتها المتعددة . وهذا يؤكد حالة التلكؤ وقصر باع الاعداد الضئيلة التي تضخها المجامع في عالم يضج بالغريب ويعج باللفظ الاجنبي ويشيع استعمال وتداول الاساليب غير العربية ومع هذا فان انصراف اللجان المجمعية واشتغال الاعضاء والخبراء والمتخصصين في اعداد المصطلحات التي تعرض أو التي يطلب من المجمع العمل على تعريبها (وليست ترجمتها) تمثل قناة واحدة من القنوات السليمة في هذا المجال بعد أن تمر عبر قنوات توثق صحتها وتعزز أصالتها ويجمع على سلامتها وموافقتها لما اجتمعت عليه المعاجم وبهذه الطريقة يحفظ المجمع العلمي للغة سلامتها . . . ومهما كانت قدرات المجامع فان الدائرة الكبيرة التي تتحرك في اطارها المشكلة والفيض الزاخر الذي تتسرب فيه عوامل اضعاف اللغة هو أكبر من أن تنحصر المهمة في جهة أو وزارة أو قطر بعينه واذا كانت المقترحات الكثيرة التي قيلت في هذا الشأن قد انحصرت أو حددت في الاطار الضيق فان العمل يقتضي نهوضا أوسع ونحركا أشمل

وصوتا أكثر اتساعا لتأتي متوافقة لأن التفريط بحق اللغة والتاريخ والامة مسألة لايمكن التعبير عنها الا بالعمل الجاد والجهد المثابر لتحقيق الحاجة القومية الملحة التي عبرت عنها القوانين في مراحلها الثلاث . وتظل الصحية قائمة من أجل البداية الحقة والنقطة الاساسية التي تمتلكها اجهزة الاعلام وهي منابر مؤثرة تدخل في كل مكان وتخاطب الجماهير بمختلف المستويات وتوجه المستمعين لما فيه تحبيب للعربية وتضييق للعامية واسكات لما تسرّبها المصطلحات من مفردات دخيلة فاللغة وسيلة التفكير والانسان يفكر بلغته ومن ضعف لغته ضعف تفكيره ويبقى الفكر قاصرا على أداء مهمته اذا لم تكن اللغة المعبرة عنه سليمة خالصة نقية فصيحة .

واذا كانت هذه البدايات قد أخذت حقها بعد أن امتلكت وسائل التعبير ارادة اللغة الفصيحة والتزمت بما تعتمده الجهات المعنية فان الاعلام لايعني نشرة الاخبار والحديث والصحافة وانما يتجاوز ذلك الى مقدمي البرامج والتمثيليات والشعر العامي وبرامج الاطفال والاغاني التي انحدرت الى مستويات غير مناسبة. أما التدريس فلا بد أن يكون ومنذ المراحل الاولى على وفق اسس سليمة وقواعد محكمة يتقن فيها المدرس اصول اللغة ويتعلم الطالب ضوابط الاحكام والنطق السليم والحفظ الجيد والمطالعة التي تعطي الحركة حقها والنص شكله ولا تترك هذه المقترحات رهينة للاسلوب الكتابي أو كفيلة بالتعميم العام لأن التصحيح اللغوي لايتم الا بمحاصرة الضعف والقضاء على جذوره وانهاء بقاياه التي تتعاظم وازاحة رقعته التي أوشكت أن تتسع لتشمل مساحة أكبر لتكون التعبئة العامة هي السد المنيع لهذا السيل والحملة المكثفة هي الرد الحاسم على الاجتياح الهائل والعمل الجماعي سبيل من سبل المواجهة الناجحة والناجعة .. وتبقى المهمة الكبرى موكولة بخطة عربية عامة تنهض بها الأمة باقطارها مجتمعة متكاملة انتصارا للعربية لسانا واكراما لقداستها عقيدة عبر تخطيط مدروس وخطة شاملة على مستوى رفيع لتأخذ مكانتها في المناقشة كأية مسألة

سياسية وبنفس المستوى لتصبح الخطوات طريقا للمعالجة لأن الاهتمام بهذه المسألة وفي هذه الدائرة من المسؤولية تحقق الهدف الأنساني النبيل وتسهم في خلق الوعي القومي المناسب في هذه المرحلة فالدعوة ماتزال قائمة لعقد مؤتمر اللغوي تتوحد فيه الآراء وتلتزم الاقطار العربية وتعبأ كل القوى الخيرة لاسقاط الدخيل وانهاء الغريب وابعاد الضعيف واستعمال الفصيح وبذلك يتحول القانون الى صوت يرتفع في كل مؤسسة ونداء يطرق كل سمع وراية ترفع على كل وزارة وعندها تتوقف أسباب الضعف وهو ماتوخاه القانون وسعت اليه القيادة وأملته الاسباب الموجبة .



مناهج الجغرافيا الاقليمية عند العرب
في التراث والمعاصرة

الدكتور علي محمد المياح

(عضو المجمع)

مدخل الى البحث

عرف العرب قيمة العلم منذ سالف عهودهم . فما من شئ على أرضهم الواسعة الا خضع لمعاينة فاحصة ووصف دقيق وتصنيف علمي سليم واستثمار يدرّ الخير ويضمن استمرار العطاء . شمل ذلك الأرض ، سطحها ومسالكها ، النبات والحيوان ، السحاب والمطر وكل ما يتصل بظواهر الانسان والجماد . وخصوا كل ظاهرة بلفظ محدد معلوم يفصح عن خصائصها وجوهرها ، حتى أصبحت بعض هذه الألفاظ مصطلحات يتداولها الناس في مختلف انحاء المعمورة فأصغر الانهار الفَلَج ثم الجدول ثم السّري ثم الجَعْفر ثم الربيع ثم الطَبعُ ثم الخليج . (١) وأول المطر رش وطش ، ثم طل ورذاذ ، ثم نضح ونضخ ، ثم هطل وتهتان ، ثم وابل وجَود (٢) . ترتيب يعكس معايير تراعي كيفية سقوط المطر وحجم قطراته ومدته ومساحة الأرض التي يصيبها. وقال العرب في القوافل ، اذا كانت فيها جمال قد تخللتها حمير تحمل الميرة فهي العير ، فاذا كانت تحمل البزّ والطيب فهي اللطيمة (٣) . لفظتان مختلفتان تصف الاولى نوع الدواب التي تحمل الاثقال والأخرى تدل على نوع البضاعة المحمولة ولا ترادف بين المعنيين .

---

(١) ابو منصور اسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩ هـ) فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٢٨٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ .

هذا غيض من فيض الألفاظ العربية التي يسّرت للعرب دقة وصف ما يشاهدون ودقة الوصف ضرورة لازمة لصدق التحليل العلمي . كما انها ، في الوقت نفسه ، كشفت المعايير التي يعتمدها الباحث لابراز ظواهره . وهو أمر في غاية الأهمية بالنسبة لاي باحث جغرافي في يومنا هذا .

هكذا كوّن العرب لبنات معارفهم الجغرافية الاولى ، وفرة في المصطلحات ودقة في وصف الظواهر ، وسلامة في اختيار اسس تصنيفها ومعايير ابرازها . وأخذ هذا العلم يتبوّأ مكانه رويداً بين علومهم المتخصصة سداً لحاجاتهم العلمية واستجابة لمقتضيات تقسيم المعرفة الذي تفرضه الضرورة العلمية . وانتفع العرب بمعلوماتهم هذه وطبّقوها في حياتهم العملية قبل أن تخطها اقلامهم وتصبح مادة لنا مناهجها العلمية واساليبها السليمة . وكان هذا شأنهم عندما عملوا بالنحو فرفعوا الفاعل ونصبوا المفعول قبل ان يكتبوا قواعده

وكان الشعر وسيلتهم الاعلامية الاساسية ، فهو مستودع آدابهم وعلومهم وهو صحيفتهم واذاعتهم . فقد تضمنت اشعارهم ذكراً لكثير من اسماء الاعلام والجبال والتلال والسهول ولوديان ، وملامح عن حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وتناقل الرواة هذا الشعر حتى أصبحت مضامينه مادة تحظى بعناية علماء اللغة . وظلت الصلة قائمة بين الجغرافيا واللغة بصورة نشك في وجود نظير لها في حقل المعرفة الجغرافية عند أقوام أُخر .

هذا أمر يدل ، دون ريب ، دلالة قاطعة على سعة اللغة العربية وقدرتها على موكبة راكب الحضارة والتقدم العلمي .

وقد عني اللغويون العرب بدراسة البقاع المذكورة في الشعر وعالجوا اسماء الاماكن العربية والمنازل البدوية معالجة لغوية أدبية (٤) . ومن بين

(٤) شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) معجم البلدان ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ج ١ ، ص ١١ .

هؤلاء هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ) الذي تنسب له عدة كتب من هذا النوع ، ذكر ابن النديم منها كتاب البلدان الكبير والبلدان الصغير وقسمة الأرضين والانهار والحيرة ومنازل اليمن والعجائب الأربع واسواق العرب والاقاليم وتسمية البيع والديارات ونسبة العباديين (٥) . ووضع الأصمعي ، عبد الملك بن قُرَيب الباهلي (ت ٢١٣ هـ) وهو العالم اللغوي الثقة جملة من كتب الجغرافيا مثل كتاب الانواء والاوقات ، وكتاب جزيرة العرب وكتاب مياه العرب (٦) .

ونجد في المقابل عناية علماء الجغرافيا باللغة العربية واضحة في معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي رغم مضي وقت غير قصير على ظهور كتب المسالك والممالك وغيرها من الكتب الجغرافية البحتة . فقد أخذ ياقوت علوم العربية عن جملة اساتذة لهم شهرتهم المعروفة في اللغة أمثال ابن يعيش صاحب كتاب (المفصّل » (ت ٦٤٣ هـ) ونهج في كتابه نهج جميع علماء اللغة العرب من ذكر اشتقاق بعض التسميات ومحاولة ايضاح منشئها وتفسيرها وردّ اصولها الى صميم اللغة العربية . ولم يسمح بوجود أصل غير عربي لها الاّ في حالات نادرة . ولا تخلو مناقشته اللغوية عادة من شواهد لفحول شعراء العرب لضبط صحة نطق تسمياته (٧) . ويصف ياقوت مضامين كتابه قائلاً أما بعد فهذا كتاب في اسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان ، والقرى والمحال والأوطان ، والبحار والانهار والغدران ، والاصنام ، والأبداد ، والأوثان) (٨) . ويعرّج ياقوت الى ذكر منهجه في تأليف كتابه ، فاذا به يأخذ عن اللغويين

---

(٥) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٦٠ ، ٩٧ .
(٧) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، القسم الاول ، ص ٣٤١ .
(٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ص ٧ .

ترتيب الاسماء وإبانة اشتقاقها العربي قائلاً (. . . ووضعته وضع أهل اللغة المحكم ، وأبنتُ عن كل حرف من الاسم : هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور ، وأزلت عنه عوارض الشُّبَه وجعلته تبراً بعد أن كان من الشُّبَه . . . ثم اذكر اشتقاقه إن كان عربياً ، ومعناه إن أحطت به علماً ان كان عجمياً . .) (٩) . ويأخذ عن الجغرافيين منهجهم فيذكر أقاليم المواضع ويحدد مواقعها الفلكية بالنسبة لدوائر العرض وخطوط الطول ، ويصدّر كتابه بمقدمة مطوّلة يذكر فيها صورة الأرض وأقاليمها ومعاني المصطلحات التي يكثر ذكرها في الكتاب ، حتى جاء كتابه بجملته حافلاً بمادةٍ جغرافية بجوانبها الفلكية والوصفية واللغوية .

وكان تداول المعلومات عملية يومية يمارسها العربي بحكم أوضاعه الإجتماعية وظروفه الاقتصادية والسياسية . وهي معلومات يأخذ بعضها حيّزاً اقليمياً ، وقد بلغت عنايته بمثل هذه المعلومات مبلغاً عظيماً انعكس على اشعاره وأمثاله . أليس هو القائل ، على سبيل المثال :

قَتَلَتْ أرضٌ جاهِلَها ... وقَتَل أرضاً عالِمُها

وجاء الاسلام وخرج العرب المسلمون من ديارهم يحاربون حرباً منظمة ، ويجاهدون إبتغاء مرضاة الله ونشر دينه الحنيف ، ويتوخون نشر العدل دفاعاً عن الأمة . وتعاظمت الحاجة الى معلومات جغرافية مفصلة . وكان الخليفة ، وهو القائد العام للقوات المسلحة ، لايصدر أمراً ولا يقطع فيه حتى يستوفي معلوماته عنه بحيث لا تخلو وصية حرب تصدر عنه من إشارة الى مثل هذه المعلومات . فقد نصّت على هذا الأمر رسالة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى سعد بن أبي وقاص إذ يأمره فيها (. . . وتعرّف الأرض كمعرفتك اهلها

---

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٢ .

فتصنع بعدوك كصنعة بك) (١٠) وهكذا يمكن ان نتلمس في هذه الشذرات تطور مبادىء الجغرافيا العسكرية التي كانت ضرورة أساسية اقتضتها ضرورات التحرير والفتح .

ولم يقتصر الأمر على هذا الجانب فقط ، فقد كانت القيادة العليا تدرك تماماً ابعاد السوق في حالتي الحرب والسلم . وان العمليات العسكرية تتحول بعد الفتح الى مهمات ذات طابع اداري الى حد كبير ، تحفظ الأمن وتكفل نجاح استقرار ناقلة العرب في مناطق الفتح الجديد . وقد ادرك الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ما لعناصر البيئة من أثر في حياة الناس وعيشهم ، فكتب الى حكيم من حكماء العصر : إنّا أناس عرب ، وقد فتح الله علينا البلاد ، ونريد ان نتبوأ الأرض ، ونسكن البلاد والأمصار ، فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها وماتؤثره التُرَبُ والأهوية في سكانها .

فكتب اليه ذلك الحكيم : إعلم يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد قسّم الأرض أقساماً : شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، فما تناهى في التشريق فهو مكروه لاحتراقه وناريته وحدته واحراقه لمن دخل فيه ، وما تناهى مُتغرباً ايضاً أضرّ سكانه لموازنة ما أوغل في التشريق ، وهكذا ما تناهى في الشمال أضرّ ببرده وقره وثلوجه وآفاته الاجسام فأورثها الآلام ، وما اتصل بالجنوب وأوغل فيه أحرق بناريته ما اتصل به من الحيوان ، ولذلك صار المسكون من الأرض جزءاً يسيراً : ناسب الاعتدال ، وأخذ بحظه من النسمة ، وسأصف لك ياأمير المؤمنين القطع المسكونة (١١) . وأخذ في وصف الشام ومصر واليمن

(١٠) أبو عبدالله بن الازرق (ت ٨٩٦ هـ) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق علي سامي النشار ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ج ٢ ، ص ٦٣ — ٦٥ .

(١١) ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الرجاء للطبع والنشر ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٣٧٠ — ٣٧١ .

والحجاز والمغرب والعراق وأرض الجزيرة وغيرها . ومن اوصافه الجغرافية التي أوردها عن العراق قوله : وأما العراق فمنار الشرق ، وسرة الأرض ، وقلبها ، اليه تحاورت المياه ، وبه اتصلت النضارة ، وعنده وقف الاعتدال ، نَصُفَت أمزجة أهله ، ولَطُفَت أذهانهم ، واحتدت خواطرهم ، واتصلت مسرّاتهم ، فظهر منهم الدهاء ، وقويت عقولهم ، وثبتت بصائرهم ، وقلب الأرض هو المجتبى من قديم الزمان ، وهو مفتاح الشرق ، ومسلك النور ، ومسرح العينين ، ومدنه المدائن وما ولاها ، ولأهله أعدل الألوان ، وأنقى الروائح وأفضل الأمزجة وأطوع القرائح ، وفيهم جوامع الفضائل ، وفوائد المبَرّات وفضائله كثيرة ، لصفاء جوهره ، وطيب نسيمه ، واعتدال تربته ، واغداق الماء عليه ، ورفاهية العيش به .

حتى اذا انتقلْ الى وصف أهل فارس قال : وفي أهله شحّ ، ولهم خب ، وغرائزهم سيئة ، وهممهم دنيئة ، وفيهم مكر وخداع (١٢) . وينقل البلاذري ما جاء على لسان حكيم بن جبَلة العبدي (المتوفى سنة ٣٧)ه ، وهو يصف بلاد مكران الخليفة عثمان بن عفان (رض) وقد ذهب يستطلعها قبل بدء عمليات الفتح فقال : يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرّتها ، قال صفها لي . قال : ماؤها وشل ، وتمرها دقل ، ولصّها بطل ، إن قلّ فيها الجيش ضاعوا ، وان كثروا جاعوا . فقال له عثمان أخابر أنت أم ساجع ، قال : بل خابر . فلم يغزها أحد (١٣) . ويبدو أن هذه التقارير الجغرافية كانت في بداياتها تأخذ صيغة أوصاف عامة موجزة . ولكنها ظلت محتفظة

(١٢) المصدر نفسه .

(١٣) ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت سنة ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤ ، ص ٤١٦ – ٤١٧ .
دقل : صغير ضعيف .

بمكانتها الجغرافية حتى ظهور الرسائل الجغرافية الحقيقية .

فإذا ضرب الاسلام بجرانه واستقرت دعائم الدولة العربية الاسلامية وبلغت حدودها المحيط الأطلسي غرباً واعماق الصين شرقاً وسويداء اوربا شمالاً وافريقية جنوباً ، أصبح جميع المعلومات وتصنيفها إقليمياً مهمة أساسية يلتزم بها كل من له صلة بشؤون الدولة ليس من الناحية العسكرية فحسب ، بل تتعداها الى النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . وأضحت المعرفة الجغرافية ضرورة علمية تحتمها مقتضيات الحياة العلمية . إذ كان لابد من معرفة الطرق التي ترتبط بين نواحي هذه الدولة الواسعة ، وتحديد أطوال المسافات بين أماكنها . كما أن الوقوف على عوامل استقرار الحالة الادارية ونشاط حركة التجارة يقتضي إطلاعاً واسعاً ووصفاً دقيقاً شاملاً لبقاعها . وكان الحج ، من قبل ذلك ، يتطلب معرفة بطرق القوافل والمسالك المؤدية الى مكة المكرمة والمدينة المنورة .

التأليف الجغرافي العلمي وروافده الاساسية

١ ـ علوم العصر :

جاءت بوادر التأليف الجغرافي العلمي المنظم في وقت ازدهرت فيه الحضارة العربية الاسلامية وبلغت ذروة تقدمها . فقد شهد القرن الثاني للهجرة تطور المعرفة العلمية وتكامل العلم العربي الاسلامي مادة ومنهجاً وفكراً . وتشابكت مادة هذه العلوم وطرق بحثها وتمخضت عن أبواب علمية جديدة لم تعرف من قبل . فقد كان العرب ، مثلاً ، أول من أطلق لفظة « جبر » على على العلم المعروف بهذا الاسم ، وعنهم أخذ الأفرنج هذه اللفظة . وهم أول من ألّف فيه بصورة علمية منظمة ابتداء من زمن المأمون الذي امتدت خلافته

من سنة ١٩٨ هـ — ٢١٨ هـ (١٤) .

ولم يكن هذا النتاج العلمي يعيش بمعزل عن الحياة العلمية ، وانما أصبح مادة تطبيقية ترفد تلك الحياة باسباب نهضتها وتقدمها . فتحليل التوافيق ، مثلاً ، لم يقتصر استعماله على علماء علم الجبر فحسب ، بل استفاد منه علماء اللغة العربية واستغلوه في وضع معاجمهم ابتداء من الخليل بن احمد الفراهيدي حين وضع نظام التراكيب العربية على أدق وجه وأثبته * . واستعمل الفقهاء الجبر الحسابي وأطلقوا عليه اسم (حساب الفرائض) بعد ان طبقوه في حل المسائل القانونية الخاصة بالمواريث والوصايا وما الى ذلك وفقاً لاحكام القرآن الكريم (١٥) .

واستخدم العرب الاسس الرياضية لمعرفة كثير من الحقائق الجغرافية في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مثل تعيين عروض المكان لتحديد مواقع المدن والظواهر الأخرى ، وقياس درجة نصف النهار وابعاد الكرة الأرضية وتقسيم الأقاليم وغير ذلك . وكتاب الهَمْداني الموسوم (صفة جزيرة العرب) يظهر هذا الاتجاه مما يدل على معرفته التامة بالجغرافية الفلكية الرياضية ، فضلاً عن معرفته بالمادة الجغرافية اللغوية التي عرفها مَن سبقوه (١٦) .

وشاع تدوين الحديث النبوي الشريف في منتصف القرن الثاني الهجري ونشطت حركة الجمع والنقد وتمييز الصحيح من الضعيف وتشريح الرجال والحكم

---

(١٤) قدري حافظ طوقان ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣ ، ص ٦١ .

* تحليل التوافيق هو تحليل سلسلة قيم بصورة تكون وحدات دورية محدودة . وتفتقت عبقرية الخليل في هذا المجال الرياضي لتخطي صعوبتين . احداهما حصر اللغة العربية والاخرى كيفية ترتيبها .

(١٥) رشدي راشد ، «الاسلام وازدهار العلوم الرياضية» ، في كتاب الاسلام والفلسفة والعلوم ، اليونسكو ، باريس ، ١٩٨٣ ، ص ١٦٠ .

(١٦) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ص ١٧١ .

في القرن الثالث الهجري وفيه أُلفّت أهم الكتب (١٧) . وكانت العناية البالغة والاهتمام العظيم بدراسة الحديث ومحاولات العلماء الجدية في التوصل الى صحيحه قد أثرت تأثيراً بالغاً في تطور الفكر العربي من حيث العناية ببعض العلوم العربية المتصلة به مما ساعد على نشأتها وأدى الى نموها وتطورها وتوجهها وجهة معينة مثل الفقه والتاريخ والجغرافيا والادب واللغة وغيرها (١٨).

وتظهر آثار علم الحديث واضحة في الدراسات الجغرافية العربية مادة ومنهجاً . ويمكن ان تجمل هذه على النحو الآتي : .

أ ــ العناية بصدق المعلومات ودقتها بصورة تساير ماسار عليه فقهاء مدرسة الحديث . فنحن نقرأ للمقدسي البشاري وهو يتحدث عن نهج دراسته قوله : (وقد ذكرنا مارأينا وحكينا ماسمعناه ، فما صحّ عندنا بالمعاينة وأخبار التواتر أرسلنا به القول وما شككنا فيه أو كان عن طريق الآحاد اسندناه الى الذي منه سمعناه) (١٩) .

ب ــ وفرة المادة الجغرافية فيما دونه علماء الحديث عن البلدان التي رحلوا اليها كانت مصادر أفاد منها الجغرافيون فائدة عظيمة في تاليفهم . وعن هذا الموضوع يُذكر ان ياقوت الحموي استقى معلومات زاخرة من كتب المحدثين وملاحظاتهم واعتمدها في كتابه (معجم البلدان) مثل تواريخ الخطيب (ت ٤٦٣ هـ) وكتاب (الاكمال) لابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ)

---

(١٧) احمد امين ، ضحى الاسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعةالعاشرة، سنة ــ ، ص ١٠٩ .

(١٨) بشار عواد معروف ، « اثر دراسة الحديث في تطور الفكر العربي » ، في كتاب رحلة الفكر والتراث ، جامعة بغداد ، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٢٤ .

(١٩) شمس‌الدين ابو عبدالله بن حمد بن ابي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري (ت ٣٩٠ هـ) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ ، ص ٨ .

وكتب ابن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧)هـ وكتاب (الأنساب) للسمعاني (ت ٥٦٢ هـ) وكتاب (إكمال الكمال) للحافظ بن نقطة الحنبلي البغدادي (ت ٦٢٩ هـ) وابن الدبيثي (ت ٦٣٧ هـ) وابن النجار(ت ٦٤٣ هـ) (٢٠)

جـ - وكان الحديث النبوي الشريف من البواعث التي حملت بعض الجغرافيين على وضع كتبهم . يقول ياقوت الحموي (. . إنني سُئِلت في سنة خمس عشرة وستمائة عن حُباشَة ، (إسم موضع جاء في الحديث النبوي) وهوسوق من أسواق العرب في الجاهلية، فقلت أرى أنه حباشة بضم الحاء.. فانبرى رجل من المحدثين وقال انها َحباشة بالفتح .. فألقي في روعي افتقار العالم الى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً ، وبالاتقان وتصحيح الألفاظ بالتقييد مخطوطاً ، ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً والى ضوء الصواب داعياً . .) (٢١) .

د - ويظهر الشبه واضحاً بين مناهج تدوين الحديث وبين ما سار عليه الجغرافيون العرب في عرض موضوعاتهم ومناقشتها . فطريقة تأليف المسانيد وترتيب الاحاديث حسب الرواة من الصحابة مهما اختلفت موضوعاتها من صلاة أو زكاة أو ميراث . أي الأخذ بوحدة الصحابي الراوي، ، لها ما يماثلها عند الجغرافيين العرب (٢٢) فقد صاغ هؤلاء وحدة الاقاليم من مكوناته المختلفة واطلقوا عليه تسمية خاصة به . وهو أمر يظهر جلياً في كتاب الهَمْداني المذكور عندما يعرض جغرافية اقاليم الجزيرة العربية الرئيسة (تهامه والحجاز ونجد والعروض واليمن) ويناقش تفاصيل ظواهر هذه

---

(٢٠) بشار عواد معروف ، «اثر دراسة الحديث في تطور الفكر العربي» ، ص ٢٦ .

(٢١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٢٢) أحمد امين ، ضحى الاسلام ، ص ١٠٩ .

الاقاليم الطبيعية والبشرية ويبرز وحدة كل اقليم منها (٢٣) . ومثل ذلك يقال عن نهج المقدسي البشاري فبعد ان يخص كل اقليم بتسمية معينة مثل العراق وآقور والشام وغيرها ينصرف الى مناقشة خصائص كل إقليم منها . هذا النهج الاقليمي يعد اليوم من مناهج الدراسة الجغرافية الرئيسة .

أما طريقة علماء الحديث في التأليف على الابواب ، كأن يقول كتاب الطهارة ثم يذكر الاحاديث الواردة فيها ، فنلتمسها منهجياً عند الجغرافيين العرب . فوحدة الموضوع عند أهل الحديث تظهر على صعيد التأليف الجغرافي في دراسة الظواهر الفردية ومحاولة كشف صورة توزيعها (٢٤) . ويعدّ هذا النهج ،في الوقت الحاضر من مناهج البحث الجغرافي الاساسية . وينصب جهد الباحث فيه على مناقشة ظاهرة معينة (Topical Study) . وهذا النوع من مناهج الدراسة يظهر جلياً في كتاب الهَمداني « صفة جزيرة العرب» : فبعد ان يفرغ من ذكر خصائص أقاليمه العامة ينصرف الى مناقشة ظواهرها المتميزة إذ نراه ينتقل مثلاً ، بعد أن يعرض صفة اليمن الخضراء، الى تقصّي تفاصيل هذا الاقليم مثل أودية ماوقع باليمن من جبال السراة كوادي (زبيد) و (سهام) و (حرَض) و (خُلَب) و (سِيان) و (نخلة) وغيرها (٢٥) . وعلى هذا المنوال سلك المقدسي البشاري في ذكر خصائص اقاليمه . وهنا لابد من الاشارة الى أن نهج الهمداني والمقدسي في الجمع بين مناهج الدراسة الاقليمية والنسقية في عرض موضوعاتها حقيقة علمية التفت اليها الجغرافيون

---

(٢٣) ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني (ت ٣٣٤ هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق ومراجعة محمد بن عبدالله بليهد النجدي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٣ .

(٢٤) انظر احمد امين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٠٩ .

(٢٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٧١ – ٨٤ .

المحدثون اخيراً وأكدوا عليها . وهي ان مناهج الدراسة الجغرافية العامة وان انقسمت لاغراض علمية معينة الى اقليمية ونسقية ، ولكن الحقيقة تبقى وهي ان الجمع بينهما في أي بحث جغرافي ، سواء أكان يتناول جزءاً معيناً من سطح الأرض أم ظاهرة يتباين توزيعها من مكان لآخر ، ضرورة تحتمها طبيعة البحث الجغرافي . إذ لابد من رسم خريطة تظهر توزيعها اقليمياً ومن ثمّ متابعة شرح تفاصيل ظواهرها على انفراد .

٢ ـ المشاهدة والمعاينة الشخصية :

لم يقتصر الجغرافيون العرب على إتقان لغة قومهم والاحاطة بمعارفهم والاطلاع على مؤلفاتهم والاخذ بطرق بحثهم ، بل انهم جعلوا من المشاهدة والمعاينة الشخصية مدرستهم الجغرافية التعليمية الاولى . فالجغرافيا علم ، في ماضيه وحاضره ، يفرض على طلابه المشاهدة الشخصية والدراسة الميدانية للتأكد من صدق ما يتحدث عنه والالمام بتفاصيل مكوناته . واصبح من واجبات طالب هذا العلم ان يرحل الى مختلف المناطق ما وسعه ذلك . فكثرت الرحلات وزالت الحدود والفواصل وأضحت الدراسات الجغرافية العربية ذات طابع قومي عام . فلم يكن الهَمْداني من أولئك الذين يعتمدون على النقل من الكتب وانما كان يجوب آفاق جزيرة العرب ويدرس آثارها ويسجل ما رآه رأي العين واختبره بالمشاهدة (٢٦) . وعلى هذا المنوال سار المقدسي استكمالاً لنواقص معلوماته واستجابة لمتطلبات دراسته إذ يقول (وما تمّ لي جمعه الاّ بعد جولاني في البلدان ودخولي اقاليم الاسلام) (٢٧) . وكان يتحرى في تجواله

---

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٦ .
(٢٧) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٢ .

مساحة الاقاليم بالفراسخ حتى يتقنها ويدور على التخوم حتى يحررها ويتنقل في الاجناد حتى يعرفها ، ويتدبر الكُورَ حتى يفصلها ، ويبحث عن الأخرجة حتى يحصيها . (٢٨) وهكذا جعل المقدسي من المشاهدة والمعاينة الشخصية ركيزة مهمة جداً من ركائز تعلّمه واسلوب بحثه ارتبطت بقدرة فائقة على وصف الصورة العامة لمناطق دراسته . واعتبر هذا الأمر مرحلة دراسية لاتتم للباحث الجغرافي ادوات بحثه بدونها . فلا غرو ان عاب المقدسي على بعض من سبقوه افتقارهم الى الدراسة الميدانية والمشاهدة العملية . فقال عن ابي عبد الله الجيهاني (انه كان صاحب فاسفة ونجوم وهيأة ، اقتصر على سؤال الغرباء عن الممالك ودخلها وكيف المسالك اليها) (٢٩) . ومثل هذا النقص ذكره عند أبي زيد البلخي فقال عنه (وما دوّخ البلدان ولا وطئ الاعمال) (٣٠) .

وطبق هذا النهج العملي القائم على المشاهدة والمعرفة الشخصية ابن حوقل في وضع كتابه الموسوم (صورة الأرض) حيث يقول (واعانني عليه تواصل السفر ، وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر ، الى أن سلكت وجه الأرض بأجمعه في طولها وقطعت وتر الشمس على ظهرها) (٣١) .

وكان الجغرافيون العرب ، شأنهم شأن بقية الباحثين في حقول المعرفة الأخرى ، على صلة بالحياة العملية . فقد شغل بعضهم مناصب في دواوين الدولة وجّهت دراساتهم توجيهاً عملياً وجعلت منها جغرافية إدارية تتفق مادتها وحاجات الدولة العامة. فمنهم من عمل في ديوان البريد أو الخراج أو الكتابة، ومنهم من تولى منصب الوزارة والقضاء. وكانت بعض الدراسات الجغرافية تتم بتكليف رسمي لمعرفة مناطق الدولة وخصائصها مما ينبغي معرفته لاتخاذ

(٢٨) المصدر نفسه .
(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٣ ـ ٤ .
(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٤ .
(٣١) ابو القاسم محمد بن علي الموصلي المشهور بابن حوقل (عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ص ١٠ .

قرارات إدارية صائبة . فقد ارسل الخليفة العباسي المقتدر بالله ، مثلاً أحمد بن فضلان على رأس وفد سنة ٣٠٩ ه الى بلاد البلغـــار أيام حكم الملك ألمش بن بلطوار . وكان غرض الرحلة يحتل مكانة سياسية كبرى تتصل بحرص الدولة على حماية الثغور ونشر الاسلام والحاجة الى معرفـة الخصم والاحاطـة بطبيعة أراضيـه (٣٢) .

وما ارتفع بنيان هذا العلم وتوطدت أركانه إلاّ بفضل تنوع معارف الذين نهضوا به ، وتعدد العلوم التي أحاطوا بها وكثرة الألسن التي أتقنوها . ويطالعنا بهذا الصدد حديث المقدسي عن تحصيله العلمي الذي مكّنه من تأليف كتابه ، فاذا به متعدد المصادر ، متنوع العلوم ، لقي العلماء وجالس القضاة ودرس على الفقهاء واختلف الى الادباء والقرّاء وكتبة الحديث وتفطن في الألسن والألوان وما الى ذلك (٣٣) . وقيل عن المسعودي إنه (عالم ، فلكي ، حاسب ، جغرافي ، فقيه ، محدّث ، جدلي ، نظّار ، ديّاني ، مؤرخ ، ناسب ، فيلسوف ، اديب ، راوية . وانه كان ملماً بعدة لغات كالهندية واليونانية والرومية والسريانية وغيرها (٣٤) . واشتهر ابو علي الحسين ابن علي بن عمر المراكشي (ت ٦٦٠ ه) بعلم الفلك والرياضيات والجغرافيا وعمل الساعات الشمسية . وينقل طوقان اعتراف سيديو بفضل المراكشي في تصحيصات العرب الجغرافية وان كتابه من أجلّ الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافيا (٣٥) .

(٣٢) احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، رحلة ابن فضلان ، تحقيق سامي الدهان ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٦٠ .
(٣٣) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٢ .
(٣٤) ابو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي ، التنبيه والاشراف ، لجنة تحقيق التراث ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ص ٦ .
(٣٥) قدري حافظ طوقان ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣ ، ص ٤١٦ .

هذه المعارف المتعددة والعلوم المتنوعة لاتزال تفرض نفسها على طلاب الجغرافيا وتفصح عن مكوناتها في مواد دراستهم . فالجغرافيا في جوهرها علم يعنى بدراسة ظواهر سطح الأرض وتحليل العوامل التي توضح اختلاف نوعها أو درجتها من مكان لآخر . لذا فان ضرورات الاعداد العلمي تحتم على طالب الجغرافيا ان يعمل على تنوع معارفه العلمية وتكاملها بصورة تمكنه من ملاحظة هذه الظواهر ودقة وصفها . وتتعاظم هذه الحاجة في ميدان الجغرافيا الاقليمية لانها تعنى بتحليل مختلف ظواهر الاقليم وما يعترض ذلك من صعوبات منهجية وعلمية ، لابد للباحث ان يتخطاها لبلوغ غاية الدراسة الجغرافية في ايجاد تكامل اقليمي لظواهر سطح الأرض ، وادراك شامل لنظام حيّزها . ولا تتحقق هذه الاغراض الا عندما تحدد الأقاليم ويكشف تركيبها الداخلي وتقاس علاقاتها الخارجية بالاقاليم الاخرى . ومن هنا تبرز أهمية دراسة الاعمال العظيمة التي تركها العرب في حقل الجغرافيا الاقليمية ، لانها تظهر سعة إطلاعهم وغزارة مادتهم وعمق ملاحظاتهم ودقة اوصافهم ، وتكشف عن أصالة فكرهم وعلمية مناهجهم وحداثتها الى يومنا هذا . وهي الى جانب ذلك تكوّن مادة جغرافية أساسية تشغل حيزاً كبيراً في التراث الجغرافي العربي . فاذا تركنا الجغرافيا الرياضيية والزيجات الكبرى التي كونت منطلقاً رصيناً لهذا العلم عند العرب ، نجد ان جزءاً كبيراً مما بقي يقع بصورة أو أخرى ، في حقل الجغرافيا الاقليمية ، بما في ذلك أدب الرحلات . فأوصاف المناطق المختلفة ، التي يرد ذكرها في هذه الرحلات، تبرز خصائص إقليمية تطبع بعض الاماكن بسمات تميزها عن غيرها وأن لم ترسم حدودها وفق معايير منصوص عليها . ولا تزال الجغرافيا الاقليمية تتبوأ مكانة خاصة في مناهج الدراسة الجغرافية . ولا يزال الباحث الجغرافي يكرّس الكثير من وقته للوصول الى أفضل الاسس التي يستطيع بموجبها تصنيف ظواهر سطح الأرض بصورة يسهل وصفها ومن ثمّ تحليل العوامل التي تحدد مواقعها .

فلا غرو أن نجد كثيراً من الدراسات الجغرافية ، في ماضيها وحاضرها ، تتضمن محاولات لتصنيف ظاهرة معينة وابراز توزيعها الاقليمي في هدي وحدة قياس محدودة . وكان للجغرافيين العرب سبقهم في هذا الامر وفضلهم الذي رسم نهجاً علمياً عملياً جديداً يغاير ما صنعه غيرهم من الاقوام. وهذه سمة واضحة بدأت بعد ان نزعت الجغرافيا العربية الى الاندماج في نظام معارف علمية ثبتت في أواخر القرن الثالث الهجري .

عني الباحثون ، من العرب وغيرهم ، بدراسة التراث الجغرافي العربي تحقيقاً وتعليقاً وشرحاً ، ولكن المناهج العلمية التي طبقها الجغرافيون العرب في هذا الحقل من حقول المعرفة الجغرافية لم تنل حظاً من جهودهم ، ولم تحظ المعايير التي اعتمدوها لابراز توزيع ظواهرهم إقليمياً بعنايتهم . كما انهم اغفلوا مكانة انجازهم العلمي العظيم في هذا الموضوع بالنسبة للدراسات الجغرافية الاقليمية في يومنا هذا . فالقصد من كتاب كراتشكوفسكي مثلاً ، ينصب على عرض تاريخ الانماط الادبية المرتبطة بعلم الجغرافيا عند العرب بصورة أو أخرى . وتحقيقاً لذلك اتبع المنهج الفيلولوجي (علم اللغة) الذي يهدف قبل كل شيء الى توضيح طبيعة الظواهر الأدبية وتطورها (٣٦) . وعلم اللغة بحث واسع النطاق . . . فاحياناً يراد بهذه اللفظة دراسة اللغة أو لغات من حيث قواعدها وأدبها ونقد نصوصها . واحياناً يراد بها دراسة الحياة العقلية ومنتجاتها على العموم في أمة ما أو طائفة من الأمم . وهي بمعنييها الأخيرين ترادف ما نسميه ادب اللغة وتاريخ أدبها (٣٧) . لذا فأن الأسس المنهجية للتراث الجغرافي العربي ما تزال بكراً تتطلب عناية الجغرافيين وجهودهم

(٣٦) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي عند العرب ، ص ١٤ .
(٣٧) علي عبدالواحد وافي ، علم اللغة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٣ ، ص ١٤ .

لجلاء مضامينها . وبناء على ذلك ينصب غرض هذه الدراسة على مناقشة مناهج الجغرافيا الاقليمية عند العرب وابراز سماتها العربية الاصيلة وبيان مكانتها العلمية بالنسبة لما هو سائد في وقتنا الحاضر، كما يهدف إلى توحيد هوية الجغرافي العربي المعاصر مع هوية الاوائل من الجغرافيين العرب لتنسج في نفوسهم نسيجاً فكرياً قوياً تتجلى فيه ثمار الماضي وعطاء الحاضر .

الاقـاليم ، مفهومها واسس تقسيمها

ان مناقشة مفهوم الاقليم واسس التقسيم الاقليمي يعد ضرورة علمية اساسية لتحقيق غاية هذه الدراسة . فتعريف هذا اللفظ مايزال يختلف صيغة ومعنى عند الباحثين في يومنا هذا . فمنهم من يرى ان الاقليم صورة تفرزها معايير الباحث تحقيقاً لاغراض بحثه وآخرون يعتقدون بأن الاقاليم حقيقة واقعة ملموسة لها ابعاد محددة . وكان من شأن هذا الخلاف ان تعددت صيغ تعريف الاقليم الى حد ان (أودم) و (مور) جمعا في كتابيهما نحواً من أربعين تعريفاً (٣٨) . وجذور هذا الخلف تمتد الى المراحل الاولى لتطور علم الجغرافيا . ومن خلال ذلك برز الفكر الجغرافي العربي وتبوّأ مكانة رفيعة بمادته ومنهجه ، واصبح مدرسة جغرافية لها خصائص متميزة لا تزال قائمة في الفكر الجغرافي الحديث . ولكي ندرك ماهية مناهج الجغرافيا الاقليمية العربية ونتبين خصائصها المتميزة يقتضي ان نتتبع ملامح الفكر الجغرافي عند الأمم الأخرى في نشأته الاولى .

اقـاليم بطلميوس :

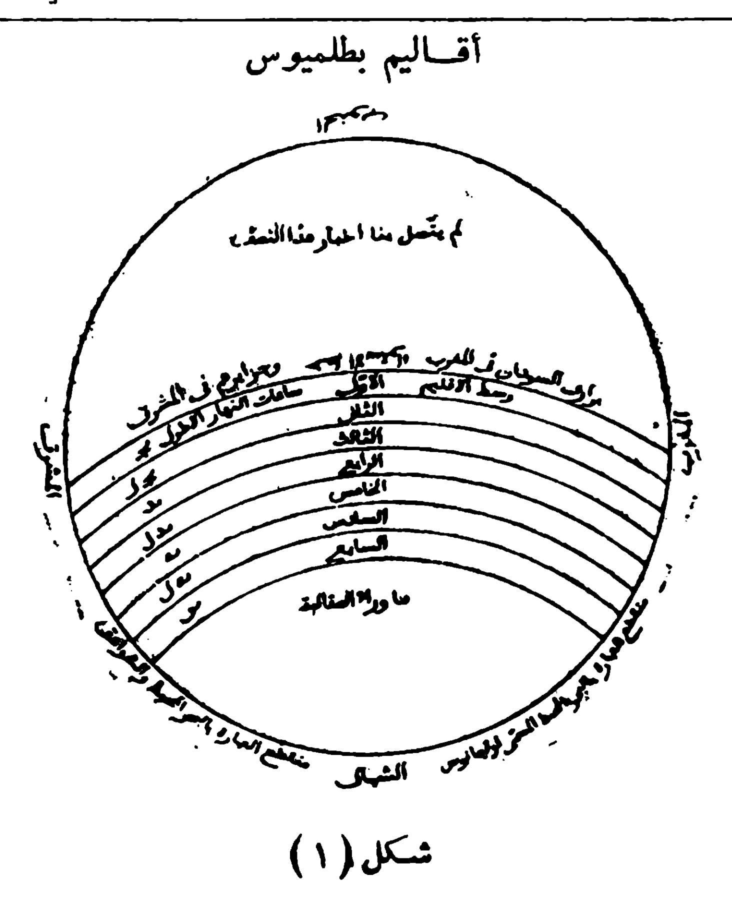
يقول ابو محمد الهمداني (أما بطلميوس وقدماء اليونانيين فانهم رأوا

---

(٣٨) انظر

H. W. Odum and H. E. Moore, American Regionalism, A Cultural—Historical Approach To National Integration, Holt, New York, 1938.

أقـاليم بطلميوس



شكل (١)

ان طباع الاقاليم وجبلتها لاتكون الا طرائق من المشرق الى المغرب متجاورة بعضها الى بعض . من خط الاستواء الى حيث يقع القطب الشمالي خمسين درجة وهو ضعف الميل وزيادة جزءين وكسر، وقد حدّ في قانونه عرض كل اقليم منها وساعات نهاره الأطول على وسطه دون طرفيه (٣٩) . وهذا التقسيم لم يلق قبولاً عند الجميع واختلفت آراء الباحثين في هذا العلم بشأنه . وأشار المسعودي الى هذا الخُلف حيث قال (بين الاسلاف والاخلاف من حكماء الأمم في مقادير هذه الاقاليم السبعة واطوالها وعروضها وعدد ساعاتها

(٣٩) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٦ ــ ٧ .

وابتدائها وغايتها ومافيها من مساكن الأمم في البر والبحر تنازع كثير) (٤٠) . ومن نقاط التنازع بين من عني من حكام الأمم وفلاسفتهم بعلم الهندسة ومساحة الأرض في هذه الاقاليم السبعة هي موقعها بالنسبة للأرض أفي الشمال والجنوب ام الشمال دون الجنوب (٤١) . وذهب بعضهم الى أن في الجنوب سبعة أقاليم كما في الشمال . وقالوا هذا لا يعوّل عليه لعدم البرهان ، وذهب الأكثرون الى أن الأقاليم السبعة في الشمال دون الجنوب ، لكثرة العمارة في الشمال وقلتها في الجنوب (٤٢) . كما تنازعوا في اشتراك البروج الاثنى عشر في هذه الاقاليم ، وخاصة الكواكب السبعة ، في الآراء والملل والنحل والآفاق وغير ذلك (٤٣) .

ومآخذ هذا التقسيم الاقليمي تتصل بأسسه فهو يقوم على وحدة قياس أحادية تعتمد درجة دائرة العرض معياراً لرسم حدود الاقاليم وقاعدة لايضاح اختلاف الظواهر البشرية من مكان لآخر على سطح الأرض . أى أن الجغرافي اليوناني جعل جميع العوامل ثابتة فيما عدا تغير درجة دائرة العرض وما يصاحب ذلك من اختلاف في درجات الحرارة . وهذا نهج لا مأخذ عليه من الناحية العلمية . إذ ان مراحل الكشف عن الحقيقة قد تضطر الباحث في يومنا هذا الى اعتبار كل المتغيرات ثابتة فيما عدا متغير واحد لمعرفة اثره ودرجة علاقته بما هو في صدده . ولكن درجة حرارة دائرة العرض لا تكون الحقيقة كاملة في رسم حدود الاقاليم ، وتظل اقاليم بطلميوس تبرز مآخذ المعايير الأحادية فالموقع الفلكي ، كما يصطلح على تسميته اليوم ، لا يبرز واقع معدلات درجة

(٤٠) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، (ت ٣٥٤ هـ) التنبيه والاشراف ، لجنة تحقيق التراث ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ص ٤٦ .
(٤١) المصدر نفسه ، ص ٤٥ .
(٤٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٥ .
(٤٣) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٤٧ .

الحرارة لان هذه المعدلات ، لاسيما السنوية منها ، شيء تجريدي يرتبط واقعه بكثير من المتغيرات . ولا تصبح لهذه المعدلات فائدة علمية واضحة الا في العروض القريبة من خط الاستواء نظراً لقلة اختلاف درجات الحرارة من شهر لآخر . واذا أعرضنا عن هذه الحقيقة ، فإن درجة حرارة دائرة العرض لاتعني بالضرورة تساوي ظروف الحرارة في الاماكن الواقعة على امتدادها وما يتصل بذلك من ظواهر بشرية . فهناك متغيرات عديدة تعمل على تباينها . وهذه حقيقة اشار اليها المسعودي قبل ان تثبتها الحقائق العلمية حديثاً حيث قال (. . . ان أصناف اختلاف البلدان أربعة أولها النواحي والثاني الارتفاع والانخفاض والثالث مجاورة الجبال والبحار والرابع طبيعة تربة الأرض) (٤٤) . وهذه الحقائق الطبيعية التي ذكرها المسعودي لاتزال مسطرة في كتب الجغرافيا المعاصرة التي يدرسها الطلبة في مرحلة دراستهم الاولى . وهي تحمل بمجموعها جانباً من أصالة الفكر الجغرافي العربي القائم على المشاهدة والعيان والتجربة والاختبار . وهي صفة أساسية في مناهج بحثهم أرست قواعد النهج التجريبي في البحث العلمي .

ومثل هذه الملاحظات يذكرها الادريسي ولكنه يكتفي بذكر واقع الاختلاف دون ذكر اسبابه حيث يقول (وهذا الربع المسكون من الأرض قسمته العلماء سبعة أقاليم كل إقليم منها مار من المغرب الى المشرق على خط الاستواء . وليست هذه الأقاليم بخطوط طبيعية لكنها خطوط وهمية محددة موجودة بالعلم النجومي . وفي كل اقليم منها حصون وقرى وأمم لايشبه بعضها بعضاً وايضاً فان في كل اقليم منها جبالاً شامخة ووهاداً متصلة وعيوناً وأنهاراً جارية . .) (٤٥) . وخلاصة القول : ان بطلميوس عرض جغرافية خطية

(٤٤) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٤٢ .
(٤٥) محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحمودي الحسني ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، منشورات معهد الدراسات الشرقية في بريل ، ١٩٧٠ ، ج ١ ، ص ٩ .

أحدثت الاقاليم ومثلت الكرة الأرضية تمثيلاً حدد الاماكن بدرجات عرضها وطولها وارتفاعها . ويرتبط نظامتها الأرضي بتأثير احد الكواكب السبعة . فالاول اقليم زحل والثاني للمشتري وهكذا . وعلى هذا الاساس طرح بطلميوس منذ البداية توزيع « الاقاليم » توزيعاً رياضياً تحتل فيه المجموعات البشرية مكاناً خاصاً بها (٤٦) . وهي أقاليم ، تفتقر على كل حال ، لصفة التماسك التي تشد مكوناتها وتطبع الحيز الذي تشغله بسمة خاصة وللعلاقات الخارجية التي تربط كل اقليم بغيره .

اقـاليم المجموعات البشريـة الكبرى :

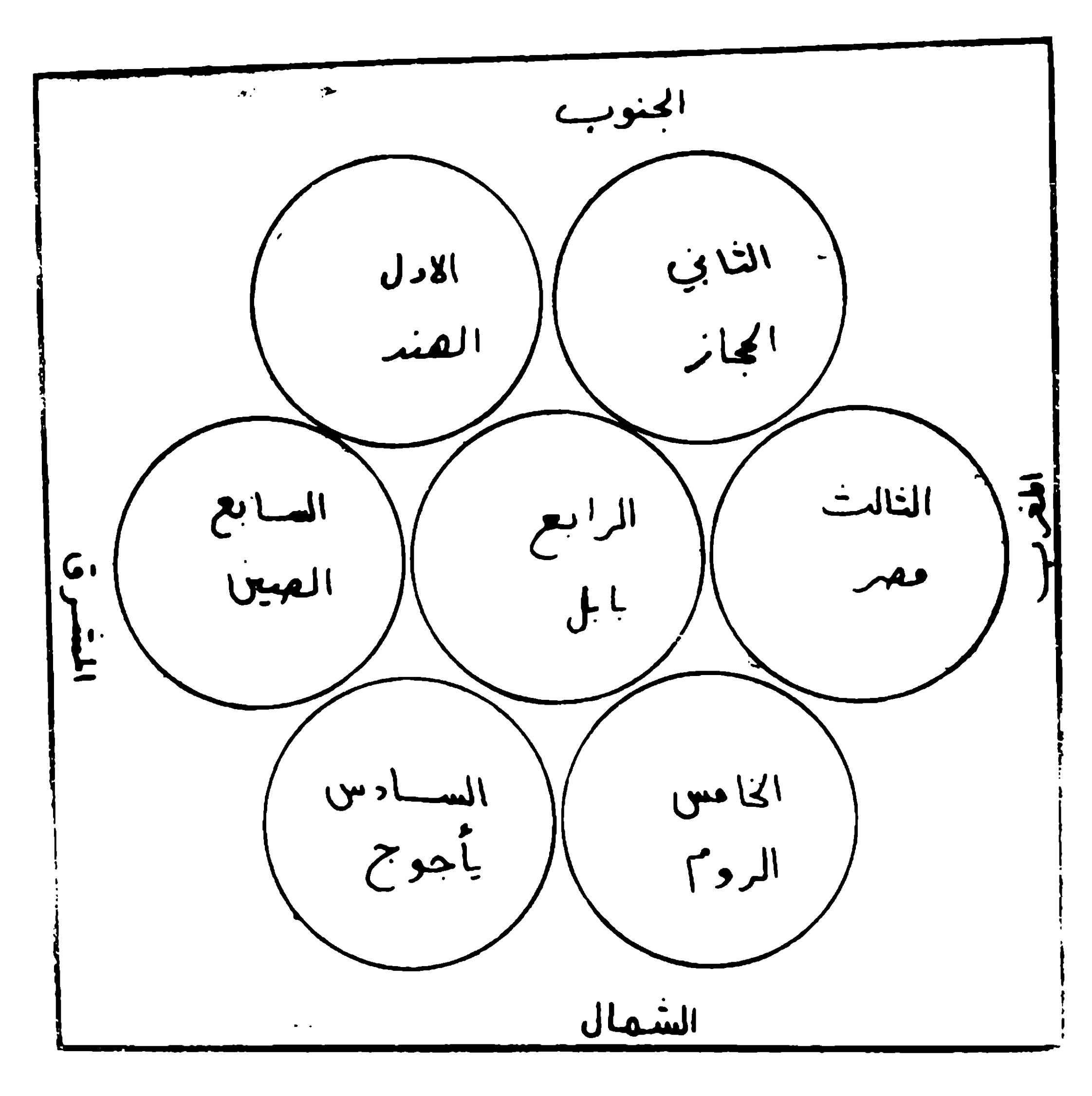
يذكر المسعودي (. . . ذهب هرمس في متبّعيه من المصريين وغيرهم الى أن في الجنوب سبعة أقاليم كما هي في الشمال ، وكان يجعل قسمة الأقاليم من الشمال مدورة فيجعل الأقليم الرابع ، وهو أقليم بابل ، وسطاً لها وست دوائر حوله . وان كل إقليم سبعمائة فرسخ في مثله . فالأقليم الأول الهند والثاني الحجاز والحبشة والثالث مصر وافريقية والرابع بابل والعراق والخامس الروم والسادس يأجوج ومأجوج والسابع يوماريس والصين) (٤٧) .

ويقول الهمداني بشأن هذا التقسيم (وجعل الاقليم الرابع وسطاً ، وجعل الستة الباقية مطيفة به حتى يلتقي الأول بالسابع عليه ، وجعلها قسمة مستوية يدخل في كل بلد من هذه المشهودة ما صاقبه ودخل حيّزه) (٤٨) . (شكل ٢) .

ويختلف هذا التقسيم عن سلفه اختلافاً واضحاً نهجاً وشكلاً . فبينما

(٤٦) اندريه ميكيل ، جغرافية دار الاسلام البشرية ، ترجمة ابراهيم خوري ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، القسم الاول ، ١٩٨٣ ، ص ١٦٦ .
(٤٧) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٤٥ .
(٤٨) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٦ .

اقـاليم المجموعات البشرية الكبرى



شكل (٢)

ترتكز أقاليم بطلميوس على اسس رياضية عمادها الخط والرقم وتجمع أرضها بين المعمور والغامر فاسحة المجال لوصف الجماعات البشرية في بيئاتها الطبيعية ، تنطلق قسمة هرمس من مراكز التجمع السكاني الكبير مفترضاً ان هذه المجموعات تتوزع بشكل نجمي حول اقليم مركزي . أي أن هذا التقسيم جعل الانسان ، لا الخط والدرجة ، محوراً اساسياً لابراز اقاليم العالم . ويظهر ، في الوقت نفسه ، شكلاً هندسياً يقارب الى حد بعيد خرائط المسح الجسدي التي تبين شكل الأرض وأبعادها . ويبيّن تقسيم هرمس في طياته ، وفقاً لمنطلقاته البشرية ، حدود الوحدات السياسية التي كانت قائمة آنذاك وتوزيعها الجغرافي . وهو بذلك يقدم صورة تختلف في مضامينها الجغرافية عن سابقتها .

وهناك وجه آخر للاختلاف بين هذين النهجين الاقليميين . إذ يضع بطلميوس حدوداً فاصلة بين أقاليمه لاتترك فراغاً بينها ، في حين تحصر أقاليم هرمس بينها حيّزاً خالياً من سطح الأرض لاتظهر له روابط إقليمية معينة بأي من الاقاليم . وهذا مأخذنشأ من طبيعة الاشكال الدائرية التي رسمت بها الاقاليم .

ولكن رغم هذه الاختلافات المنهجية فقد ظل تقسيم الاقاليم في الحالتين ينصب على العالم كله ، وفق أطر نظرية عامة تنمّ عن خصائص كل اقليم وتوضح اوضاعه العامة .

النهج الاقليمي العربي وأصالته :

يختلف مفهوم الاقليم الجغرافي عند العرب عما طرحته الأقوام الأخرى وكان من شأن هذا الاختلاف ان تباينت معاييرهم الاقليمية واختلفت اقاليمهم نوعاً وعدداً . ولذلك فان الاقاليم الجغرافية العربية لاتظهر لها علاقة بالاقاليم اليونانية او الهندية او غيرها ، وعددها سبعة في الحالتين كما اسلفنا . فقد تخلى

الجغرافيون العرب عن النهج الذي كان مطروحاً وتبنوا معايير اخرى اعطت الاقليم دلالة جديدة . ويمكن ان نتلمس بداية ذلك فيما اورده المسعودي حيث يقول : (وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون اجمع على صنعتها عدة من حكماء أهل عصره صُوّر فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبرّه وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك ، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا بطلميوس وجغرافيا مارينوس وغيرها .) (٤٩) وسبب هذا الاختلاف شكلاً ونوعاً هو ان هذه الصورة ، أي الخريطة ، عملت وفق معطيات مستجدة . وحتى نحيط بالجوانب العلمية المختلفة التي تعرضها أصالة النهج الاقليمي العربي لابد من العودة الى مناقشة مفهوم الاقليم وجوانبه التطبيقية عند الجغرافيين العرب . وينطلق هذا المفهوم من معنيين اساسيين لغوي واصطلاحي .

فهو لغة سمي إقليماً لأنه مقلوم من الاقليم الذي يتاخمه اي المقطوع (٥٠). وقال صاحب المحيط الاقليم كقنديل ، واقاليم الأرض اقسامها (٥١) . وقيل انه مأخوذ من قلامة الظفر لأنه قطعة الأرض (٥٢) . ويتضح من هذه التعاريف ان المعنى اللغوي للفظة يطابق تعريف الاقاليم بمعناه الحالي من كونه بقعة من الأرض تختلف عما يجاورها بظواهر تطبعها بسمة مميزة . وهذه الدلالة اللغوية تركت آثارها على المعنى الاصطلاحي للاقليم عند الجغرافيين العرب وعلى نوع المعايير التي استخدموها لابراز صور تقاسيمهم الاقليمية .

---

(٤٩) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٤٦ ــ ٤٧ .

(٥٠) ابو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (٦٣٠ ــ ٧١١ هـ) لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ج ١٢ ، ص ٤٩١ .

(٥١) مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، ج ٤ ، فصل القاف باب الميم .

(٥٢) بطرس البستاني ، محيط المحيط ، بيروت ، ١٨٧٠ ، ج ٢ ص ١٧٥٥ ــ ١٧٥٦ .

يختلف مفهوم الاقليم عند الجغرافيين العرب بمعناه الاصطلاحي . فقد استعمل بعضهم هذه اللفظة ،مثل المقدسي وابي الفداء وغيرهما باعتبارها مرادفة لقطر أو منطقة جغرافية من مناطق المعمورة دون اعتبار لموقعها الفلكي فيقولون اقاليم العراق ومصر والشام . . . (٥٣) أي ان الاقليم يعني عندهم كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى (٥٤) . ويسمى أهل الاندلس كل قرية كبيرة جامعة اقليماً . فاذا قال الاندلسي : انا من اقليم كذا ، فانما يعني بلدة بعينها والحوز المتصل بها (٥٥) . فالاقليم في الاندلس يعني بلدة تتبعها أرض ، بينما هو في المشرق أرض تتبعها بلاد (٥٦) . وعلى هذا النحو تذكر المصادر الجغرافية الاندلسية اقاليم اشبيلية على النحو الآتي : اقليم المدينة ، اقليم أَلْيَة ، اقليم السهل ، اقليم الشعراء ، اقليم البَصَل ، اقليم طالقة ، اقليم الشَّرَفَ ، اقليم الوادي ، اقليم لهشانة ، اقليم الفحص ، اقليم قرطشانة ، اقليم المستير (٥٧) . ويحدثنا المَقَّريّ عن اقليم الشَّرَفَ فاذا به تل عالٍ من تراب أحمر مسافته أربعون ميلاً في مثلها يمشي بها الزائر في ظل الزيتون والتين (٥٨) وهذا يعني ان طبيعة الزراعة الكثيفة التي تسود في ارجاء هذا

---

(٥٣) ابو الفدا ، عمادالدين اسماعيل (ت ٧٣٢ هـ) ، تقويم البلدان ، منشورات مكتبة المثنى عن طبعة رينو ودي سلان .

(٥٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٦ .

(٥٥) المصدر نفسه .

(٥٦) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٩ ، ص ٥٧٩ .

(٥٧) ابو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن ايوب بن عمرو البكري ، (ت ٤٨٧ هـ) جغرافية اوربا والاندلس من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبدالرحمن علي الحجي ، بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٦٨ ، ص ١١٥ .

(٥٨) احمد بن محمد بن احمد بن يحيى المقري ، نفح الطيب ، مراجعة احمد فريد رفاعي ، دار المأمون ، مصر ، ١٩٣٦ ، ج ١ ، ص ٣١١ .

المرتفع الكبير ونوع مراكز السكن القائمة فيه كانت اساساً لفرزه عن بقية أقاليم اشبيلية .

ويستعمل لفظ الاقليم احياناً للدلالة على المنطقة الجغرافية التي تصورها الخريطة (٥٩) . ولا نريد ان نسترسل في سرد الامثلة تجنباً للاطالة والملل . فهذا أمر لا يعد غاية بحد ذاته . فالغرض ينصب على دراسة النهج الاقليمي في المصنفات الجغرافية العربية وابراز جوانب الاصالة العلمية فيها . ومع ان المصنفات التي وضعها الجغرافيون العرب في حقل الجغرافيا الاقليمية تكون وحدة علمية متكاملة يكشف كل مصنف منها عن فكر أصيل في جانب معين ، الا أن بعضها فريد في نوعه ويطالعنا في هذا المجال مصنف الهَمْداني الموسوم (صفة جزيرة العرب) ومصنف المقدسي الموسوم (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) . إذ يعرض كل منهما منهجاً متميزاً في الدراسة الجغرافية الاقليمية لايزال حتى اليوم يتبوأ مكاناً مرموقاً تتلمس فيه روح الحداثة والمعاصرة. وقد حظيت مصنفاتهما بعناية الدارسين حتى اعتبر (شبر نجر) كتاب الهمداني الى جانب كتاب المقدسي من إقيم ما انتجه العرب في الجغرافيا . ويرى (كرامرز) في المقدسي اكثر الجغرافيين العرب أصالة وفي المصنف نفسه من اكثر المصنفات الجغرافية في الادب العربي قيمة (٦٠) . وحتى نتبين مزايا كل نهج ونقف على خصائص معاييره وموازنة ذلك بواقع الدراسات الحديثة او المعاصرة لابد من تتبع تفاصيل ما جاء به كل منهما دون التوسع في ذكر سيرتهما الشخصية الا بقدر ما يتصل بعطائهما العلمي .

---

(٥٩) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي عند العرب ، القسم الاول ، ص ٢٠٧ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٠ ، ٢٠٨ .

الهمداني ، مناهج بحثه واصالتها

هذا موضوع متعدد الجوانب متشعب الفروع ، فالهمداني باحث رفعته مؤهلاته الى مستوى عالٍ بين أهل زمانه . . . وعلى مرّ السنين حتى يومنا هذا . والالمام بجوانبه العلمية ضرورة يفرضها سبيل الوصول الى منهجه في الجغرافيا الاقليمية . وهو أمر يقود في بدايته الى ما هو مألوف ومتعارف عليه .

نسبه :

هو الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان المعروف بـ (ذي الدمنة) . وينتهي نسبه الى قبيلة همدان المعروفة والتي يقول عنها انها أعز قبائل اليمن وأمنعها .

وهمداني ، بفتح وسكون قبيلة من حمير واسمه أوسله بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ والنسبة همداني على لفظها والعقب منه في جشم بن جيران بن نون بن همدان والعقب من جشم في فخذية لصلبه بكيل وحاشد . . ولهم بطون متسعة في اليمن * وتمتد أراضيها شمال صنعاء وغربيّ نجران ومأرب وجنوب الصحراء على ساحل أبي عريش . وكانت هذه مركزاً لثقافة عربية عالية . ولايعرف على وجه التحديد تاريخ مولده ووفاته ، سوى انه ولد بصنعاء ونشأ بها وربما مات بها . واختلف الباحثون في سنة وفاته فقد قيل انها كانت في (سنة ٣٣٤ هـ) (٦١) ، في حين يرى البعض ان حياته امتدت حتى (سنة ٣٦٠ هـ) (٦٢) . وأخذ الهمداني علومه ومعارفه عن نصر البهري ، عالم

---

* محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ج الثاني ٥٤٧/٢ ط ١ ، ١٣٠٦ * .

(٦١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق ومراجعة ابن بليهد النجدي .

(٦٢) ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني ، (ت ٣٥٠) كتاب الاكليل ، حققه وعلق عليه محمد بن علي الاكوع الحوالي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ج ١ ، ص ٧٤ .

حمير ونسّابتها ، ومحمد بن أحمد الأوساني الحميري . كما لا يستبعد ان يكون له اساتذة آخرون في سائر العلوم والفنون ولاسيما العلوم الحديثة في عصره من فلك وزيج وجغرافيا وفلسفة ونحو وعلوم الحديث والتفسير (٦٣) . وجمع الهَمْداني بين إطلاع جغرافي وثيق وخبرة واسعة بأنساب العرب وتاريخ الجزيرة العربية نفسها . وينهض مصنفه ((الاكليل) باجزائه العشرة دليلاً ساطعاً على سعة معارفه (٦٤) . وتتميز مصنفاته بطابع عربي أصيل ، إستطاع الهمداني بعبقريته ان يحول دون تداخل مادتها وتكرار مضامينها . وستقتصر عناية هذا البحث على متابعة فرائد منهجيّته التي تضمنها مصنفه عن جغرافية جزيرة العرب .

قلب المعمورة

يقدم التراث الجغرافي العربي معطيات لا تساير الأطر النظرية التي وصفها اليونانيون وغيرهم . ولكنها تتفق ومقتضيات العقيدة الاسلامية واهداف الدولة العربية ، لاسيما الادارية والاقتصادية ومن هذه أنهم نقلوا موقع قلب المعمورة الى الجزيرة العربية لان بها بيت الله الحرام ومدينة النبي (ص) وجعلوها سرة الأرض تأكيداً لمركز جزيرتهم وموقعها الأوسط . وجاء كتاب (الصفة) وثيقة قومية بوّأت العرب وأرضهم مكاناً مرموقاً . إذ لم تنل دراسة الجزيرة العربية من المصنفات الجغرافية التي سبقت الهمداني سوى صفحات معدودات ، ولم تحظ تلك الدراسة إلا بجزءٍ من سائر الأجزاء فقد تباينت صفحات الموضوعات التي تضمّنها كتاب (ابن خرداذبّة) على النحو الآتي :

---

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ٥٦ .
(٦٤) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، نقله الى العربية ، صلاح الدين هاشم ، القسم الاول ، ص ١٧٠ .

خبر المشرق (كرمان وغيرها) ٥٨ صفحة

خبر المغرب ٧٢ صفحة

خبر التيمّن (بلاد الجنوب) ٢٧ صفحة (٦٥)

و (ابنخرداذبّة) فارسي الأصل له ميول شعوبية معروفة ، ذكر (ابن النديم) له كتاباً يسمى (جمهرة أنساب الفرس) (٦٦) .

ويوزع (الأصطخري) صفحات كتابه على النحو الآتي : —

اقـاليم العجم

بلاد فارس	٦٢ صفحة
بلاد كرمان	٢٢ صفحة
الجبال والدَيْلَم	٢٢ صفحة
ما وراء النهر	٦٢ صفحة

اقـاليم العرب

ديار العرب (الجزيرة العربية)	١٦ صفحة
ديار مصر	٤ صفحات
أرض الشام	١٣ صفحة
العراق	١٠ صفحات (٦٧)

وهكذا يبدو بوضوح ان عناية (الاصطخري) كانت تنصب على بلاده وبلاد المشرق ، ولم تنل أرض العرب حظاً وافياً من صفحات كتابه على الرغم من انه يعرف فضل العرب ومكانة ديارهم ، حيث يقول في مقدمته (وابتدأت

---

(٦٥) ابو القاسم ، عبيد الله بن احمد بن خرداذبة (ت ٢٨٠ ، ٣٠٠ هـ) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ .

(٦٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٦٥ .

(٦٧) ابو اسحاق ، ابراهيم بن محمد الاصطخري (ت —) مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ .

بديار العرب فجعلتها إقليماً لان فيها الكعبة وأم القرى وهي واسطة هذه الأقاليم) (٦٨) . ولذلك فان كتاب (صفة جزيرة العرب) يمثل منعطفاً جديداً في التأليف الجغرافي العربي ، تتجلى أبعاده في ناحيتين مهمتين هما : —

١— ان الهمداني نقل الدراسة الجغرافية ، لأول مرة ، من ميدانها العام (Macro) الى الدراسة التفصيلية الخاصة Micro ويتطلب البحث على المستوى الجديد ، قبل كل شيء ، إطلاعاً وافياً ومعلومات تفصيلية دقيقة عن موضوع الدراسة . وبناءً على ذلك تختلف نتائج هذا النهج وقيمتها العلمية التطبيقية عما كان شائعاً. ولهذا السبب بقيت الأطر النظرية اليونانية والتوزيع النجمي للمجموعات البشرية الكبرى عند مستوى المعرفة العامة ، في حين ينقل عن (مالتزان) قوله ، ان كتاب الهمداني كثيراً مايساعد في دراسة جغرافية جزيرة العرب المعاصرة (٦٩) . وهذا النمط من مستويات الدراسة الجغرافية ، الذي سنّه الهمداني ، هو الغالب في يومنا هذا . وبقيت الدراسات الاقليمية العامة عن العالم أو القارات لاتفي الا بأغراض التعليم النظري و لا يتعدّى نفعها قاعات الدرس أو معلومات الثقافة العامة . في حين ان تطبيقات خطط التنمية تتطلب دراسات جغرافية مفصلة .

٢— يشيع في (صفة جزيرة العرب) شعور قومي يزداد عمقاً عندما ينتقل الهمداني الى وصف كل مايرتبط بأرض جزيرة العرب . وهذه سمة نتلمسها ابتداء من الاسطر الاولى حيث يقول: (أفضل البلاد المعمورة من شق الأرض الشمالي الى الجزيرة الكبرى . وهي الجزيرة التي يسميها بطلميوس ماروي تقطع أربعة اقاليم . من عمران الشمال الى الخامس ، فجنوبيها : اليمن ، وشماليها : الشأم ، وغربيها : شرم أَيْلَة وما طردته من السواحل الى

(٦٨) المصدر نفسه ، ص ٣ .

(٦٩) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، القسم الاول ، ص ١٧٢ .

القُلزم وفسطاط مصر ، وشرقيّها : عُمان الى البحرين وكاظمة ، ومُوسَطها : الحجاز وأرض نجد والعروض ، وتسمى جزيرة العرب لان اللسان العربي في كلها شائع وإن تفاضل) (٧٠) . وهكذا بدأ الهمداني كتابة بتفضيل جزيرة العرب على سائر الاقاليم أرضاً ولساناً .

ولا يطلق الكلام مرسلاً دون شرح وايضاح فيقول . . بها البيت الحرام ومقام ابراهيم عليه السلام ، ومخرج النبوة ومعدن الرسالة ومولد محمد (ص) ، وبها أرض يثرب مهاجر النبي عليه السلام وحرمه ومركز الاسلام . . . وبها بقاع الفصاحة والصباحة واعتدال المزاج وحسن الألوان . . . مع الحمية والأريحية والسخاء والكرم والجود بما تشح به الأنفس . . . وبها أفرس من ركب الخيل . . . واحسن من امتطى الأبل . . . وأوفى من تقلد ذمة . . . وابرع من نطق بحكمة) (٧١) .

ويذهب الى غير ذلك فكل مافي جزيرة العرب لايداني ، منه قوله (الأترج بنجران ليس حمّاضاً فيه كبار أحلى من العسل وليس له نظير في بلد) (٧٢) . وأورد في ذكر أقاليمها تفاصيل أماكن الجزيرة العربية وأسماء مواضعها ، ونفر من الاشارة عن كل شيء لا يمت لواقعها بصلة ، حتى جاء مصنفه عربياً خالصاً لم يسبقه احد للنهوض بمثله .

منطلقـاته الفكريـة

يعالج الهمداني جغرافية جزيرة العرب في ضوء نوعين من المعطيات ، يترك كل نوع منها آثاراً معينة فيقول : (لما كانت الكواكب مشتركة التدبير في بقاع الأرض خالطة بين الوسط والطرف ، كان حسن التأليف وإنسياق

(٧٠) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق ابن بلنيهد النجدي ، ص ١ .
(٧١) المصدر نفسه ، ص ٢ ــ ٣ .
(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .

النظام ان نذكر الكل ليعرف مالجزيرة العرب من الطبائع الخاصيّة والعاميّة) (٧٣) ويقصد بالطبائع العامية المعطيات المشتركة بين جزيرة العرب وسائر انحاء العالم وهي معطيات يفرضها تدبير الكواكب على العالم كله . أما الطبائع الخاصيّة فيعني بها المعطيات الخاصة بجزيرة العرب ذاتها (٧٤) . أي أن الهمداني أوجد صلة وثيقة بين صفة جزيرة العرب وصفة العالم ، ولكنه ، من ناحية أخرى ، جعل لها صفات خاصة متميزة بموقعها ومسالكها ومناهلها وأوديتها وصخورها ونباتها وحضارة سكانها مما يميزها جغرافياً عن سائر مناطق العالم .

اقاليم جزيرة العرب

نهج الهمداني في تقسيم أقاليم جزيرة العرب نهجاً لم يسبقه أحد اليه فبعد أن فرزها ، في طبائعها الخاصيّة ، عن سائر مناطق العالم وجعلها كياناً أرضياً له هوية جغرافية متميزة ، حمله حسّه العلمي وتراث قومه الادبي الى اختيار معيار يبرز خصائص أقاليمها . وافترض ، أول الامر أقاليم نظرية عمل فيما بعد على وصف اشكالها ومكوناتها. حتى اذا فرغ من ذكر حدودها قال الهمداني (فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوا بها وتوالدوا فيها على خمسة اقسام عند العرب وفي أشعارها ، تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعَروض واليمن) (٧٥) . أي ان الهمداني اختار معالم السطح الرئيسة ، وهي ظواهر يمكن ملاحظتها وتصنيفها ، واعتمد صفاتها العامة معياراً لابراز اقاليم الجزيرة العربية وبيان صورتها . وعرض للقارئ في البداية تعريفاً موجزاً لها ، عرج فيه على ذكر حدودها . كما شرح دلالات كل منها شرحاً لغوياً على النحو الآتي :

---

(٧٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .
(٧٤) اندريه ميكيل ، جغرافية دار الاسلام البشرية ، ترجمة ابراهيم خوري ، القسم الثاني ، ص ٧٥ ــ ٦٠ .
(٧٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، النجدي ، ص ٤٧ ــ ٤٨ .

١ ـ الحجاز

السَراة وهو اعظم جبال العرب وأذكرها ، أقبل من قعْرة اليمن حتى حتى بلغ أطراف بوادي الشام سّمته العرب حجازاً لانه حجز بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر . (٧٦) وقيل : لأنه حجز بين الغور والشام والسراة ونجد (٧٧) .

٢ ـ تهامة

خلف ذلك الجبل في غربيّه الى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعَك وحَكَم وكنانة وغيرها ، ودونها الى ذات عرق والجحفة وما صاحبها وغار من أرضها الغور تهامة ، وتهامة تجمع كل ذلك . وقيل سميت تهامة لشدة حرّها وركود ريحها ، وهو من التّهم ، وهو شدة الحر وركود الريح ، ويقال سميت بذلك لتغير هوائها (٧٨) .

٣ ـ نجد

وصار ما دون ذلك الجبل من شرقيه من صحارى نجد الى أطراف العراق والسَّماوَة يليها نجد ، ونجد تجمع كل ذلك . (٧٩) وقال النضر ، النجد قفاف الأرض وصلابها وما غلظ منها وأشرف . وقال السّكري ، حدّ نجد ذات عرق من ناحية الحجاز ، كما تدور الجبال معها الى جبال المدينة ما وراء ذات عرق من الجبال الى تهامة فهو حجاز كله (٨٠) .

٤ ـ العروض

بلاد اليمامة والبحرين وما ولاها وفيها نجد وغور لقربها من الحجاز

(٧٦) المصدر نفسه ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .
(٧٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٩ .
(٧٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .
(٧٩) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٤٨ .
(٨٠) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .

والانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها ، والعروض يجمع ذلك كله (٨١) وقال ياقوت : العروض ، بفتح أوله وآخره ضاد ، وهو الشيْ المعترض ، والعروض الجانب ، والعروض المدينة ومكة واليمن وقيل مكة واليمن . وقال ابن دريد ،مكة والطائف وماحولهما . وقال الخازنُجي ، العروض خلاف العراق . وقال صاحب العين : العروض طريق في عرض الجبل ، والجمع عرَوض (٨٢) .

٥ ـ اليمـن

وصار ما خلف تَثْليثٍ وما قاربها الى صنعاء وما والاها الى حضرموت والشّحر وعُمان وما يليها اليمن ، وفيها التهائم والنجد ، واليمن تجمع ذلك كله (٨٣) . وقال الشرقي : سميت اليمن لتيامنهم اليها . وقال الأصمعي اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عُمان ونجران فينقطع من بينونة . أما جبالها فكروم وورْس ، وسهولها بُرّ وشعير وذرة (٨٤) . وتكوّن مناقشة هذه هذه الاقاليم الجزء الاساسي من كتابه : وحظي الحديث عن اليمن بأكثر الصفحات ، بحث فيها جزر البحر ومدن السهول والمرتفعات ، ولاسيما مدينة صنعاء . ومآثر مواضعها . اما الاقاليم الاخرى فكان حظها قليلاً من مثل هذا التفصيل .

الهمداني ، اصالـة ومعـاصرة

يتضح مما سبق ذكره ان الهمداني عرض تركيب عناصر البيئة بظواهرها المختلفة في نسيج متكامل ، يسبغ فيه على كل اقليم من أقاليم الجزيرة العربية سمته المميزة . وهذا نهج يطبقه الباحث الجغرافي اليوم في اية دراسة جغرافية

(٨١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٤٨ .
(٨٢) ياقوت . معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١١٢ ــ ١١٣ .
(٨٣) الهمداني . صفة جزيرة العرب ، ص ٤٨ .
(٨٤) ياقوت . معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ ــ ٤٤٨ .

إقليمية . ولا يعني هذا ان هناك معايير مقننة لاختيار الأقاليم . فتقويم المعايير التي يتم إختيارها لايمكن تحقيقه الا بعد معرفة الغرض الذي من أجله تتم الدراسة . وقد أوضح (الهمداني) ، شأنه شأن أي باحث علمي يعرف غاية بحثه ، غرض دراسته حيث قال (. . . أما اول ذكر طبائع سكان الجزيرة فقد دخل في ذكر طبائع الكل وبقي ذكر مساكن هذه الجزيرة ومسالكها ومياهها وجبالها ومراعيها وأوديتها ونسبة كل موضع منها الى سكانه ومالكه على حد الاختصار ، وعلى كم تجزأ هذه الجزيرة من جزء بلدي، وفرق عملي ، وصقع سلطاني ، وجانب فلوي وحيّزبدوي)(٨٥) وعلى هدي ذلك اختار الهمداني معالم السطح الكبرى معياراً لبدء دراسته . ويرجع سبب ذلك الى أن اختلاف ظواهر السطح في جزيرة العرب وتباينها من مكان لآخر اكثر أهمية من ظروف المناخ الجاف ، التي تسود معظم انحائها ، في ابراز صورة التوزيع الاقليمي . فضلاً عن انها ظواهر يمكن ملاحظاتها وتصنيفها . وهذا شرط اساسي تفرضه الضرورة العلمية ، إذ بغير ذلك تفقد معايير التصنيف صفتها الموضوعية ، ويصبح من الصعب وصفها وبالتالي دقة تحليلها . ولذلك فان الهمداني كان موفقاً في معاييره وقسمة اقاليمه ، الامر الذي مكّنَه فيما بعد من شرح تراكيب عناصرها كما اسلفنا .

والسؤال الذي يبرز الآن هو : أي نوع من الأقاليم عرضها الهمداني ؟ تثير إجابة هذا السؤال جدلاً كبيراً بين المحدثين . ويذهب البعض الى ان الدراسة الاقليمية تقتضي معرفة العلاقات السببية التي تربط بين عناصر البيئة والاحاطة بالآثار التي تتركها تفاعلات هذه العناصر وما ينتج عنها من ظواهر على سطح الأرض (Genetic Regions) . اما البعض الآخر فيحاول ان يضمّن أقاليمه كل الملامح المهمة في البيئة مهما اختلفت انواعها . واصطلحوا على تسمية

(٨٥) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٤٦ .

هذا النوع منها بالاقاليم الجغرافية (٨٦) . وتظهر اقاليم الهمداني وثيقة الصلة بهذا النوع الاخير من الاقاليم . وأصبحت لنهج الهمداني سمة معاصرة يمكن ان نتبينها في دراسة (لوبك) عند ماقسم اشكال السطح في جزيرة العرب، فلم يأت بشيء جديد لم يذكره الهمداني حتى كادت أن تتطابق معها .

وتضمنت اقاليم لوبك مايأتي : —

١ — هضبة الحجاز

٢ — سهول تهامة

٣ — مرتفعات حضرموت

٤ — ظهير عدن

٥ — وادي تريم

وهذه الاقسام الثلاثة تكوّن بمجموعها اقليم اليمن عند الهمداني .

٦ — نطاق واحات نجد

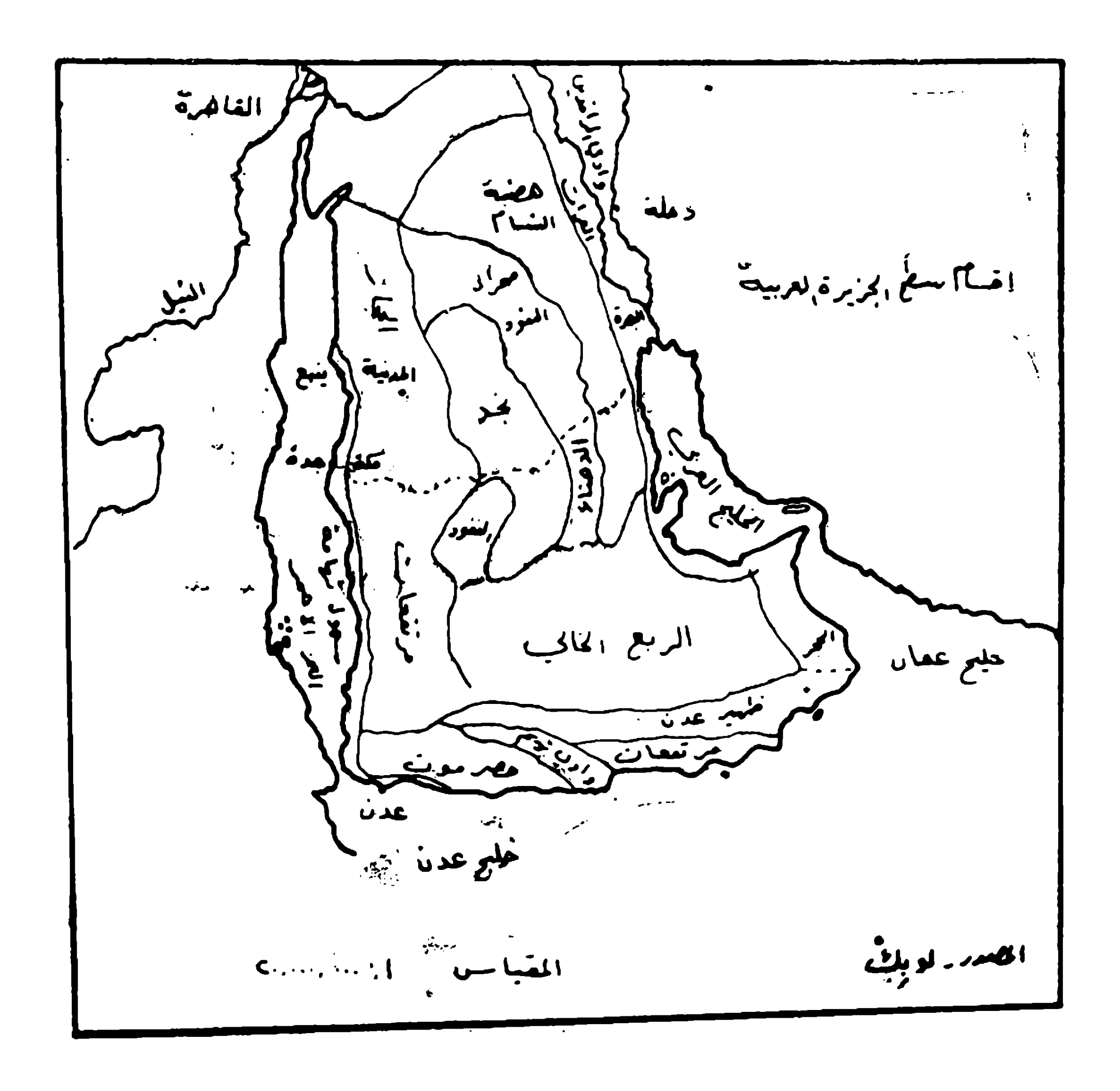
٧ — نطاق صحراء النفود ، وهذا القسم يقع ضمن اقليم نجد عند الهمداني (٨٧) .

ولم يكن (لوبك) يعرف خصائص اقليم العروض معرفة الهمداني به ليذكره وحده ، ولذلك جعله موزعاً بين أقاليم الجزيرة العربية التي ذكرها . واقتصر (لوبك) على ذكر الخصائص التضاريسية لهذا الاقاليم دون ان يتطرق الى الظواهر الأخرى . وهكذا يلبس نهج الهمداني حلّة المعاصرة رغم مضي السنين .

٨٦ Richard Hartshorne, The Nature of Geography, Asso. of Amer. Geogrs., Pennsylvania, 1939, PP. 311 — 330.

(٨٧) A. K. Lobeck, Physiographic Diagram of Asia, New York, The Geographic Press, 1949, P. 8.

اقسام سطح الجزيرة العربية



خريطة (١)

وللهمداني فضل علمي آخر في ميدان الدراسة الاقليمية ، إذا لم يقطع صلة الاقاليم ببعضها ويترك كل واحد منها يعيش بعزلة عن الآخر . بل انه جعلها تكوّن كلاً متكاملاً ووحدة مساحية ذات اداء وظيفي عام يوحد بين مختلف اقاليمها ويربط بينها . فقد ذكر محاور الحركة والطرق التي يكثر الاختلاف عليها ، بما فيها من قرى وموارد للماء واسواق . فذكر بتفصيل وافٍ محجة العراق ومحجة صنعاء ومحجة عدن ومحجة حضرموت والطرق التي تتفرع منها . ان ذكر شبكة الطرق التي تربط بين الاقاليم وتوضح العلاقات المتبادلة بينها من الجوانب العلمية الحديثة التي اكد عليها الفكر الجغرافي الحديث في الدراسات الاقليمية ولم تتبلور بصورة واضحة الا ضمن دراسات التخطيط الاقليمي ومشاريع التنمية القومية التي حتّمت اداءً وظيفياً كاملاً لمجموع الاقاليم .

المقدسي ، أحسن التقاسيم في رتب المدن والاقاليم

بعض سيرته :

هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء الشامي البشاري . ولد في بيت المقدس سنة ٣٣٤ ﻫ ، أي في السنة التي توفي بها الهمداني تقريباً وتوفي سنة ٣٨٠ ﻫ . واشتهر جده لأبيه ببناء حائط بحري مستدير على ميناء عكا لأحمد بن طولون . وكان كثير الاعتزاز بمسقط رأسه . يردده كثيراً ويفضّله ويمتدحه . يقول (كنت يوماً في مجلس القاضي المختار بن يحيي بالبصرة فجرى ذكر مصر الى أن سئلت أي بلد أجلّ قلت بلدنا . قيل فأيّها أطيب قلت بلدنا . قيل فأيها أفضل قلت بلدنا . قيل فأيها أحسن قلت بلدنا . قيل فأيها أكثر خيرات قلت بلدنا . قيل فأيها اكبر قلت بلدنا) (٨٨) ولكن هذا لم يتعارض وقوة شعوره القومي .

(٨٨) المقدسي ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ١٤٦ .

ثم فصل عنه ، بعد أن قضى العقدين الاولين من عمره فيه، يدفعه ولعه بالاسفار الى التنقل في أرجاء ديار الاسلام ويجعل المشاهدة المباشرة معياراً اساسياً لدارس الجغرافيا ولذلك فهو يعيب ، كما اسلفنا ، على البلخي انه ما دوّخ البلدان ولا وطىء الاعمال . وكانت المراتب الاجتماعية تحظى بعناية خاصة عنده تفوق عنايته بالمفاوز والبحار والبحيرات والأنهار حتى أن كثيراً من الاسماء التي اطلقت عليه تتصل بمنزلة اجتماعية معينة اولها علاقة بجماعة مهنية فهو مقرئ وفقيه ، ووراق ومجلد ، وتاجر ومذكّر ، وإمام ومؤذن ، وخطيب وكرّي ومتفقّه ومتعلّم . وسار في جزيرة العرب اكثر من مـرة ، وقطع نحو الفي فرسخ في البحر الاحـمر والخليج العـربي . وساح في البراري وتاه في الصحاري وخالط حيناً السلطان ، وحمل على رأسه بالزبيل وباع البضائع في الاسواق وسجن في الحبوس . ولكن رحلاته لم تحمله الى الاندلس ولا الى الهند وسجستان . وفي خضم ذلك لم يترك شيئاً مما يلحق المسافرين الا أخذ منه نصيباً غير الكذب وركوب الكبيرة . (٨٩)

ولم تكن هذه الرحلات ، في مفهومنا الحاضر ، سوى دراسات ميدانية حاول المقدسي من خلالها أن يجمع ما عنّ له من معلومات تتفق ومضامين موضوعه ، ولم تكن ، بحد ذاتها ، غاية من غاياته .

منهجيتـه العلميـة

تشيع في تضاعيف كتاب المقدسي سلاسل مناهج متداخلة ومعايير متنوعة ، طوّرها نتيجة تجاربه ومشاهداته ومطالعاته . ويلاحظ انه التزم بتطبيق منهجيته بصورة دقيقة لا يحيد عنها سواء ما اتصل منها بتعريف لفظ ام بشرح معنى ام بوضع معايير اتخذها للكشف عن صور توزيع أقاليم معينة . ومثل هـذه هذه الاشارة العابرة الى مناهج بحثه لاتفي بغرض هذه الدراسة ما لم نتابع أبعادها بشيء من التفصيل .

(٨٩) المصدر نفسه ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .

... وضع المقدسي كتابه وفق خطوات منهجية توضيح كل واحدة منها ما هو بصدده وتمهّد السبيل لما بعدها . حتى جاء كتابه متكاملاً يجنّب القارئ كل لَبْس وتنصهر مادته بوعاء علميّ ، يعمل على توحيدها وانسجامها في وحدة الموضوع . وابتدأ بذكر الحوافز التي حملته على وصفه بقوله (. . وجدت العلماء قد سبقوا الى العلوم فصنفوا على الابتداء ، ثم تبعتهم الاخلاف فشرحوا كلامهم واختصروه ، فرأيت أن أقصد علماً قد أغفلوه ، وأنفرد بفن لم يذكروه إلا على الاخلال ، وهو ذكر الاقاليم الاسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والانهار ، ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة . .) (٩٠) . وهكذا يضفي المقدسي صبغة خاصة على كتابه يتفرّد ويتميز بها عن سابقيه ، حتى اذا نظرت فيه وجدته حسب قوله ، نسيجَ وحده ويتيماً من نظمه .

وحمله حرصه المنهجي العلمي على إزالة كل غموض وابهام . فذكر في البدء البلدان والكور والقرى التي تتفق اسماؤها وتتباين مواضعها ويَشكِلُ على الناس أمرها . فالحديثة ، مثلاً ، على دجلة وأخرى على الفرات بآقور والحدث بقنّسرين . والمحدثة منزل ببرية تيماء .

ثم ينتقل الى شرح معاني الالفاظ زيادة في الايضاح واحاطة القارئ بكل ما يُعينه على معرفة النص ، فقوله لانظير له يريد به أن ليس مثله بتّة ،وان وان قال غاية فانما يعني الجودة . اما ان قال المغرب فهو الاقليم وان قال الغرب تبع ذلك مصر والشام (٩١) . وعلى الرغم من عنايته بالمشاهدة والوقوف على ما يقصده ، الا انه جعل حكم العقل صنواً لدراسته الميدانية وجعلها خاضعة له . إذ يقول ، وسألت الله عزّ اسمه ان يجنبني الخطأ والزلل ويبلغني

(٩٠) المصدر نفسه ، ص ١ .
(٩١) المصدر نفسه ، ص ٦ — ٧ .

الرجاء والأمل ، فاعلي قواعده وأرصف بنيان ماشاهدته وعقلته وعرفته وعلقته . .) (٩٢) .

بهذا النوع من المنهجية العلمية التي لاتجدها الا في الكتب العلمية الحديثة الرصينة ، بدأ المقدسي كتابه وهيأ لقارئه كل أوليات الفهم والاحاطة بمحتوياته . حتى اذا فرغ من ذلك ذكر مصادره فاذا هي تنحصر في : —

١ — سؤال ذوي العقول من الناس ، ومن لم اعرفهم بالغفلة والالتباس

٢ — قَصْدُ مالم يكن بد من الوصول اليه والوقوف عليه .

٣ — الاطلاع على ما وصل من المصنفات في هذا الباب بعد البحث والطلب وتقليب الخزائن والكتب .

ثم يذكر ، بأمانة العالم الموضوعي الذي يعطي صاحب الحق حقه انه اجتهد الا يذكر شيئاً قد سطروه ، ولا يشرح أمراً أوردوه ، الا عند الضرورة لئلا يبخس الناس حقوقهم ولا يسرق من تصانيفهم . ولخص المقدسي مؤلفات سابقيه ليوازن بين كتابه وكتبهم ، فالجيهاني صاحب فلسفة ونجوم وهيئة والبلخي ترك كثيراً من أمهات المدن فلم يذكرها ولا دوخ البلدان ولا وطئ الاعمال . وابن الفقيه سلك طريقة اخرى ولم يذكر الا المدائن العظمى ولم يرتب الكور والاجناد . اما الجاحظ وابن خرداذبة فان كتابيهما مختصران جداً لايحصل منهما كثير فائدة . (٩٣) واشترط لمن يريد ان يعرف فضل كتابه عن سابقيه ان يكون قد نظر في كتبهم او دوخ البلدان وكان من أهل العلم والفطنة . ومع كل هذه الوثائق والشروط المنهجية الصارمة لم يُظْهر (المقدسي) كتابه الى أن بلغ الأربعين من عمره ووطئ

(٩٢) المصدر نفسه ، ص ٣ .

(٩٣) المصدر نفسه ، ص ٣ — ٥ .

جميع الاقاليم وخدم أهل العلم والدين . وعلى الرغم من كل هذا فانه يخلص الى القول ، بتواضع العلماء ، (.. ثم إني لا أبرئ نفسي من الزلل ولا كتابي من الخلل ولا اسلمه من الزيادة والنقصان ولا افلته من الطعن على كل حال(٩٤) .

معايير تقاسيمه الاقليمية

صاحبت عمليات الفتح تطورات اجتماعية واقتصادية كبيرة ، استوجبت تقسيماً إقليمياً جديداً فرضته متطلبات الأمن والادارة . فأنشأ العرب لأغراض امنية في العراق ، مثلاً ، مدينة البصرة والكوفة وبغداد وسامراء . كما كانت الأموال تتطلب وحدات ادارية مالية تخدم اغراضها . نلمس ذلك في تقسيم واسط الى خمسة اعمال أو مناطق ادارية (٩٥) . وبمرور الوقت وتطور ضرورات أمن الدولة قسم العرب المدن ، من الناحية العسكرية ، الى ثغور وعواصم وأجناد ، والثَغْر كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً ، كأنه مأخوذ من الثغرة ، وهي الفرجة في الحائط . والثغور مدن حدودية تقع في أماكن سوقية مناسبة حُشِّدَت فيها قوات ضاربة . قال احمد بن يحيى بن جابر كانت الثغور الشامية ايام عمر وعثمان ، وبعد ذلك انطاكية وغيرها المدعوة بالعواصم وكان المسلمون يغزون ماوراءها(٩٦) . وتأخذ الثغور تسمياتها احياناً من مواقعها الجغرافية فالساحلية منها ثغور بحرية والداخلية منها هي الثغور البرية . اما العواصم . فجمع عاصم . وهو المانع ، كقوله تعالى : (لاعاصم اليوم من أمر الله إلا مَن رَحِمَ)(٩٧) والعواصم حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها انطاكية واكثرها في الجبال . وسمّاها الرشيد العواصم لان المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ٦ .
(٩٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ .
(٩٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٩ — ٨٠ .
(٩٧) سورة هود ، ٤٣ .

من العدو إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر . (٩٨) وقد أفرد الرشيد (منبج) و (دلوك) و (رعبان) و (قورس) و (انطاكية) و (تيزين) ، وجعل مدينة العواصم (منبج) (٩٩) . أما الأجناد فهي كل ناحية لها جند يقبضون أطماعهم بها وهي جند (فلسطين) وجند (الأردن) وجند (حمص)وجند (دمشق) وجند (قنسّرين)(١٠٠) .

هذه الاقسام المدنية والعسكرية لم تظهر في اطار مصنفات جغرافية الا بعد تأليف كتب المسالك والممالك في نهاية القرن الثالث للهجرة وبعد ذلك بزمن قصير . وهذه في جوهرها ، كتب في الجغرافيا الادارية ، تطور منهجها حتى تكامل وبلغ ذروته عند المقدسي .

وحدة القياس

بعد أن يفرغ المقدسي من إحاطة القارئ بأوليات مصنفه ينتقل الى شرح وحدة قياسه الاقليمية فيقول (إعلم إنّا جعلنا الأمصار كالملوك والقصبات كالحجّاب والمدن كالجند والقرى كالرجّالة . وقد إختُلِف في الامصار فقالت الفقهاء : المصر كل بلد جامع يقام فيه الحدود ويحلّه أمير ويقوم بنفقته ويجمع رستاقه مثل نابلس . . وعند أهل اللغة المصر كل ما حجز بين جهتين مثل البصرة والرقّة . . والمصر عند العوام كل بلد جليل مثل الموصل والرملة . أما نحن فجعلنا المصر كل بلد حله السلطان الأعظم وجمعت اليه الدواوين وقلدت منه الاعمال وأضيف اليه مدن الاقليم مثل دمشق والقيروان ... وربما كان للمصرا وللقصبة نواح لها مدن مثل البطائح لواسط . فالأقاليم أربعة

(٩٨) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .
(٩٩) ابو الحسن ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) ، فتوح البلدان ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤ ، ص ١٣٤ .
(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ١٣٤ .

عشر ، ستة عربية (جزيرة العرب) ثم (العراق) ثم (آقور) ثم (الشام) ثم (مصر) ثم (المغرب) . وثمانية عجميّة (المشرق) ثم (الديلم) ثم (الرحاب) ثم (الجبال) ثم (خوز ستان (الإحواز) ثم (فارس) ثم (كرمان) ثم (السند) . (١٠١) ويختم مناقشة مجموعة الاقاليم العربية بذكر بادية الشام ، في حين ينتهي من المجموعة الثانية بالحديث عن المفازة التي بين هذه الاقاليم. ويستمر المقدسي في سرد تفاصيل وحدة قياسه فيقول : (ولا بد لكل إقليم من كور ، ثم لكل كورة من قصبة ثم لكل قصبة من مدن الا الجزيرة والمشرق والمغرب فان لكل واحد مصرين ، والمصر قصبة كورته وليس كل قصبة مصراً ، ثم الأمصار اسم كورها ايضاً الا الأربع الأُول والمنصورة والثلاث الأواخر) (١٠٢)

وتفرض ظروف الواقع أحياناً خصائص معينة على هذه الوحدة أو تلك ، تحول دون دمجها في التصنيف الاساسي . فقد تتباين مساحة الناحية وتظل في عزلة ضمن نطاقها الطبيعي وتقاليدها الاجتماعية أو أوضاعها الاقتصادية . وتتميز الناحية أحياناً بظروف خاصة تطبعها بسمة أصيلة بارزة تحول دون اعتبارها كورة بسيطة . ولكنها قد تكون في الوقت نفسه ، من صغر المساحة بحيث لايمكن ان ترقى الى رتبة الاقليم . وعلى نقيض ذلك قد تضم الناحية عدة قرى في كورة واحدة ، الا أن صغر المساحة يحول ثانية دون اعتبارها كورة مستقلة (١٠٣) .

في إطار هذا الهيكل الاساسي العام قسم (المقدسي) دار الاسلام الى رتب حضرية اقليمية تؤلف أربعة صفوف متميزة ، تنبع من جوهر الاشياء وقواعد العقل . وبنى تقاسيمه الاقليمية على اساس شخصية كل منها التاريخية

(١٠١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٤٧ .
(١٠٢) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .
(١٠٣) اندريه ميكيل ، جغرافية دار الاسلام البشرية ، القسم الثاني ، ص ١٣٧ .

والاجتماعية ، وعلى اساس العلاقات المتبادلة بين المدن والاقاليم . فاللغة العربية التي اعتمدها معياراً للفصل بين الاقاليم العربية والعجمية لم يكن يعني بها حدودها الطبيعية ، وانما ارادها تعبيراً عن الروابط التاريخية والعلاقات الاجتماعية التي تضفي على الاقاليم العربية سمة مميزة خاصة بها لاتجد نظائرها في الأقاليم العجمية . ثم قسّم مراكز السكن في كل إقليم وفق نظام رتب متدرج ، فالامصار توازن الملوك ، والقصبات توازن الوزراء ، والمدن توازن الفرسان ، والقرى توازن الجنود . وضّمن نظامه رتبة محدودة من رتب السيادة التي يتمتع بها المركز الحضري وما يتبعه . وأوجد (المقدسي) ، إضافة الى ذلك ، صلة متناظرة بين مراكز السكن الصغيرة ورتب الاقاليم . فكل إقليم لابد ان تكون له كُورُ ، وكل كورة لابد لها من قصبة ، وكل قصبة يجب ان تكون لها مدن . وتبين الاشكال الآتية النظام الاقليمي الذي رسمه (المقدسي) ويصوّر الاول منها رتب مراكز السكن من الناحية النظرية ، بينما يصور الثاني رتب الوحدات الاقليمية نظرياً ، اما الثالث فيظهر التوزيع المكاني النظري لمراكز السكن .

ويلاحظ ان هذه الاشكال تبدي تصّوراً رياضياً يبين رتب مراكز السكن والعلاقات بينها ، كما تبين التكامل بين الوحدات الاقليمية على اختلاف رتبها . وهذا التصور ينبع من حس منطقي جعله (المقدسي) منطلقاً اساسياً لتصنيف معلوماته . وتطبيق النهج الرياضي لا يعني بالضرورة ان يكون مصحوباً بتعبير كمي ، ولكنه في جوهره عبارة عن خطوات تتلاحق وتتكامل وفق قواعد يحدد ها المنطق والاستنتاج العقلي الذي لم يَحِد (المقدسي) عن سبيله .

ويظل (المقدسي) أمنياً عل دقة منهجيته ، فعندما يتحدث عن موضوع معين يعمد الى استعمال الالفاظ الخاصة به . فالجند للعسكريين ، ووحدة الثغور أو التخوم او الأطراف للاداريين ، والاعمال للماليين . ويخاطب

الشكل النظري لنظام (المقدسي)

أ ــ التوزيع النظري لرتب المراكز السكنية

١ ــ الأمصار

٢ ــ القصبات ــ العواصم الاقليمية المحصنة

٣ ــ المدن ، المدن الاقليمية ، المدن الرئيسة في المقاطعات ، أو مدن السوق

٤ ــ القرى

ب ــ وحدات الأقاليم وتوزيعها النظري

١ ــ الاقليم

٢ ــ الكورة

٣ ــ الناحية

٤ ــ الرستاق (الوحدات الزراعية)

(شكل ٣)

الجغرافيين بمصطلحاتهم الخاصة فالمناطق الباردة (الصرود) و (الجروم) للحارة منها ، والمخلاف لأهل اليمن . وقد يكون من المناسب ان نتوقف عند هذه اللفظة ، يقول الثعالبي : (المخلاف لليمن كالسواد للعراق)(١٠٤) . ويذكر (الأكوع) ان أهل اليمن قد اصطلحوا منذ فجر التاريخ على تسمية الصقع من بلادهم أو الناحية منها بالمخلاف مضافاً الى اسم القبيلة الذي صار علماً على المكان ، او مضافاً الى زعيم مشهور ، او بلدة معروفة . والمخلاف ليس له حدود ثابتة بارزة المعالم ، تميزه عن غيره من المخاليف الأخرى تميزاً تاماً ، فقد تتسع رقعته او تضيق (١٠٥) . وشرح هذا اللفظ يقتضي معرفة معاني الالفاظ القروية أو الاقليمية التي اهتم بها (المقدسي) قبل غيره من الجغرافيين . فالمصر يقابل اليوم ما اصطلح على تسميته (متروبوليس) وهي مركز الاقاليم ومقر السلطة منها تصدر الأوامر السياسية والمالية الى قصبات الوحدات الادارية الصغرى (الكورة) . اما الكورة فهي القضاء ، وهي العواصم الاقليمية المحصّنة . ومن أمثلتها :

الكوفة — قصبة جليلة ومن أوصافها لها بابان وحصن طين (١٠٦)

هيت — كبيرة عليها سور (١٠٧).

جُدّة — مدينة على البحر منه اشتق اسمها محصنة .

جَبَلَة — كبيرة بها متاجر عليها حصن منيع يقال له المهد . (١٠٨)

الحَجرْ — قصبة التمامة ، بلد كبير ، جيد التمور ، تحيط به حصون (١٠٩) .

---

(١٠٤) الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص ١٣ .

(١٠٥) اسماعيل بن علي الاكوع ، مخاليف اليمن عند الجغرافيين المسلمين ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، العدد (٣٢) ، مطابع الجمعية العلمية الملكية ، عمان ، ١٩٨٧ ، ص ٩ — ١١ .

(١٠٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١١٧ .

(١٠٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

(١٠٩) المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

حلب – قصبة قنّسرين . بلد نفيس خفيف حصين . (١١٠)

ولا تزال هذه اللفظة مستعملة بهذا المعنى في يومنا هذا في سائر انحاء الوطن العربي . فالقصبة بمدينة الجزائر تعني الجزء الحصين منها . ويقال في العراق قصبة العمادية لحصانتها كما يقال قصبة الزبير لانها كانت محاطة بسور وهكذا .

ودفعاً لكل التباس يذهب (المقدسي) الى مناقشة الظروف الواقعية لكل كورة فيقول : فان قال قائل لم جعلت قصبة الكورة حلب ، وههنا مدينة على اسمها قيل له مثل هذه القصبات كالقوّاد والمدن كالجند ولا يجوز أن نجعل حلب على جلالتها وحلول السلطان بها وجمع الدواوين اليها (وانطاكية) ونفاستها و (بالس) وعمارتها جناداً لمدينة بخربة صغيرة)(١١١) .

ويتطرق (المقدسي) في حديثه عن كورة (بيت المقدس) عن رتبة خاصة من رتب المراكز الحضرية وهي المنابر . وهذه التسمية تتردد في كتب الجغرافيا إختلط معناها عند الباحثين . ولكن (المقدسي) ينص صراحة على دلالتها . فيقول ان لهذه الكورة قرى جليلة ذات منابر أعمر وأجلّ من اكثر مدن الجزيرة وهي مذكورة غير انه لمـــا لم يكن لها قوة المدن في الآثين ، ولا ضـــعف القرى المذكورة في الخمول وتردد أمرها بين الرتبتين وجب ان نستظهر بذكرها ونبين مواضـــعها . منها (لُدّ) وهي على ميل من الرملة بها جامع يجمّع به خلق كثير من أهل القصبة وما حوله وبها كنسية عجيبة ، (عاقِر) ، قرية كبيرة بها جامع كبير ، و (يُبْنَا) بها جامع نفيس(١١٢) ونتبين من قولهان الوظفية الاســـاسية للمنابر ليست وظيـــفة دينية حرفة ، بل ان نشاطها العام لايصل من القوة بحيث يضاهي المدن ولا يضعف حتى يوازي

(١١٠) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .
(١١١) المصدر نفسه ، ص ١٥٦ .
(١١٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ .

خمول القرى بقلته وركوده . وهذا يعني ان رتب المراكز الحضرية التي عرضها (المقدسي) ترتبط ، في بعض النواحي ، بوظيفتها العامة ، ونوعية الخدمات التي تقدمها لاقليمها الصغير الذي يحيط بها. ولذلك ترد الاشارة أحياناً الى ان بعض هذه المراكز بها جامع ومنبر (١١٣)

ويجمل (المقدس) شؤون الاقاليم قبل ان يفرغ منه متناولا مناخه و عقائد أهله ، وتجارتهم ، وعاداتهم في اللباس ، والخراج ، واقسامه الادارية ، ومساحته . ثم يتبع خطى الذين بحثوا المسالك فيذكر مسالك الاقليم والمسافات بين انحائه مبيناً حركة عامة تربط بينها وتسبغ عليهاوحدة اقليمية تسري فيها الحياة من مكان لآخر سواء أكانت مبادلات ثقافية أم اقتصادية . ومن خلال ذلك يمكن ان نتلمس وحدة الدولة وترابط اجزائها . فأقاليمها لاتكون اجزاء منفصلة تعيش بعزلة عن الأخرى . فعلى الرغم من أن الاقليم له شخصية مكانية معينة ضمن المنهج الذي رسمه (المقدسي) ، ولكنه في الوقت نفسه، لاتنقطع روابطه عما يجاوره من أقاليم . فالدولة كانت ، في نظره ، تكوّن كياناً له فعالية متكاملة تتوزع وظائفها بين مجموع الأقاليم .

وتتضح هذه الحقيقة من دراسة خريطة العراق التي وضعها (المقدسي) . فقد جعله ست كور هي (الكوفة) ثم (البصرة) ثم (واسط) ثم (بغداد) ثم (حلوان) ثم (سامرا) .(١١٤) ومدن (الكوفة) مثلاً ، هي (حمّام ابن عمر) و (الجامعين) و (سورا) و (النيل) و (القادسية) و (عين تمر) . تقع ثلاث منها على خط مستقيم يبدأ من الغرب (بالكوفة) وينتهي شرقاً (بحلوان) ، تتوسطهما (بغداد) . وتقع سامرا على مسافة قصيرة الى الشمال منها .

---

(١١٣) عبدالجبار ناجي ، دراسات في تاريخ المدن الاسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، البصرة ، ١٩٨٦ ، ص ٨٥ — ٩٤ .

(١١٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١١٤ .

ويكوّن نهر دجلة عموداً تنتظم حوله معظم مراكز السكن في القطر آنذاك ، من اقصى الشمال الى (نهر الدير) عند الطرف الجنوبي . وهذه حقيقة تفرضها ظروف المناخ شبه الجاف الذي يسود العراق . فدجلة مصدر مياه الري وما يتصل بحاجات الناس ، وهو شريان النقل الرئيس . ويظهر أثر حركة النقل صبباً مع تيار النهر واضحاً على مدن كورة بغداد . إذ تمتد المدن التابعة لها بعيداً حتى مدينة جَبُّل في الجنوب ، في حين تنقطع بعد مسافة قصيرة جداً شمال بغداد عند مدينة (البردان) ، حيث يتجه النقل صُعداً في النهر .

ويلاحظ ان مدن المنطقة الممتدة بين (بغداد) و (واسط) تتركز كلها على على الجهة الشرقية من النهر ما عدا (المدائن) التي تتوزع مبانيها على جانبيه . وتتصل هذه الظاهرة بمقدار ارتفاع مستوى الأرض وأفضلية ضفته الشرقية بالنسبة للضفة الغربية ولعلاقة ذلك بمناسيب المياه وقت الفيضان . ولا تتكرر هذه الظاهرة شمال (بغداد) لعمق مجرى النهر . إذ تتوزع مدن كورة (سامرا) على جانبي النهر وتقصر المسافة الفاصلة بين مدينة وأخرى ، حتى تظهر وكأنها منطقة حضرية متصلة . ولم ينسَ (المقدسي) ان يبين على خريطته الطرق البرية التي تربط العراق بما يجاوره من اقاليم .

المقدسي ، بين الاصالة والمعاصرة

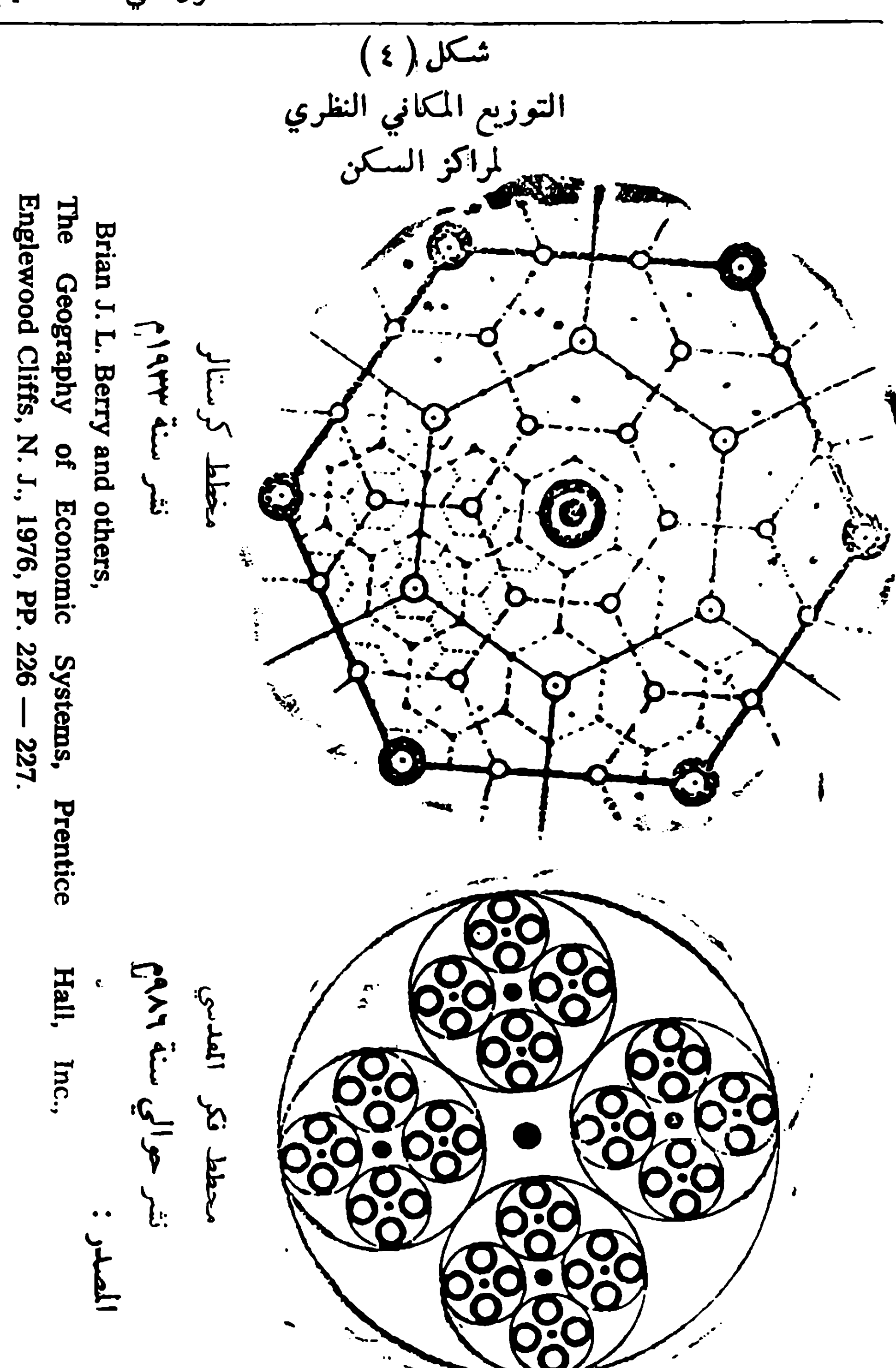
ان فكرة توزيع مراكز المدن في صفوف متوازية تبعاً لحجمها والوظيفة التي تؤديها للأقاليم المحيطة بها . وطبيعة العلاقات التجارية المحلية السائدة فيها لم تنل عناية طلاب الجغرافيا الابعد أن انصرم الثلث الأول من هذا القرن . وبقيت دراسة (المقدسي) فريدة في نوعها حتى ذلك التاريخ . ففي سنة ١٩٣٣ خرج الجغرافي الالماني (ولتركر ستالر)

بكتابة الموسوم (المواقع المركزية في جنوب المانيا) ، ناقش فيه اسس التسويق لأربع مدن في جنوب المانيا هي (ميونخ) و (فرانكفورت) و (شتوتجارت) و (نوو مبرج – فرث) ، وشرح العلاقة بين حجم المدينة والمسافة التي تفصلها عن غيرها وعدد الوظائف التي تؤديها . وجابه (كرستالر) مجموعة ظروف اقتصادية وتاريخية وجغرافية مختلفة حالت دون تطبيق نظامه بدقة . ومع ان الملامح الاساسية لنظريته تناقش موضوعاً تختلف طبيعته عما ذهب اليه (المقدسي) ، نجد شبهاً كبيراً بين الاثنين وتطابقاً بينهما . إذ يذكر (كرستالر) ان عدد مواقع الرتب العليا أقل من مواقع الرتب الدنيا واكثر تباعداً . وهذا الشيءُ عينه عند (المقدسي) حيث يقل عدد القصبات ، وهي من الرتب العليا ، عن عدد القرى ، وهي من الرتب الدنيا ، في كل اقليم .كما تزيد المسافة بين قصبة وأخرى على المسافة التي تباعد بين قرية واخرى في الاقاليم ، ولا سيما تلك التي تقع ضمن كورة واحدة . وليس اظهر من هذه الحقيقة من خريطة العراق التي عرضنا لشرحها آنفاً ، حيث تطول المسافات بين القصبات وتقصر بين القرى .

وتحاشى (كرستالر) الشكل الدائري لرتب مراكزه في مخططه وجعله سداسياً ، حتى يتخلص من الفراغات التي تحصرها الاشكال الدائرية فيها ، لذا عمد الى جعلها خطوطاً مستقيمة . ولو رسمنا مخطط المقدسي (شكل٤) بالطريقة نفسها وربطنا بين مراكز السكن بخطوط مستقيمة لخرجنا بشكل يطابق ما جاء به كرستالر . (شكل ٤)

وأصبحت نظرية (كرستالر) ، التي وضع اسسها (المقدسي) قبل مايزيد على الفعام ، منطلقاً لدراسات عديدة في جغرافية المدن بل ومادة اساسية يدرسها طلاب هذا الموضوع . والواجب يقضي ان يعاد الحق لأهله وان

شكل (٤)
التوزيع المكاني النظري
لمراكز السكن

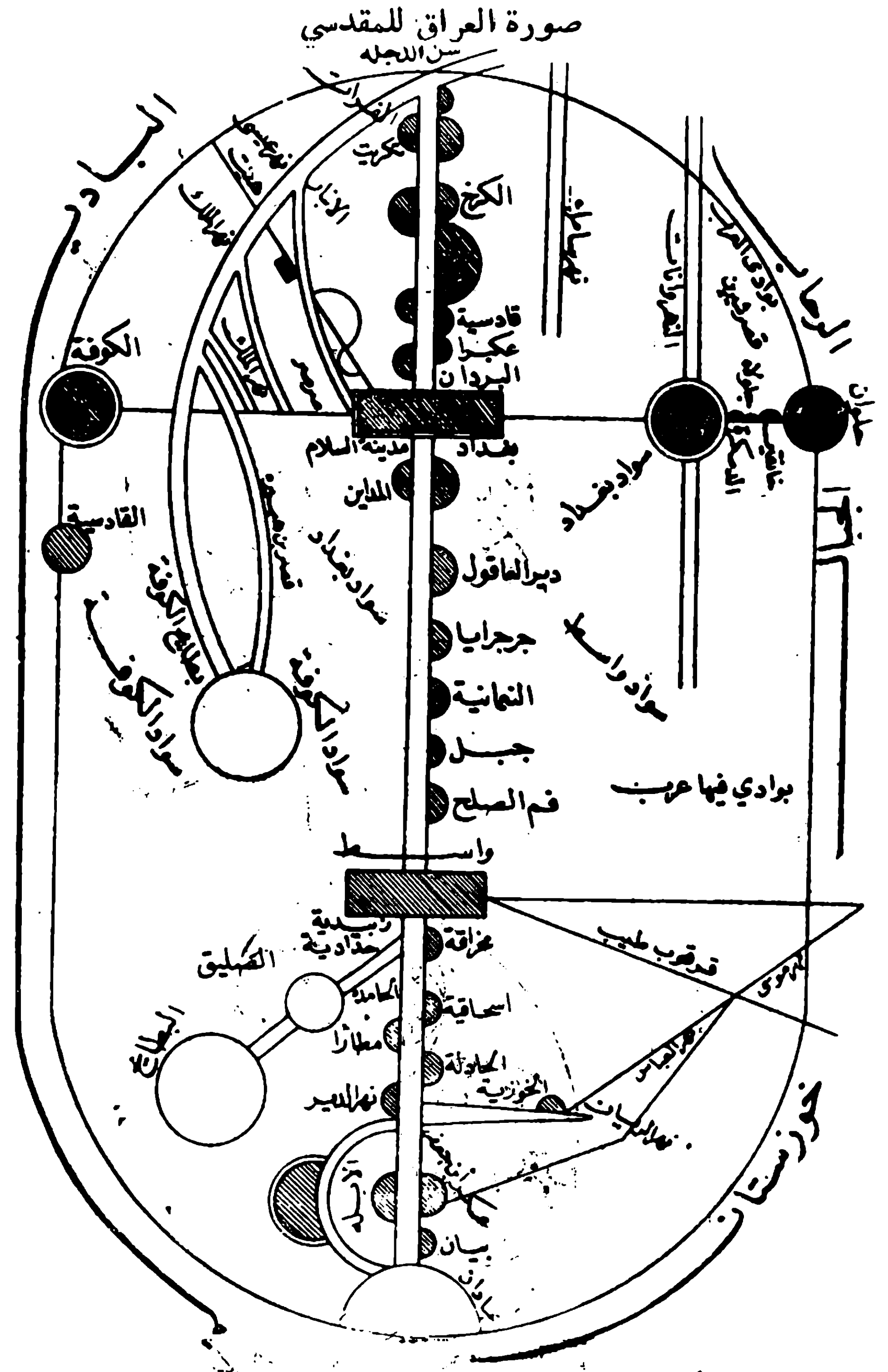


مخطط كرستالر
نشر سنة ١٩٣٣م

مخطط فكر القدسي
نشر حوالي سنة ١٨٩٦م

المصدر : Brian J. L. Berry and others, The Geography of Economic Systems, Prentice Hall, Inc., Englewood Cliffs, N. J., 1976, PP. 226 — 227.

صورة العراق للمقدسي



المصدر : العراق في الخوارط القديمة ، تحقيق : أحمد سوسة ،
المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ٢٣ .

تحظى اقاليم (المقدسي) ونظامه العلمي بقدر مواز أو يزيد من الأهمية في جامعاتنا العربية . ومع ذلك يبقى (المقدسي) فريداً في حقل تخصصه فلم يحاول أحد من الجغرافيين ان يضع لحد الان نظاماً متكاملاً لرتب الأقاليم بالصورة التي عرضها .

الخــاتمة

تميزت الجغرافيا الاقليمية عند العرب بأصالة مناهجها ، وعلمية خطواتها ، وصدق معلوماتها واتسمت بخصائص معينة حفظت مكانتها الى يومنا هذا . ويمكن ان نجمل سماتها الرئيسة على النحو الآتي : —

١ — أصبحت الجغرافيا الاقليمية عند العرب قومية في توجهها ، فلم يكن (ابن حوقل) عراقياً في نظرته ، ولا (المقدسي) فلسطينياً ، ولا (ابو الفدا) حلبياً ولا الهَمْداني يمنياً بل كانت السمة القومية بارزة فيما كتبوا . وأصبحت مكة المكرمة سرة العالم والجزيرة العربية اوسط الاقاليم . كما كانت كتبهم تزخر باسماء والفاظ عربية ، اضفت عليها سمة قومية اصيلة .

٢ — العزوف عن التقسيم الأقليمي اليوناني وغيره ، والاستعاضة عن إطاره النظري بتقاسيم لها جوانبهاالعملية التطبيقية ، وذلك لان الذين نهضـــوا بهـــا ستمدوا معلوماتهم من المشاهدة المباشرة ومن ممارساتهم العلمية في وظائف الدولة ودواوينها .

٣ — انها رسمت ابعاد حقل جديد من حقول المعرفة الجغرافية ، له صلة وثيقة بالعمل الاداري . فهي في جوهرها جغرافية ادارية تستمد مادتها من الواقع وتنير الدرب لصانع القرار ان يتخذ قرارات أمنية ومدنية وعسكرية ومالية صائبة .

٤ — ان الاقاليم لاتكوّن وحدات مساحية مقطوعة الصلة بغيرها ، وانما هناك

روابط تشدها بعضا ببعض فتكون كلاً موحداً . والالتفات الى روابط الاقايم والتأكيد عليها في خطط التنمية من الامور التي جاءت متأخرة في البحث الجغرافي الاقليمي الحديث .

٥ ـ ان العناية بدراسة التراث الجغرافي العربي لابد ان تحظى باهتمام بالغ لجلاء مضامينه وبيان مكانته العلمية ، في ضوء الواقع المعاصر حتى يصبح واسطة ربط بين الجغرافيين العرب الاوائل والمعاصرين ليكونوا حقاً نسيجاً موحداً تبرز فيه الهوية العربية والعطاء العربي المتميز .



ظـاءات القــرآن
للســـرقوسيّ

تحقـيق

الدكتور حاتم صالح الضامن

كلية الآداب — جامعة بغـداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمة

الفرق بين الضاد والظاء من المسائل التي شغلت القدماء بسبب صعوبة النطق بهما على من دخل في الإسلام من الأمم المختلفة بل وعلى قسم من القبائل العربية كذلك .

قال الصاحب بن عباد ، وهو من أوائل المؤلفين في هذا الباب : (إذ كانا حرفين قد اعتاص معرفتهما على عامة الكتاب ، لتقارب أجناسهما في المسامع ، وأشكال أصل تأسيس كل واحد منهما ، والتباس حقيقة كتابتهما)(١)

وقال ابن الجزَري : (والضاد انفرد بالاستطالة . وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله . فانّ ألسنة الناس فيه مختلفة ، وقلّ من يحسنه ، فمنهم من يخرجه ظاء . ومنهم من يمزجه بالذال . ومنهم من يجعله لاماً مفخمة ، ومنهم من يشمه الزاي . . .) (٢) .

---

(١) الفرق بين الضاد والظاء ٣ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١/٢١٩ .

والضاد حرف مجهور ، وهو أحد الحروف المُستعلية ، وهو للعرب خاصة ، ولا يوجد في كلام العجم إلاّ في القليل (٣) .

أما الظاء فهو حرف مجهور ، وهو عربي خصّ به لسان العرب لايشركهم فيه أحد من سائر الأمم (٤) .

وقد نال صوتا الضاد والظاء عناية العلماء ، فكثرت المؤلفات فيهما نثراً ونظماً (٥) .

ولابد من الاشارة الى أنّ ما ورد في القرآن الكريم من الظاء ثلاثة وخمسون وثمانمئة ، ترجع الى واحد وعشرين أصلاً .

أما الضاد فقد جاء في أربعة وثمانين وستمئة وألف موضع ، ترجع الى واحد وثمانين أصلاً (٦) .

لهذا السبب أفرد قسم من الباحثين مصنفات مستقلة لذكر ظاءات القرآن الكريم ، ليُعلم أنّ ما عداها إنما هو بالضاد .

ومن هذه المصنفات منظومات شعرية تشتمل على أصول الكلمات الظائية ، وقد تفاوتت في عدد أبياتها وأصولها (٧) .

ونظراً لما اتسمت به هذه المنظومات من ايجاز فقد تصدّى ناظموها أو غيرهم لشرحها ، وبيان مُبهمها ، وذكر الآيات المتعلقة بها (٨) .

★ ★ ★

(٣) ينظر : الكتاب ٤٠٦/٢ ، سر صناعة الاعراب ٢١٣/١ ، اللسان والتاج (ضود) .
(٤) ينظر : سر صناعة الاعراب ٢٢٧/١ ، اللسان والتاج (حرف الظاء) .
(٥) تنظر : مقدمة الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ففيها احصاء شامل لهذه المؤلفات ٦ ـ ١٢ .
(٦) استندت في هذا الاحصاء الى منظومات اصول الظاءات القرآنية ٦٣٦ .
(٧) تنظر : منظومات أصول الظاءات القرآنية ٦٣٧ ـ ٦٤٢ .
(٨) منظومات أصول الظاءات القرآنية ٦٤٤ ـ ٦٤٦ .

ومن هذه المنظومات منظومة في ثلاثة أبيات شرحها الناظم نفسه وهو كما جاء في مقدمة المخطوطة : الشيخ الإمام المقرئ النحوي أبو الربيع سليمان بن أبي القاسم التميمي السرقوسي . ورغم ما بذلته من جهد فلم أقف على ذكر له في كتب التراجم ، ولكننا نميل الى أن وفاته كانت قبل سنة ٥٩١ هـ ، وهو تاريخ نسخ المخطوطة التي اعتمدنا عليها في التحقيق .

وكان غرض المؤلف جمع ما ورد في القرآن الكريم من حرف الظاء ، وما سواه جاء بالضاد . وجعل ظاءات القرآن في واحد وعشرين أصلاً ، وسار على منهج اللغويين في ردّ مشتقات الكلمة الى أصل واحد ، فمادة (ظهر) ذكر فيها أربعة ألفاظ هي : الظاهر والظّهر والظُّهر والمُظاهر ، وكل منها ورد دالاً على لفظ أو أكثر في القرآن يختلف معناه عن غيره . وذكر في مادة (نظر) : النظر والناظر والإنظار والانتظار .

وعرض المؤلف اثناء حديثه عن ظاءات القرآن الكريم لنظائر الظاء من الضاد في سبعة مواضع هي :

(الظافر والضافر ، الحظ والحض ، الناظر والناضر ، الحاظر والحاضر ، الفظ والفض ، الغيظ والغيض ، الظنّ والضنّ) .

فكل لفظة من هذه الألفاظ تُقال بالظاء فيكون لها معنى ، فاذا قيلت بالضاد كان لها معنى آخر ، وهو ما يُسمّى بالنظائر ، وقد أفرد ابن مالك كتابه (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) لهذا الموضوع .

ولم يستقص الشارح الآيات التي ورد فيها الظاء بل كان يكتفي بذكر أمثلة ويقول : وما أشبه ذلك .

ومن المفيد أن نذكر هنا عدد المواضع التي وردت فيها الألفاظ في القرآن الكريم والتي ترجع الى واحد وعشرين أصلاً ، كما سلف ، وهي الألفاظ التي ذكرها السرقوسي ، وسنرى أنه قصر كلامه على ذكر قسم من الآيات وترك الباقي .

وهذه الألفاظ الظائيـــة هي :

(١) مادة (حظر) : وقعت في موضعين .
(٢) مادة (حظظ) : وقعت في سبعة مواضع
(٣) مادة (حفظ) : وقعت في أربعة وأربعين موضعاً .
(٤) مادة (شوظ) : وقعت في موضع واحد .
(٥) مادة (ظعن) : وقعت في موضع واحد .
(٦) مادة (ظفر) : وقعت في موضعين .
(٧) مادة (ظلل) : وقعت في ثلاثة وثلاثين موضعاً .
(٨) مادة (ظلم) : وقعت في خمسة عشر وثلاثمئة موضع .
(٩) مادة (ظمأ) : وقعت في ثلاثة مواضع .
(١٠) مادة (ظنن) : وقعت في تسعة وستين موضعاً .
(١١) مادة (ظهر) : وقعت في تسعة وخمسين موضعاً .
(١٢) مادة (عظم) : وقعت في ثمانية وعشرين ومئة موضع
(١٣) مادة (غلظ) : وقعت في ثلاثة عشر موضعاً .
(١٤) مادة (غيظ) : وقعت في أحد عشر موضعاً .
(١٥) مادة (فظظ) : وقعت في موضع واحد .
(١٦) مادة (كظم) : وقعت في ستة مواضع .
(١٧) مادة (لظي) : وقعت في موضعين .
(١٨) مادة (لفظ) : وقعت في موضع واحد
(١٩) مادة (نظر) : وقعت في تسعة وعشرين ومئة موضع .
(٢٠) مادة (وعظ): وقعت في خمسة وعشرين موضعاً .
(٢١) مادة (يقظ) : وقعت في موضع واحد .

فهذه احدى وعشرون مادة يرجع اليها ثلاث وخمسون وثمان مئةلفظة ظائية .

مخطوطـة الكتـاب :

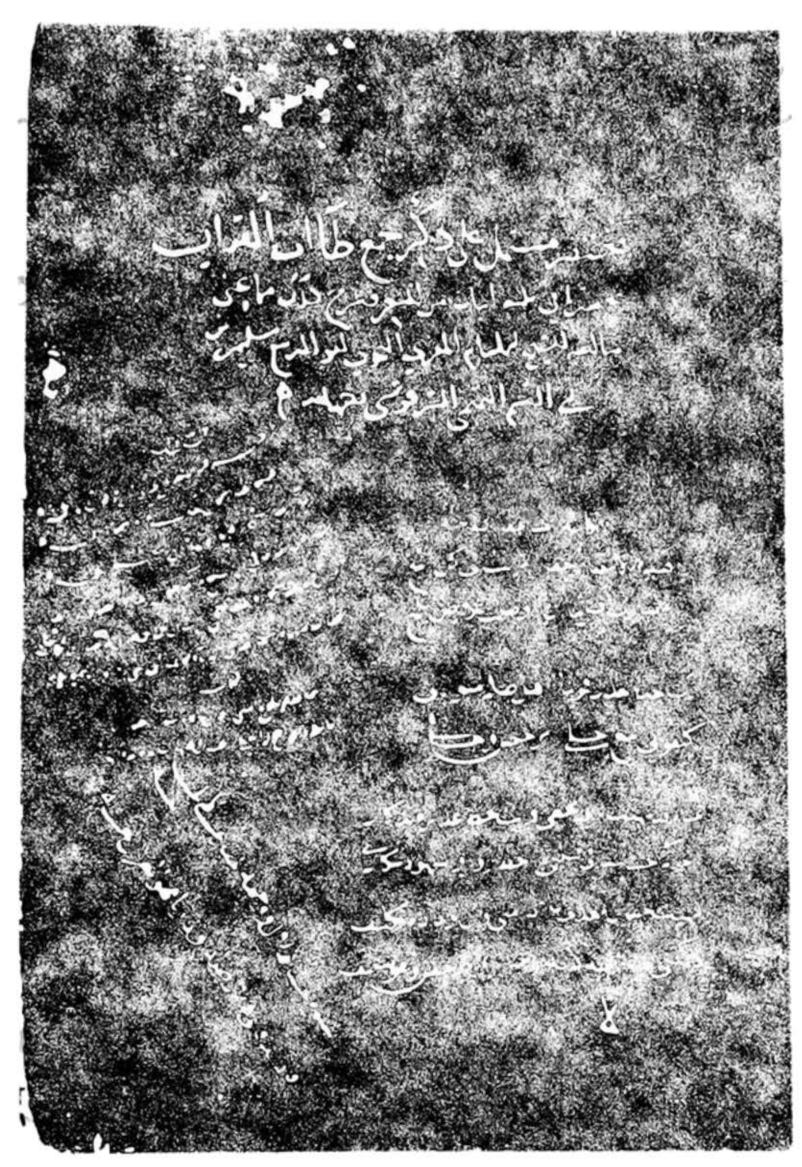
اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على مخطوطة مكتبة جستربتي بدبلن المرقمة ٣٩٢٥ وهي تضم ثمانية كتب ، وتقع في ١٦٨ ورقة ، في كل صفحة سبعة عشر سطراً ، وتاريخ نسخها ١٥ رجب سنة ٥٩١ هـ ، وكتبت بحماه .. بيد محمد بن سعد بخط واضح قليل الخطأ .

ويقع كتابنا هذا في الأورق ١٥١ا - ١٥٤ ب ، وهو الكتاب السابع في هـذا المجموع .

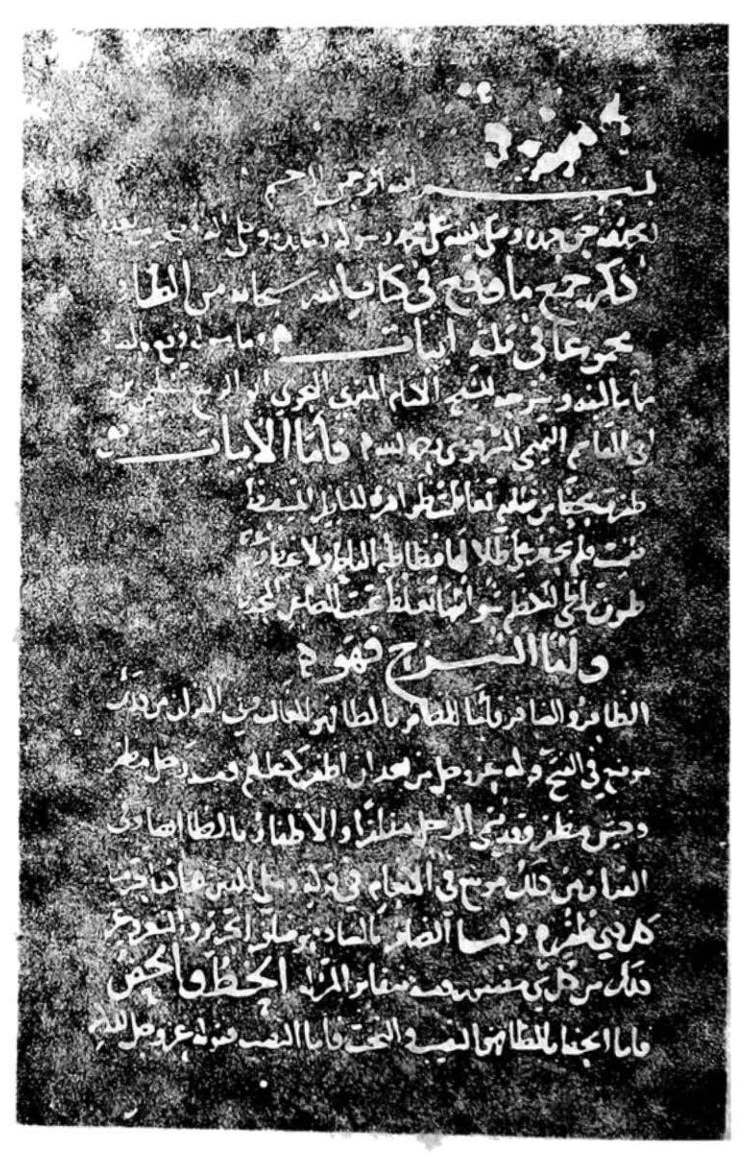
ونرفق في نشرتنا هذه صوراً لعنوان الكتاب وللصفحتين الأولى والأخيرة .
وأخيراً فهذا كتاب جديد يُضاف الى المكتبة القرآنية ، فالحمدُ لله الذي وفّقنا وهدانا ، إنّه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير .

اسـتدراك

وقفت بعد الانتهاء من التحقيق على ذكر لأبيه أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر محمد السرقوسي التميمي وهو من معاصري أبي طاهر السلفي المتوفى سنة ٥٧٦ هـ ، إذ نقل عنه في كتابه (معجم السفر) في سبعة مواضع .



صفحة العنــوان



بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

ذكر جميع ما وقع في كتاب الله سبحانه من الظاء

مجموعا في ثلاثة ابيات [illegible]

[illegible]

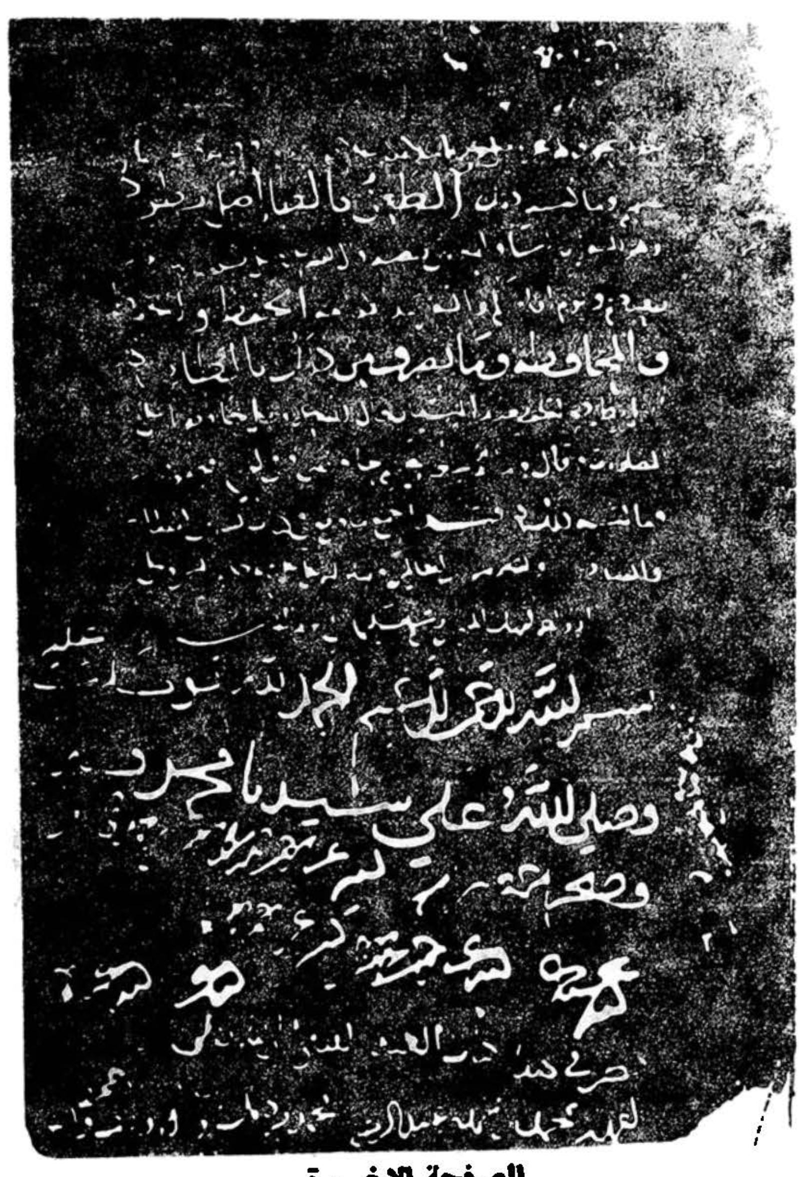
[illegible] فأما الابيات

[illegible]

ولما الشرح فهو

[illegible]

الصفحة الاولى


وصلى الله على سيدنا محمد

الصفحة الاخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حقَّ حمده ، وصلى الله على محمد رسوله وعبده ، وعلى آله وصحبه من بعده .

ذكر جميع ما وقع في كتاب الله سبحانه من الظاء مجموعاً في ثلاثة أبيات ، وما سواه وقع بالضاد ، مما عُنيَ بتأليفه وشرحه الشيخ الإمام المُقرىء النحوي أبو الربيع سليمان بن أبي القاسم التميميّ السَّرَقُوسيّ ، رحمه الله .

فأمَّـا الأبياتُ فهي :

ظَـفِرْتُ بحظٍّ من ظـلوم تعاظَـمَتْ
ظـواهِـرُهُ للنـاظِـرِ المُـتَـيَـقِـظِ
ظَـمِـئْـتُ فلـمْ تَـحْـظُـرْ عليَّ ظِـلالَـهـا
فظاظَـةُ ألفـاظِ ولا غَـيْـظُ وُعَّـظِ
ظَـنـونٌ تلظَّـى للكَـظـيـمِ شُـواظُـهـا
تُغَـلِّـظُ عُتْـبَ الظـاعِـنِ المُتَـحَـفِّـظِ

وأما الشرح فهو :

الظافِر والضافِر (٦)

فأما الظافِرُ ، بالظاء ، فهو الغالب ، وفي القرآن من ذلك موضعٌ ، في الفتح ، قوله ، عزَّوجَلَّ : « مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُم عليهِمْ »(١) .

ومنه : رجلٌ مُظَفَّرٌ ، وجيشٌ مُظَفَّرٌ ، وقد يُسمَّى الرجلُ مُظَفَّراً .

والأظفارُ ، بالظاء أيضاً ، وفي القرآن من ذلك موضع في الأنعام في قوله : « وعلى الذين هادُوا حَرَّمْنا كلَّ ذي ظُفُرٍ » (٢) .

(١) الفتح ٢٤ .

(٢) الأنعام ١٤٦ .

وأمّا الضافِرُ ، بالضاد ، فهو ضافِرُ الحرير والشعر وغير ذلك من كلّ شيءٍ مضفور ، ومنه ضفائرُ المرأةِ (٣) .

الحظّ والحضّ

فأمّا الحَظُّ ، بالظاء ، فهو النَّصيبُ والبَخْتُ . فأمّا النَّصيبُ فقوله ، عزّوجلّ : « للذَّكَرِ (١٥٢أ) مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ »(٤) . وما أشبه ذلك . وأمّا البَخْتُ فقولُهُ إخباراً عن قارون : «إنَّهُ لذو حَظٍّ عظيمٍ »(٥). أي : بَخْت وجَدّ . ومنه : رجلٌ محظوظٌ : إذا كانَ مبخوتاً ومجدوداً .

وأمّا الحَضُّ ، بالضاد ، فهو التحريضُ على طَلَبِ الأشياء ، وفي القُرآنِ من ذلك ثلاثةُ مواضع : في الحاقّةِ (٦) ، وفي سورة أرأيت الذي : « ولا يَحُضُّ على طعامِ المِسكينِ » (٧) ، وفي الفَجر : « ولا يَحُضُّونَ على طعامِ المسكين » (٨) .

الظلم والظلام

وما تصرّف من ذلك بالظاء ، أصلٌ يطّرد ، نحو : « فَقَدْ ظَلَمَ »(٩)، « وما ربُّكَ بظلاّمٍ للعبيد » (١٠) ، و « فنادى في الظُّلُماتِ » (١١) ، و « في ظُلُماتٍ ثلاثٍ » (١٢) ، وما أشبه (١٣) .

(٣) ينظر : الفرق بين الحروف الخمسة ١٨٣ ، الاعتماد ٤١ ، الاعتضاد ٧٤ ــ ٧٥ .
(٤) النساء ١١ .
(٥) القصص ٧٩ .
(٦) الآية ٣٤ . وهي الآية الثالثة من سورة ارايت نفسها .
(٧) الماعون (ارايت) ٣ .
(٨) الفجر ١٨ ، وهي قراءة ابي عمرو . وفي المصحف : «ولاتحاضون» . وينظر في (الحظ والحض) : الفرق بين الحروف الخمسة ١٤٠ ، زينة الفضلاء ٩٨ ، الاعتماد ٣٢ .
(٩) البقرة ٢٣١ .
(١٠) فصلت ٤٦ .
(١١) الأنبياء ٨٧ .
(١٢) الزمر ٦ .
(١٣) ينظر : معرفة الضاد والظاء ٣٢ ، الاعتضاد ٣٨ .

العظم والعظام

وما تصرّف من ذلك بالظاء ، أصلٌ مطّردٌ ، نحو : « وانظُرْ الى العظامِ » (١٤) ، « فخلَقْنا المُضْغَةَ عظاماً فكَسَوْنا العظامَ لَحْماً » (١٥) ، « قالَ مَنْ يُحيِي العِظامَ وهي رَمِيمٌ »(١٦)،وما أشبه ذلك . إلاّ عَضم(١٧) القوس فانّه بالضّادِ . قال الشاعر (١٨) :

قَوَّسَ السَّهْمَ ولم يرمِ بِهِ وعلى العَضْمِ من القَوْسِ قَبَضْ

الظاهِر والظّهر والظُّهر والمُظاهِر

وما تصرّفَ من ذلك < بالظاء > ، أصلٌ يطّردُ ، نحو قوله ، عزّوجلّ : « والظاهِرُ والباطِنُ » (١٩) ، و « مِن ظُهورِهم ذُرِّيّاتِهِم » (٢٠) ، و « ظَهَرَ الفسادُ في البَرِّ والبحر » (٢١) ، و « أَنْ يُظْهِرَ في الأرض الفسادَ » (٢٢) ، و « ياقومِ لكم المُلْكُ اليومَ ظاهِرينَ في الأرض » (٢٣) ، و « تظاهَرونَ عليهم » (٢٤) ، « واتَّخَذْتُموهُ وراءَكُم ظِهْرِيّاً » (٢٥) ،

---

(١٤) البقرة ٢٥٩ . (١٥) المؤمنون ١٤ .

(١٦) يس ٧٨ .

(١٧) في الأصل : عظم ، بالظاء ، وهو سهو من الناسخ . ينظر : الفرق بين الضاد والظاء ٨ ، الفرق بين الحروف الخمسة ١٣٨ ، الاعتماد ٤٦ .

(١٨) لم أقف عليه .

(١٩) الحديد ٣ .

(٢٠) الأعراف ١٧٢ . وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر ، على الجمع . وفي المصحف الشريف : ذريتهم . (ينظر : السبعة ٢٩٨ ، المبسوط في القراءات العشر ٢١٦) .

(٢١) الروم ٤١ .

(٢٢) غافر ٢٦ . (٢٣) غافر ٢٩ .

(٢٤) البقرة ٨٥ .

(٢٥) هود ٩٢ .

و « يَظَّهَّرُونَ من نسائِهِم » (٢٦) » (١٥٢ب) وما أشبه ذلك ، وإن اختلفت معانيه ، فهو كلّه بالظاء إلاّ ضَهْر الجبلِ فانَّهُ بالضاد (٢٧) .

الناظِر والناضِر

فأما الناظِرُ ، بالظاء ، فهو من نظر العين ، نحو قوله ، عزّوجلّ : « ينظرونَ إليكَ نظرَ المَغْشِيِّ » (٢٨) ، « أَفَلَمْ ينظروا » (٢٩) ، و « إلى رَبِّها ناظِرة » (٣٠) ، وما أشبه ذلك .

وكذلك الانتظار ، بالظاء أيضاً ، نحو : « فهل ينتظِرُونَ إلاّ مِثْلَ أيامِ الذينَ خلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فانتظِرُوا إنّي مَعَكُمْ مِنَ المُنتظِرين »(٣١) .

وكذلك الإنظارُ بمعنى التأخير ، نحو قوله : « قالَ رَبِّ فأنظِرْني الى يوم يُبعثونَ قالَ فانَّكَ من المُنْظَرِينَ » (٣٢) .

وأمَّا الناضِرُ ، بالضاد ، فهو الناعِمُ ، وفي القرآن من ذلك ثلاثة مواضع : في القيامة : « وجوهٌ يومئذ ناضِرةٌ » (٣٣) ، أي ناعمة . وأمّا : « الى رَبِّها ناظِرةٌ » (٣٤) فهو بالظاء كما قدَّمته لكَ ، لأنّه مِن نظرِ العين . وفي سورة الإنسان : « ولقّاهُم نَضْرَةً وسُروراً » (٣٥) . وفي المطففين : « تَعْرِفُ في وجوهِهِم نَضْرَةَ النَّعيمِ » (٣٦) . وقد تُسمَّى المرأة ناضِرة ،

---

(٢٦) المجادلة ٣ . وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو ، بغير ألف ، مشددة. وهي في المصحف الشريف : يظاهرون ، بضم الياء ، وهي قراءة عاصم. (ينظر : السبعة ٢٢٨ ، المبسوط ٤٣١ ، الكشف ٢/٣١٣) .

(٢٧) ينظر : الفرق بين الضاد والظاء ١٧ ـ ١٨ ، الضاد والظاء ٣٢٠ ، الاعتماد ٣٩ .

(٢٨) محمد ٢٠ .

(٢٩) ق ٦ .

(٣٠) القيامة ٢٣ .

(٣١) يونس ١٠٢ .

(٣٢) الحجر ٣٦ .

(٣٣) القيامة ٢٢ .

(٣٤) القيامة ٢٣ .

(٣٥) الانسان ١١ .

(٣٦) المطففين ٢٤ .

أي : ناعمة (٣٧) .

اليقظة

وما تصرَّفَ منها بالظاء، أصلٌ يطّردُ . وفي القرآن من ذلك موضع واحد في سورة الكهف : « وتَحْسَبُهُم أيْقاظاً وهمُ رُقُودٌ »(٣٨) .

الظـمأ

وما تصرَّفَ من ذلك بالظاء ، أصلٌ يطّردُ ، وهو للعطشِ ، نحوَ : « بأنَّهُم لايُصيبُهُم ظَمَأٌ ولا نَصَبٌ » (٣٩) ، « وأنَّكَ لا تَظْمَؤُا فيها ولا تَضحَى »(٤٠) .

الحاظِر والحاضِر

(١٥٣أ) فأمَّا الحاظِر ، بالظاء ، فهو المانِعُ . وفي القرآن من ذلك موضعان : في بني إسرائيل : « وما كانَ عَطاءُ ربِّكَ محظُوراً » (٤١) ، أي ممنوعاً . وفي القمر : « فكانوا كهَشِيمِ المُحْتَظِرِ » (٤٢)

ومنه الحَظائِرُ التي تُصنعُ للماشية وغيرِها ، أَصلُها المَنعُ .

وأمَّا الحاضِر ، بالضاد ، فهو الشاهد ، نحو قوله : « إلاّ أنْ تكونَ تجارةً حاضِرَةً » (٤٣) ، « وإذا حَضَرَ القسمة أولُوا القُربى » (٤٤) ، و « حتى إذا حَضَرَ أحَدَهُم الموتُ » (٤٥) ، « وأعوذُ بِكَ رَبِّ أنْ

(٣٧) ينظر : زينة الفضلاء ٩٧ ، الاعتماد ٥٤ .
(٣٨) الكهف ١٨ . وينظر في اليقظة : معرفة الضاد والظاء ٣١ ، زينة الفضلاء ٨٢ ، مختصر في الفرق بين الضاد والظاء ١٠٠ ، الارتضاء ١٥٤ .
(٣٩) التوبة ١٢٠ .
(٤٠) طه ١١٩ . وينظر في الظما : الظاءات في القرآن ٤٣ ، معرفة الضاد والظاء ٣٣ ، الارتضاء ١٣٢ .
(٤١) الإسراء ٢٠ .
(٤٢) القمر ٣١ .
(٤٣) البقرة ٢٨٢ .
(٤٤) النساء ٨ .
(٤٥) النساء ١٨ .

يَحْضُرُونِ » (٤٦) ، وما أشبه ذلك (٤٧) .

الظِّلّ والظُّلة والظِّلال

وما تَصَرَّفَ من ذلك بالظاء ، أصل يطّردُ ، نحو قوله : « أَلَمْ ترَ الى رَبِّكَ كيفَ مَدَّ الظِّلَّ »(٤٨)، «فأخَذَهُم عذابُ يوم الظُّلَّةِ »(٤٩)، « لهم من فَوْقِهِم ظُلَلٌ من النار ومِن تحتِهم ظُلَلٌ » (٥٠) ، و « هُمْ وأزواجُهُم في ظِلالٍ » (٥١) ، وما أشبه ذلك .

ومنه ظَلَّ بمعنى صار ، وفي القرآن تسعةُ مواضع :

في الحجر : « فظَلُّوا فيه يعرجونَ » (٥٢) .

وفي النحل (٥٣) والزخرف : « ظَلَّ وَجْهُهُ مسوداًّ » (٥٤)

وفي طه : « ظَلْتَ عليه عاكِفاً » (٥٥) .

وفي الشعراء : « فَظَلَّتْ أعناقُهُم لها خاضِعين » (٥٦) .

وفيها أيضاً : « فَنَظَلُّ لها عاكِفِينَ » (٥٧) .

وفي الروم : « لظَلُّوا من بَعْدِهِ يكفرون » (٥٨) .

وفي الشورى : « فيَظْلَلْنَ رواكِدَ على ظهرِهِ » (٥٩)

وفي الواقعة : « فَظَلْتُم تَفَكَّهُونَ » (٦٠) .

---

(٤٦) المؤمنون ٩٨ .

(٤٧) ينظر في الحاظر والحاضر : الفرق بين الضاد والظاء ٩ ، الفرق بين الحروف الخمسة ١٤٢ ، زينة الفضلاء ١٠٠ ، الاعتماد ٢٩ .

(٤٨) الفرقان ٤٥ . (٤٩) الشعراء ١٨٩ .

(٥٠) الزمر ١٦ . (٥١) يس ٥٦ .

(٥٢) الحجر ١٤ .

(٥٣) الآية ٥٨ ، وهي آية الزخرف نفسها .

(٥٤) الزخرف ١٧ .

(٥٥) طه ٩٧ . (٥٦) الشعراء ٤ .

(٥٧) الشعراء ٧١ . (٥٨) الروم ٥١ .

(٥٩) الشورى ٣٣ . (٦٠) الواقعة ٦٥ .

وأمّا ضَلَّ بمعنى حارَ فهو بالضاد ، نحو : « ولا الضّالّين » (٦١) ، و « قد ضَلَلْتُ إذاً » (٦٢) ، و « ضَلَّ مَنْ تدعونَ إلاّ إيّاه » (٦٣) ، ومنه : « وقالوا أئذا ضَلَلْنا في الأرضِ » (٦٤) ، لأنّه بمعنى البطلان والذهاب (٦٥) .

الفَظّ والفَضّ

فأمّا الفَظّ ، بالظاء ، فأصلُهُ قساوة القلبِ وغلظ (١٥٣ ب) الطبعِ . وفي القرآن من ذلكَ موضعٌ ، في قوله : « ولو كُنْتَ فَظّاً غليظَ القلب » (٦٦) .

وأمّا الفَضّ ، بالضاد ، فأصلُهُ التفرقةُ والتكسير ، نحو قوله ، عزّ وجلّ : « لانْفَضّوا مِن حولِكَ » (٦٧) ، و « انفَضّوا إليها » (٦٨) ، و « حتى يَنْفَضّوا » (٦٩) ، وما أشبه ذلك .

ومنه : انفضَّ الجيش والجَمْعُ ، وفضَضْتُ خِتامَ الكتابِ (٧٠) .

---

(٦١) الفاتحة ٧ .
(٦٢) الأنعام ٥٦ .
(٦٣) الاسراء ٦٧ .
(٦٤) السجدة ١٠ .
(٦٥) ينظر في ظل وضل : الفرق بين الضاد والظاء ١٨ ــ ١٩ ، الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء ٥١ ــ ٥٣ ، الفرق بين الحروف الخمسة ١٥٢ ، الاعتماد ٣٤ .
(٦٦) آل عمران ١٥٩ .
(٦٧) آل عمران ١٥٩ .
(٦٨) الجمعة ١١ .
(٦٩) المنافقون ٧ .
(٧٠) ينظر في الفظ والفض : الفرق بين الحروف الخمسة ١٥٥ ، زينة الفضلاء ٩٨ ، الاعتماد ٤٩ .

اللفظ

وما تصرّف من ذلك بالظاء ، أصل يطّرد . وفي القرآن من ذلك موضع واحد ، في قوله ، عزّ وجلّ : « ما يَلْفِظُ من قَوْلٍ » (٧١) .

الغَيْظ والغَيْض

فأمَّا الغَيْظُ ، بالظاء ، فهو الامتلاءُ والحَنَقُ ، وهو شِدَّةُ الغَضَبِ ، نحو قوله : « عَضُّوا عليكم الأناملَ من الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بغَيْظِكم »(٧٢) ، « والكاظِمينَ الغَيْظَ » (٧٣) ، و « سَمِعُوا لها تَغَيُّظاً وزَفِيراً » (٧٤) ، « تكادُ تَمَيَّزُ مِن الغَيْظِ » (٧٥) ، وما أشبه ذلك .

وأمّا الغَيْضُ ، بالضاد ، فهو من النقص ، وفي القرآن من ذلك موضعان: في هود : « وغِيضَ الماءُ » (٧٦) ، وفي الرعد : « وما تَغِيضُ الأرحامُ وما تَزْدادُ » (٧٧) .

ومنه : غاضَ الكرام غيضاً ، أي : نقصوا (٧٨) .

الوعظ

وما تَصَرَّفَ من ذلك بالظاء ، أصل يطّرد ، وأَصلُهُ التنبيه والتخويف ، نحو قوله ، عزّ وجلّ : « ذلكَ يُوعَظُ به » (٧٩) ، وقال : « فعِظوهُنَّ »(٨٠) ، و « يَعِظُكم اللهُ » (٨١) ، و « سواءٌ علينا أَوَعَظْتَ أمْ لم تكُنْ من الواعظين » (٨٢) ، وما أشبه ذلك .

---

(٧١) ق ١٨ .
(٧٢) آل عمران ١١٩ .
(٧٣) آل عمران ١٣٤ .
(٧٤) الفرقان ١٢ .
(٧٥) الملك ٨ .
(٧٦) هود ٤٤ .
(٧٧) الرعد ٨ .
(٧٨) ينظر في الغيظ والغيض : الفرق بين الحروف الخمسة ١٦٦ ، زينة الفضلاء ٩٧ ، الاعتماد ٤٨ .
(٧٩) البقرة ٢٣٢ .
(٨٠) النساء ٣٤ .
(٨١) النور ١٧ .
(٨٢) الشعراء ١٣٦ .

وأمَّا قولُهُ ، عزّ وجلّ ، في الحجر : «الذينَ جعلوا القرآن عِضِينَ»(٨٣) فهو بالضاد ، لأنّه بمعنى التفريق ، لأنّهم فرقوه أجزاءً ، وقالوا : هو (١٥٤أ) كهانة وشعر (٨٤) .

الظنّ والضنّ

فأمَّا الظَّنُّ ، بالظاء ، فهو بمعنى العلم واليقين ، نحو قوله : « الذين يظنونَ أنَّهُم ملاقوا ربِّهم » (٨٥) ، « وإذا نَتَقْنا الجبلَ فوقَهم كأنَّهُ ظُلَّةٌ وظنُّوا أنَّهُ واقِعٌ بهم » (٨٦) ، « ورأى المجرمون النارَ فظَنُّوا أنَّهُم مواقعوها » (٨٧) ، « إنِّي ظَنَنْتُ أنِّي ملاقٍ حِسابِيَه » (٨٨) ، « وظَنَّ أنَّهُ الفِراقُ » (٨٩) .

ويكونُ الظّنُّ بمعنى الشكّ والتهمة ، قال الله تعالى : « ما لهم بِهِ من عِلمٍ إلاّ اتباعَ الظَّنِّ » (٩٠) ، و « إنْ نَظُنُّ إلاّ ظَنّاً » (٩١) .

واختلف في سورة التكوير في قوله : « وما هو على الغَيْبِ بظَنينٍ »(٩٢) ، فقُرِىء بالظاء عل معنى التهمة ، وقُرِىء بالضاد على معنى البخيل : « وما هو

(٨٣) الحجر ٩١ . وفي تفسير القرطبي ١٠/٥٩ : (قال ابن عباس : آمنوا ببعض وكفروا ببعض . وقيل : فرقوا اقاويلهم فيه فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة وشعرا) .

(٨٤) ينظر في الوعظ : الظاءات في القرآن الكريم ٢٧ - ٢٨ ، اللسان والتاج (وعظ) .

(٨٥) البقرة ٤٦ .

(٨٦) الاعراف ١٧١ .

(٨٧) الكهف ٥٣ .

(٨٨) الحاقة ٢٠ .

(٨٩) القيامة ٢٨ .

(٩٠) النساء ١٥٧ .

(٩١) الجاثية ٣٢ .

(٩٢) التكوير ٢٤ . قرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي : بظنين ، بالظاء . وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة : بضنين ، بالضاد . (السبعة في القراءات ٦٧٣ ، حجة القراءات ٧٥٢ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/٣٦٤ ، التيسير ٢٢٠) . وينظر : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ٣٧٤ .

على الغَيْبِ بضَنينٍ » ، أي : بخيل (٩٣) .

التَلَظّي

وما تصرف منه بالظاء ، أصل يطّرد ، وفي القرآن منه موضعان : في المعارج : « إنّها لَظَى » (٩٤) ، وفي سورة والليل إذا يغشى : « فأنْذَرتُكُم ناراً تَلَظَّى » (٩٥) . وأصلُهُ اللزوم والإلحاح ، ومنه قوله ، عليه السلام : (أَلِظُّوا بياذا الجلالِ والإكرام) (٩٦) ، أي : ألزموا أنْفُسَكُم بهذا الدعاء.

الكظيم والكظم

بالظاء ، أصل يطّرد ، وأصلُهُ الحبسُ ، قال الله ، عزّ وجلّ : « والكاظِمينَ الغَيْظَ »(٩٧) ، «وابيَضَّتْ عَيْناهُ من الحُزْنِ فهو كظيم»(٩٨).

الشواظ

بالظاء ، أصل يطّرد ، وهو اللهَبُ ، قال الله ، عزّ وجلّ : « يُرْسَلُ عليكما شُواظٌ من نارٍ ونحاسٌ » (٩٩) ، يعني بالنحاس الدخان .

الغلظة

بالظاء ، أصل (١٥٤ ب) يطّرد ، نحو قوله ، عزّ وجلّ : « عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ » (١٠٠) ، وقوله : « واغلُظْ عليهم » (١٠١) ، وما أشبه ذلك .

---

(٩٣) ينظر في الظن والضن : زينة الفضلاء ٩٧ ، الاعتماد ٣٨ ، الارتضاء ١٢٩ ــ ١٣٠ .

(٩٤) المعارج ١٥ . (٩٥) الليل ١٤ .

(٩٦) مسند أحمد ١٧٧/٤ ، سنن الترمذي ٥٠٤/٥ ، مسند الشهاب ٤٠٢/١.

(٩٧) آل عمران ١٣٤ .

(٩٨) يوسف ٨٤ . وينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٣٦ .

(٩٩) الرحمن ٣٥ . (١٠٠) التحريم ٦ .

(١٠١) التوبة ٧٣ . وينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٤٣ .

الظعن

بالظاء ، أصل يطّرد ، وهو السفر بالنساء . واحدتهن ظعينة ، قال الله ، عزّ وجلّ : « تستخِفّونَها يومَ ظَعْنِكُم ويوم اقامتِكُم » (١٠٢) . والسفرُ ضدُّ الإقامة .

الحفظ والحفيظ والمحافظة

وما تصرّف من ذلك بالظاء ، أصل يطّرد ، والحفظُ ضدّ النسيان ، قال الله ، عزّ وجلّ : « حافظوا على الصَّلَواتِ » (١٠٣) ، وقال : « وما أُرْسِلوا عليهم حافظين » (١٠٤) ، و « في لوحٍ محفوظٍ »(١٠٥) ، وما أشبه ذلك (١٠٦) .

فهذا جميع ما وقع في كتاب الله من الظاء والضاد ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلواته على خاتم النبيين ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وسلّم تسليماً الى يوم الدين .



(١٠٢) النحل ٨٠ .
(١٠٣) البقرة ٢٣٨ .
(١٠٤) المطففين ٣٣ .
(١٠٥) البروج ٢٢ .
(١٠٦) ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٣٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم

اللواء الركن محمود شيت خطاب
(عضو المجمع)

عني الأستاذ محمد مصطفى محمد بجمع الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم وترتيبه بموجب الموضوعات التي تفصّلها آيات الذّكر الحكيم ، فجاءت في كتاب عَدَدُ صفحاته (٥٤٦) صفحة من القطع الكبير ، طبعته وزارة الأوقاف ونشرته بين الناس ضمن مطبوعاتها العلمية والتاريخية القيمّة ، فكان لصدوره وقع طيب في نفوس العرب والمسلمين ، لأهمية الكتاب أولاً ، ولنفاسة موضوعه .*

وحسبى أن أدلّل على إقبال القراء على اقتنائه أنّه طبع طبعتين : الأولى طبعة (١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) ، والثانية طبعة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ، خلال سنتين من عمر الزمن ، وهو عمر قصير بالنسبة لنشر الكتب وتوزيعها ونفادها ، وبخاصة أن فنّ توزيع الكتب في العراق وخارجه بحاجة إلى تطوير جذري ، يتيح للقارىء العراقي والعربي والمسلم ، اقتناء الكتاب الذي يريد اقتناءه في الوقت المناسب لا بعد فوات الوقت المناسب ،ومرور وقت طويل على صدور الكتاب ، دون مسوِّغ معقول .

وكان المستشرق الفرنسي (جول لابوم) قد صنع كتاباً بعنوان : (تفصيل آيات القرآن الحكيم) وكتبه بالفرنسية ، فنقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، الذي سبق له نقل كتاب : (مفتاح كنوز السُنّة) في سبعة مجلدات من القطع الكبير – من الفرنسية إلى العربية أيضاً ، ووضع كتاب : (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) فطبع المعجم عشرات الطبعات في مختلف الدول العربية والإسلامية ، فأسدى بما ترجم وما ألّف فضلاً عظيماً لاينُسى على الدراسات القرآنية الحديثة ، يُقِرّ بها كلّ عربي ومسلم اعترافاً بالجميل ، لأنّ عمله من خير الأعمال وأجداها على الكُتّاب والمؤلفين والباحثين .

إنّ الذي كان يحاول الكتابة عن أحد أركان الإسـلام الخمسة ، أو الأنبياء ، أو مبدأ التسامح في الإسلام ومبدأ المساواة ، أو النظر إلى خَلْق الله . . . مما يُحبّ : الكاتب أن يقتبس فيه من الكتاب والسنّة ، يصعب عليه استيعاب الآيات والأحاديث الواردة في تلك الموضوعات ، فأصبح بالكتب التي ترجمها الاستاذ المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي يستطيع أن يلمّ في مجال واحد بكلّ ما يودّ أن يقرأه عنه من الآيات والأحاديث بسهولة ويُسر .

وحين صدر كتاب : (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) واطلّع عليه الشيخ المرحوم محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار قال : « لو صدر هذا الكتاب ، وأنا في مقتبل عمري ، لاختصرت ثلثي عمري ، ولتضاعف إنتاجي أضعافاً مضاعفة » .

وقد فرحت بصدور كتاب : (الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم) فرحاً لامزيد عليه ، لفائدته العظيمة أولاً ، ولأنني بعد دراسته بامعان ، وجدت أنّ المؤلفّ العربي المسلم تفوّق في كتابه الجديد ، على المستشرق الفرنسي في التبويب والتفصيل والموضوعية والفهم الدقيق لمعاني القرآن ، الذي لابد أن

يتميّز فيه العربيّ المسلم ، على غير العربيّ وغير المسلم ، من المستشرقين وغيرهم ، فأهل مكـة أدرى بشعابها ، كما يقول المثل العربي القديم ، وكما يقرره المنطق السليم والواقع ، ولكن ياليت قومي يعلمون .

إنّ كتاب المستشرق الفرنسي : (جول لابوم) ، وهو : (تفصيل آيات القرآن الحكيم) ، مقسّم إلى ثمانية عشر باباً هي : التاريخ محمد صلى الله عليه وسلّم ، التبليغ ، بنو إسرائيل ، التوراة ، النصارى ، مابعد الطبيعة ، التوحيد ، القرآن ، الدين ، العقائد ، العبادات ، الشريعة ، النظام الاجتماعي ، العلوم والفنون ، التجارة ، علم تهذيب الأخلاق .

وتحت كلّ باب من هذه الأبواب فروع تبلغ عدّة جميعها (٣٥٠) ، وتحت كل فرع جميع ما ورد من آيات التنزيل .

أما كتاب : (الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم) ، فيفضّل على تفصيل أبواب كتاب : (تفصيل آيات القرآن الحكيم) . وتفصيل فروعه ، وعدد الآيات الواردة في كلّ فرع ، ووضع الآيات المناسبة في شرح الموضوع المناسب وسيرد تفصيل ذلك وشيكاً إن شاء الله .

المؤلف

مؤلف هذا الكتاب ، هو محمد بن مصطفى بن محمد الموصلي ، من مواليد (١٣٣٠ هـ – ١٩١١ م) في مدينة الموصل الحدباء أم الربيعين ، وكان والده يعمل في بيع الأقمشة بزّازاً ، وقد حفظ والد المؤلف القرآن الكريم في شبابه ، وكان ماهراً في معرفة مواضع الآيات القرآنية في سورها ، وكان يجيب سائله عن أيّة آية أو آيات فوراً : إنّ هذه الآية أو هذه الآيات وردت في السورة الفلانية ، فكان قوله الفصل في الموصل . وقد سافر والد المؤلف لأداء فريضة الحج سنة (١٣٢٧هـ) فالتقى العلماء الأعلام في الديار المقدسة ، ودرس على قسم منهم ، ومنح الإجازة العلمية من الشيخ

محمد عبد الحق الله آبادي ، وكان قبل سفره للحج ، قد أخذ الإجازة العلمية من شيخ شيوخ الموصل العلامة الجليل التقى النقى الشيخ الحاج محمد بن الحاج عثمان الرضواني .

وختم المؤلف القرآن الكريم على والده منذ صغره ، وداوم في المدرسة الإسلامية في الجامع الكبير بالموصل (الجامع النوري) سنة ١٩٢٠ م . وكان مدير هذه المدرسة العلامة الشيخ الجليل عبد الله النعمة ، وبقي في هذه المدرسة إلى بعد انتقالها من الجامع الكبير إلى بناية مدرسة حسن باشا الجليلي سنة ١٩٢٤ .

وانقطع المؤلف عن دراسته في المدرسة الإسلامية بعد وفاة والده سنة ١٩٢٧ ، إذ لم يتيسرّ له الاستمرار في الدراسة ، لأنّه أصبح المعيل لذويه ، فشغل بأمور العمل لكسب الرزق ، عن أمور الدراسة والعلم .

ولكنه ظل ملازماً للشيخ عبد الله النعمة ولآل النعمة ، وهم بيت علم ودين وورع في الموصل ، حتى حسبه مَنْ لايعرف نسبه أنّه من بيت آل النعمة ، لاتصاله المباشر بهم باستمرار ودون انقطاع .

وانخرط المؤلف في مسلك الجيش جندياً كاتباً ، ثم تدرّج في الرتب العسكرية والمناصب ، حتى أصبح رائداً في الجيش العراقي ، وتولى أخطر المناصب : المسئول عن ملفّات الضباط ، مما يدلّ على ألمعية ذكائه ، فاخترق حجاب المراتب إلى سلك الضباط ، وتولى أخطر مناصب الضباط ، التي تدلّ على تمسّكه بالخلق الكريم ، وعلى رأسها الكتمان ، وإلاّ لما تولىّ مسئولية ملفّات الضباط التي تعجّ بأخطر الأسرار ، والتي لا تُسلّم إلاّ لضابط ألمعي الذكاء يتحلى بأعلى درجات الكتمان .

وخدم المؤلّف الجيش العراقي نحو سبع وعشرين سنة خدمة صادقة ، وقد عايشته في الجيش حين كان ضابطاً في إدارة الضباط ، فكان

مثالاً للضابط المخلص الأمين ، وحين اعتزل الجيش لأسباب مرَضيِة سنة ١٩٥٧ ، قوبل اعتزاله بحزن الضباط وأسفهم ، لأنّهم فقدوا في تقاعده ضابطاً مخلصاً أمينا ، خدم الجيش خدمة لاتُنسى وترك فراغاً في تقاعده يصعب على غيره أن يملأه .

لقد ورث المؤلف عن والده حبّ القرآن والفناء في حبه ، وورث عن الشيخ عبد الله النعمة فهم تفسير القرآن فهماً عجيبا . والذين سمعوا الشيخ النعمة خطيباً يوم الجمعة وواعظاً في رمضان ، في جامع الباشا في الموصل وفي داره أسبوعياً ، لابدّ أنهم يذكرون أنّ فهمه العجيب لتفسير القرآن ، يجعل سامعيه كافة ، يعتقدون حين يصغون إليه خطيباً أو واعظا ، كأن تفسير القرآن الكريم يتنزّل عليه تنزيلا ، فهو يدخل تفهّم التفسير في ذهن الجاهل الذي لايقرأ ولا يكتب ، كما يدخله في ذهن العالم النحرير ، والجاهل والعالم يدهشان بتفسيره ، ويعجبان بتفهمه وتفهيمه .

إنّ المؤلّف رضع حبّ القرآن وإجلاله في داره ، وتلقى تفسيره وفهمه عن الشيخ المفسرين في أيامه ، شيخ العلماء وعالم الشيوخ ، العلامة عبدالله النعمة ، عليه رحمة الله .

الكتاب :

باشر المؤلف في جمع وترتيب الآيات القرآنية بعد عودته من الحج سنة ١٩٦٩ ، وانتهى من إعداد كتابه في أوائل سنة ١٩٧٣ .

وتمت الموافقة على طبعه سنة ١٩٧٣ ، ولكن بعض المعوقات حالت دون طبعه في حينه ، فبقى إلى نهاية سنة ١٩٨١ ، حيث طبعته وزارة الأوقاف والشئون الدينية على نفقتها وأصدرته للناس ، فنفدت طبعته الأولى في داخل العراق خلال عام واحد من صدوره ، فصدرت طبعته الثانية بعد سنة من صدور طبعته الأولى ، فتلهّف الناس على اقتنائه في العراق وخارجه في بلاد العرب والمسلمين وفي بلاد غيرهم أيضاً .

وهذا الكتاب مقسّم إلى العقائد ، وتشمل : الإيمان ، علم الغيب ، الحروف الواردة في أوائل السّور ، كلمات الله ، الأجل ، الرزق ، الهدى والضلالة ، الشّفاعة ، طاعة الله ورسوله وأولي الأمر ، الاستجابة لله ورسوله ، التوبة والاستغفار ، عدم القنوط واليأس من رحمة الله ، الملائكة ، الجنّ ، الشيطان .

ثم يليه باب الوحي إلى الأنبياء والمرسلين وغيرهم ، وتصوير بعض حالات الوحي : الكتب والصحف المنزلة على الأنبياء والمرسلين ، نزول القرآن على النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، واسطة النزول ، بدء نزول القرآن ، تنجيم القرآن (نزوله مفرقاً) ، حفظ القرآن ، النّاسخ والمنسوخ ، المحكم والمتشابه (تفصيل القرآن ، التأويل) ، القرآن وتسميته بالكتاب والذكر والفرقان ، وذكر صفات أخرى له ، القرآن عربي ، تحدّى مَنْ كذّب أن نزول القرآن من عند الله .

ويليه باب الرسالات وفيه : الرسل والأنبياء وطبيعة رسالاتهم ووعد الله لهم بالنصر ، تفصيل بعض الرسل والنبيين على بعض ، أخذ الميثاق ، اصطفاء الله منْ يشاء من عباده ، الأنبياء وتلقّي علومهم من عند الله تعالى ، إيتاء الرسل والأنبياء آيات بينّات ، رسالة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلّم ، بيان ما أنزل الله إليه وتعليم الناس الكتاب والحكمة ، الدعوة (البلاغ) ، إرساله شاهداً ومبشراً ونذيرا ، خلقه وتكريمه وصفاته ، ذكره في التوراة والإنجيل ، معرفة أهل الكتاب له وللكتاب الذي جاء به ، تكذيب المشركين له وردّ القرآن عليهم ، تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلّم كان عناداً ، إثبات كونه كان أميّاً ، تعرّضه للنسيان أحياناً ، الاستعاذة ، حزنه وضيق صدره أحياناً وتسليته على ذلك ، ما عوتب به صلى الله عليه وسلّم ، نهيه عن طاعة الكافرين والمنافقين واتّباع أهوائهم ، نهيه أن يكون للخائنين خصيما ، دحض افتراءات الذين يقولون إنّ القرآن

من قول النبي صلى الله عليه وسلّم ، ما أُوحي إليه من أخبار السابقين وأخبار قصة أهل الكهف ونهيه عن المراء فيهم إلاّ مراءً ظاهرا ، الرسول لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا ، الرسول لايهدي منْ يحبّ ولكنّ الله يهدي مَنْ يشاء ، حثه على الصّبر مع الذين يريدون وجه الله وخفض جناحه للمؤمنين ، لا إكراه في الدين ، الذين آمنوا والذين هادوا والصّائبون والنصارى ، شرائع مَنْ قبلنا من الرسل والأنبياء .

ثم يلي هذا الباب ، باب يوم القيامة ، وفيه : الحثُ على الإعداد ليوم القيامة ، المؤمنون الذين يعملون الصالحات وما أُعِدّ لهم من نعيم في الآخرة ، ابتلاء المؤمنين واختباره درجة صدقهم وإيمانهم ، المنافقون ، المشركون ، الكفر وصفات الكافرين ووعيدهم ، البرزخ ، أشراط السّاعة ، المعاد (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) ، يوم القيامة (أسماؤه) ، يوم القيامة (مقدماته وأحداثه) ، النفخ في الصور والصيحة ، والحشر ، حال الناس يوم الحشر ، الخلق يوم القيامة أزاوجاً ثلاثة ، يوم القيامة (الحساب والجزاء) ، الجنّة ، الأعراف ، النار (جهنّم) .

ويلي هذا الباب الذي فصّلنا مضمونه ، باب آخر ، هو باب : في العلم والعلماء ، وفيه : العلم الرّباني ، تفضيل آدم على الملائكة بالعلم ، استحباب الرحلة لطلب العلم ، رفعة العلماء ، وجوب الاسترشاد بالعلماء ، مشروعية الاستنباط ، الوعظ والإرشاد ، فراسة المؤمن ، مايصيب مَن علم علماً فكتمه ، الحثّ على التعلّم والتعليم ، المناظرة في العلم ، النهي عن المجادلة بغير علم ، النّهي عن اتّباع أشياء غير متأكّد من صحّتها ، الذي يُولّى أمراً يجب أن يكون عارفاً به ، تعليم الحيوانات والطيور ، المجادلة بالباطل استوجبت عقاب الله ، ذم الجدل والمراء ، الحثُ على تعلّم السنين والحساب .

ويلي الفصل الفائت ، فصل : أركان الإسلام ، وفيه : الركن الأول (النطق بالشهادتين) ، والركن الثاني (الصلاة) وفي ركن الصلاة وردت

التفاصيل التالية : الطهارة (الماء طاهر في نفسه مطهِّر لغيره ، الحثّ على الطهارة من النجاسة ، الاستنجاء ، ما ورد في النجاسات ، الوضوء ، نواقض الوضوء ، الغسل ، التيمّم ، جواز التيمّم مع وجود الماء عند خوف الضرر ، الدعوة الى الصلاة وإقامة الصّلاة ، الحثّ على المشي إلى المساجد ، القبلة في السفر وفي مَنْ صلى بالاجتهاد إلى القبلة ، فرضية الصّلوات الخمس ، صلاة القصر ، صلاة الخوف ، النداء لصلاة الجمعة وصلاة الجمعة ، الآيات التي أشارت إلى الصّلوات الخمس ، المحافظة على الصّلاة في أوقاتها ، الحثّ على المبادرة إلى الصّلاة بأول وقتها ، أفضلية المتقدمين في الصف الأول في الصّلاة وفي القتال ، القيام في الصلاة والنهي عن الكلام فيها ، التوجه للصّلاة ، تكبيرة الإحرام والتكبيرات في الصّلاة ، دعاء الاستفتاح والثناء ، القراءة في الصّلاة ، الركوع والسُّجود ، الإشارة إلى الأعضـــاء السّبعة التي يسجد عليها الإنسان ، التّشهّد والصلاة على النبي والتسليم ، جواز البكاء من خشية الله ، العمل القليل لضرورة لايبطل الصّلاة ، صلاة مَنْ رقد عن الصّلاة أو غفل عنها ، المريض يصلّي حسب طاقته ، الصّلاة في البيت ، صلاة الجماعة ، صلاة النوافل ، آيات عامة في الصّلاة ، في المتهاونين في الصّلاة ، في المشركين الذين تابوا وأقاموا الصّلاة . العهد إلى بني إسرائيل باقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة ، الصّلاة من الربّ بمعنى الرحمة ومن العبد بمعنى الدعاء ، دعاء سيدنا إبراهيم في الصّلاة ، وصية لقمان لابنه باقام الصلاة ، ثم يرد تفاصيل ماجاء في القرآن عن السجود ، ويليه تفاصيل ماورد عن الدعاء والأذكار .

ويتلوه تفاصيل الركن الثالث من أركان الإسلام ؛ الزكاة ، وتشمل : الأمر بايتاء الزكاة ، والحثّ على عدم التباطؤ في إيتاء الزكاة ، وزكاة عامة في الإبل والبقر والغنم وغيرها ، زكاة الثمار ، زكاة الفطر ، بيان مصارف الزكاة وفرضيتها ، وجوب إخراجها من الطيّب ، مايصيب مانع الزكاة من سخط الله وعقابه ، آيات عامة في الزكاة ، أخذ العهد

والميثاق على بني إسرائيل باقام الصّلاة وإيتاء الزكاة ، في المشركين الذين تابوا وآتوا الزكاة ويلي ذلك : الإنفاق ، ويشـــمل : الأمر بالإنفاق من الطيّب ، الإنفاق في سبيل الله يضاعف أضعافاً مضاعفة ، الإنفاق من الفضلة عن العيال ، الإعتدال في الإنفاق ، في هبة الثواب (يعطى هدية ليعطى له أكثر) ،آيات عامة في الإنفاق والصدقة ، الأضحية ، في إنفاق المشركين والمنافقين .

ويتلوه الركن الرابع ، وهو الصّوم ، وفيه : فرضية الصّوم ، شهر الصِّيام ، تثبيت ابتداء الشهر وانتهائه ، وقت الإمساك ووقت الإفطار ، الرخصة بالإفطار للمريض والمسافر ، الذي رخّص لهم الفطر وعليهم الفدية ، صوم التطوّع ، عموم آيات الصّوم ، ليلة القدر .

ويتلوه الركن الخامس ، وهو الحج ، وفيه : فرضية الحج ، عدم التراخي في أداء فريضة الحج ، الوقت الزمني للحج ، المواقيت والإهلال ، النية والتلبية ، مانهي عنه في الحج ، استحباب تزودّ الحاج بما يحتاجه في السّفر ، الطّواف حول الكعبة والتعبد فيها ، الحرم مأمن ، ركعتا الطّواف البدء بالسّعي من الصَّفا ، السّعي بين الصَّفا والمروة في الحج والعُمْرة ، إباحة التجارة وسائر أنواع المكاسب ، وجوب الوقوف في عَرفة والإفاضة منها ، ذكر الله عند المشـــعر الحرام ، الإفاضة من مُزدلفة إلى مِنَى ، التكبير أيام التشـــريق ، نحر الهدى للمتمتع بالعمرة إلى الحج ، نحر الهدي للمُحْصَر ، نحر الهدي المساق مع الحاج ، الفدية لمن كان مريضاً أو به أذى من رأسه ، الحلق أو التقصير بعد النّحر ، كفارة قتل الصيد للمُحْرِم ، رمي الجمرات والحلق والذبح ، إيفاء النَّذر ، طواف الإفاضة ، عموم الآيات الواردة في الحج .

ويلي هذه الأركان ، باب الجهاد ، وفيه : فرضية الجهاد ، الجهاد فرض كفاية ، السَّماح لطلبة العلم بالتخلّف عن الجهاد ، وجوب النفير العام واشتراك الجميع ، في الجهاد عند الحاجة ، المعفّوون من الجهاد ،

لله جنود السموات والأرض ، إمداد رسول الله والمؤمنين بجنود لم يروها ، الإمداد بالملائكة ، تحريم الفرار يوم الزحف ، العدد الذي لايجوز الفرار منه ، وجوب الاستعداد للقتال ، الإشارة للمدخرات الحربية ، عمل الدروع ، جواز التغرير بالنفس في الجهاد (الفداء) ، الشهداء أحياء عند ربّهم ، الذين يحاربون هم جميع المشركين شروط الحرب (بلوغ الدعوة) عدم جواز خرق سفينة الكفّار إذا كان فيها أسـرى مسلمون ، الجهاد أفضل نوع التطوّع ، وجوب التثبّت ، من هُوِيَّة المراد مقاتلتهم ، الهدنة ، الأسرى والمنّ عليهم أو الفداء ، أسرى بدر ، إطعام الأسرى من الكفار والمشركين ، الجزية من أهل الكتاب ، النهي عن إذاعة الأنباء قبل التأكد من صحة النبأ ، توسّع رقعة الإسلام ، الإذن بالقتال ، قتال المشركين والكفار ، آيات عامة في القتال ، الحثّ على الجهاد ، جهاد الكفّار بالسيف وجهاد المنافقين باللّسان ، في المرابطة على الثغور ، في الخيل وفيها أفضلية القتال في الصّباح ، في التّحصين ، في الملاجىء ، استخدام الطير في نقل البريد ، القتال في الأشهر الحُرم وعند المسجد الحرام ، العهود في ذم الذين ينقضون العهد ، إباحة نبذا العهد لمن يتوقّع منهم غائلة مكر وأنه يُعلمهم بذلك ، عقد أمان ، الغنائم ، الفيىء .

ويليه باب الهجرة والغزوات ، وفيه : التآمر على النبي صلى الله عليه وسلّم في مكة ، هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، سرية عبد الله ابن جحش . غزوة بدر الكبرى . غزوة بني قينقاع ، غزوة أُحد ، غزوة حمراء الأسد ، غزوة بني النضير ، غزوة بدر الثانية ، غزوة الخندق ، غزوة بني قُرَيظة ، الحُديبيَّة وبيعة الرضوان ، غزوة خَيبر ، غزوة تبوك ، فتح مكة . حُنَيْن والطّائف .

وفي باب الجنايات يرد تفصيل جريمة قتل النفس وعقوبتها : قتل العَمْد ، قتل الخطأ ، تحريم قتل النفس إلاّ بالحق ، تحريم الانتحار ، تحريم قتل

الأولاد من إملاق وخشية الإملاق ، تحريم وأدِ البَنات ، ثم تفاصيل جرائم الحدود : الخمرة والتدرج في تحريمها،جريمة الزنا وعقوبتها ، حكم العبيد في هذه الفاحشة ، جريمة اللّواط والسّحاق وعقوبتهما ،جريمة قذف المحصنات ، جريمة السرقة وعقوبتها ، جريمة الردّة وعقوبة المرتد ، جريمة الحرابة (قطع الطريق) وعقوبتها ، جريمة البغي .

وفي باب الطاعات : بر الوالدين ، صلة الأرحام والنهي عن قطعها ، الوصية بالجار ، مشروعية السلام ووجوب ردّه ، الاستئذان ، التفسح في المجالس ، الكلمة الطيبة ، القول الحسن والمعاملة بالحسنى، الإعراض عن اللّغو ، التّواصي بالمرحمة ، الاستقامة ، الصبر ، الصدق والصّادقين ، العفو والصفح ، الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ، وصية لقمان لابنه، الاعتصام بحبل الله .

وفي باب مانهي عنه : تحريم الميسر والأنصاب والأزلام ، السّحر كفر ، النهي عن الإيمان بالجبت والطاغوت والكهانة ، النهي عن تغيير خلق الله ، تحريم السُّخرية والظن بالسوء والتجسس والغيبة والنميمة . والطعن بالناس وأظهار عيوبهم ، تحريم أكل السُّحْت (المال الحرام) ، النهي عن النجوى بالإثم ، ذمّ أهل البدع ، النهي عن التفرّق ، تحريم أذى المؤمنين ، تحريم التكبّر والخيلاء ، تحريم الفواحش والبغي ، المستهزىء جاهل ، ما يصيب ذا الوجهين ، النّهي عن الإصغاء إلى الأخبار غير الموثوق بصحتها ، النهي عن البخل ، النّهي عن سبّ آلهة المشركين ، النهي عن الجهر بالسوء من القول ، النهي عن البهتان ، النهي عن نصر الكفار واتخاذهم أولياء والركون إليهم ، النهي عن اتباع هوى النفس .

ويليه باب : الاجتماعيات (الأحوال الشخصية) ، وفيه : مشروعية النكاح ،الترغيب في الزواج ، النهي عن الانقطاع عن الزواج للقادر عليه ، ما يفعله مَنْ لايملك نفقة ، المحرمات من النساء تحريماً مؤبداً بسبب النسب

والمصاهرة والرضاعة ، المحرمات بسبب موانع أخرى وقتية ، تحريم الجمع بين الأختين ، يحرم على الرجل أن يبقى في عصمته أكثر من أربع زوجات ، تحريم نكاح زوجة الغير ، تحريم نكاح المعتدة قبل قضاء العدّة ، تحريم نكاح المشركة والمشرك ، تحريم إبقاء المسلمة في عصمة غير المسلم والإمساك بعصم الكوافر ، تحريم نكاح الزاني والزانية قبل التوبة ، تحريم زواج الخدن ، المطلقة ثلاثاً لاتحل لزوجها المطلّقةمنهحتىتنكح زوجاً غيره ، الخطبة ، أخذ رأي المرأة في زواجها ، الولاية شرط في صحة العقد ، لاولاية لغير المسلم في زواج المسلمة ، المهر ، عقد الزواج ، نكاح المحصنات من المؤمنات ومن الذين أوتوا الكتاب ، نكاح الإماء المؤمنات ، لاحرج في نكاح أزواج الأدعياء اذا قضوا منهنّ وطرا ، قوامة الرجل ، الانفاق على الزوجةوالأولاد ، حسن المعاشرة بين الزوجين ، حق الزوج على زوجته ، حق الزوجة على زوجها ، إتيان الرجل زوجته ، حرمة التكلّم بما يجرى بين الزوجين أثناء المباشرة ، إسقاط الحمل ، تأديب الزوجة عند النشوز ، الإصلاح بين الزوجين . الزوج مكلّف بأن يمسكزوجته بمعروف أو يطلّقها باحسان ، التخيير ليس طلاقاً ، الطّلاق قبل الدخول ، الطلاق الرجعيّ ، الطلاق البائن ، وجوب الإشهاد على الطلاق والرجعة . مدة الايلاء وطلاق الإيلاء ، الخلع وحرمة الإساءة الى الزوجة لتختلع ، الظهار وكفارة الظهار ، اللعان يوجب التفريق بين المتلاعنين .

وتأتي بعد ذلك تفاصيل العدّة . وهي جزء من الباب السابق . وفيه عدّة المطلّقة من النساء اللاتي يحضن . عدّة المطلّقة من اللائي يئسْن من المحيض واللّائي لم يحضن ، عدّة المتوفى عنها زوجها . عدّة الحامل ، لاعدّة للمرأة غير المدخول عليها . لزوم المعتدة من طلاق رجعي أو بائن بينونة صغرى . بيت الزوجية . مدة الحمل ومدة الرضاعة ، أجرة الرضاعة ، أجرة الحضانة . ستر العورة ، الزينْة ، النّهي عن التبرج ، عموم الآيات التي وردت في النّكاح والطّلاق والعدّة والرّضاعة .

ثم يأتي باب : مصيبة الموت (الجَنائز – الوصية – الفرائض) : سكرة الموت ، الاسترجاع عند المصيبة ، غسل الميت، الإشارة إلى تكفين الميت ، حمل الميت على النّعش ، وجوب دفن الميت ، الوصّية والدّين ، تحريم الإضـــرار بالوصية ، تغليظ الدين واستحباب المبادرة إلى قضـــائه عن الميت ، الوصية للأقارب الذين لايرثون ، الفرائض ، ولد الملاعنة يرث أمه وترثه ، أما الأب فلا وراثة بينهما ، أموال اليتامى ، الحجر .

ثم يرد باب : المعاملات ، وفيه : التجارة والبيع والتسليف والكسب ، الرّهن ، إنظار المعسر، تحريم شراء المغصوب والمسروق ومنع بيع العنب لمن يتّخذه خمراً وبيع السّلاح في الفتنة ، الصلح ، الربا ، الكيل والميزان ، الإجارة ، رضا العاقدين ، الوكالة ، العادية (إباحة المالك منافع ملكه لغيره بلاعوض) ؛ الأمانة ، الغصب إسترداد المغصوب ، الكفالة (الضمان)، الجعالة (المكافأة) ، الشركة ، الهبة ، اللقطة ، القرعة ، أداء الشهادة ، تحريم كتمان الشهادة عَدلت شهادة الزور الإشراك بالله ، الإشهاد في الوصّية ، الأيمان .

ويتلوه باب الأطعمة ، وفيه : ماأُحِلّ من الأطعمة ، وجوب التّسمية عند الذّبح، جواز إطعام المشركين، ما حُرِّم من الأطعمة ، إباحة أكل ما حُرِّم عند الاضطرار ، تحريم تناول المواد السّامة ، الصيد .

ويرد بعده باب العمل والعمال والمصانع وفيه : العمل والعمّال ومشاركة الرسل والأنبياء بالعمل ، الحث على العمل وإعمار الأرض ، ما ورد عن المصانع والصناعات والحرف .

ويأتي بعده باب : تكريم الله تعالى للانسان وفيه : الله تعالى كرّم الانسان وسخّر له ما في السموات وما في الأرض ، الإنسان (حاله وأوصافه) وحال أكثر الناس .

ويختم كتابه بهذه الفصول : الإسلام والمرأة ، الإسلام والرق ، الأمثال في القرآن ، الرسل والأنبياء وقصصهم مع أقوامهم ، والقصص والتاريخ ، وتفاصيل هذه الأبواب في هذا الكتاب .

المقارنة بين كتاب المستشرق وكتاب العربي المسلم

(١). تفصيل آيات القرآن الكريم للمستشرق — الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم للعربي المسلم

	تفصيل آيات القرآن الكريم للمستشرق	الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم للعربي المسلم
الأبواب	١٨	٢٣
الفروع	٣٥٠	٤٧٤

٢). من المقارنة بين أبواب الكتابين ، كما في الفقرة (١). أعلاه ، نجد أن أبواب الكتابين غير متساوية عَدداً ، وكتاب المستشرق أقل من كتاب العربي المسلم بخمسة أبواب ، ولكن ترتيب الأبواب في الكتابين مختلفان اختلافاً كبيرا ، فالأول يبدأ بالتاريخ ، ثم تكون الأبواب الأولى التي تعتبر الأبواب في كتاب المستشرق حول : بني إسْرائيل ، والتوراة ، والنصارى ، وما وراء الطبيعة ، أمّا في الثاني فتبدأ أبوابه بباب الوحي ، الوحي والإيمان والوحي والرسالات ويوم القيامة والعلم والعلماء وأركان الإسلام ثم تتسلسل أبواب الكتاب . كما جاء تفصيلها في بحث : (هذا الكتاب) .

ومن الواضح جداً ، أن تسلسل أبواب كتاب المستشرق رتّب أسبقيتها على ما يعُنى به أمثاله من المستشرقين ومن الدارسين في الغرب غير المسلمين ، ولو أنّها تفيد العرب المسلمين من الدارسين والباحثين أيضاً .

أما تسلسل أبواب كتاب العربيّ المسلم ، فقد رتبت أسبقيتها على ما يهتم به العرب والمسلمون . ومن الدارسين في الوطن العربيّ وفي دار الإسلام ، ولو أنها تفيد غير العرب والمسلمين من الدارسين والباحثين أيضا .

إن الكتاب الأول ألفه أجنبي غير مسلم . والثاني ألفّه عربي مسلم أصيل ، وهذه الحقيقة يمكن اكتشافها حتى ولو صدر الكتابان غفلاً من أسماء

المؤلّفين ، فاسلوب التبويب ينم على المؤلف بوضوح وجلاء ، وسهولة ويسر :

(٣). قسم من الآيات الموضوعة في حقول فروع كتاب المستشرق ، بعيدة عن المعنى المقصود ، وهذا واضح جليّ تجده في كل فرع من فروع أبواب كتاب المستشرق .

بينما وضعت الآيات المناسبة تحت عنوان الفرع المناسب في أبواب كتاب العربي المسلم ، وهذا يدل على أنّ المستشرق على الرغم من ثقافته العالية وتمرّسه في التأليف ، لايفهم القرآن كما ينبغي .

بينما العربيّ المسلم يفهم القرآن فهماً متميزاً ، على الرغم من ثقافته المتواضعة وعدم تمرّسه في ميدان التأليف .

إنّ العربي المسلم يفهم القرآن حقّ الفهم ، أفضل مما يتفهمه غير العربي المسلم ، وهذا هو الواقع الذي لايتحمل المراء .

(٤). إنّ كتاب المستشرق ، يدلّ على أنّ مؤلفّه محترف تأليف ، يريد بتأليفه خدمة الفكر والتميّز بالتأليف ، بينما كتاب العربي المسلم يدلّ على أنّ مؤلفّه أراد بتألفيه وجه الله وحده ، عن طريق خدمة الدراسات القرآنية بتأليف جديد ، يفيد العرب والمسلمين ، كما يفيد غير العرب والمسلمين على حدّ سواء .

(٥). إنّ عناوين أبواب وفروع (فصول) كتاب المستشرق غير ملتزمة بمصطلحات الفقه الإسلامي ومصطلحات الفقهاء الفقهية ، بينما عناوين أبواب وفروع (فصول) كتاب العربيّ المسلم ملتزمة يمصطلحات الفقه الإسلامي ومصطلحات الفقهاء الفقهية .

وليس التاريخ أسبق عناوين أبواب موضوعات القرآن الكريم ، لأنّ القرآن ليس كتاب تاريخ ، بل كتاب هداية ، فالعقيدة أسبق عناوين موضوعاته كما فعل العربي المسلم في تبويب كتابه فنجح وتميّز بالنجاح ،

لاكما فعل المستشرق في تبويب كتابه ، فأخفق في تبويبه ، لأنّ تبويبه إذا ناسب كتاباً من كتب البشر ، فلايناسب كتاباً أنزله رب البشر .

وإن تعجب ، فعجب أن يصنع ضابط نشأ جندياً وتدّرج في مسلكها حتى أصبح ضابطاً ، أجبرته معضلات الحياة على التفرغ لمسلك الجندية ، بعيداً عن مجالات العلم والمدارس ، ليعيش وينفق على مَن يعول ، لأنه لم يجد مَن ينفق عليه وعلى أهله ، فعمل ليعيش ويعيشوا ، أن يتفوق هذا الذي ابتعد عن العلم ومناهل العلم مُكرهاً لابطلا ، كما يقول المثل ، على مَن تفرّغ للعلم وللتأليف ، حتى أصبح علماً بين العلماء والمؤلفين ، ويكون تفوق البعيد عن العلم على العالم ، والبعيد عن التأليف على المتمرّس في التأليف تفوقاً بعيداً .

والذين يعرفون هذا العربي المسلم حقّ المعرفة ، يعرفون سبب تفوقه كما أعرف ، فهو محب للقرآن العظيم حباً أخذ عليه مجامع نفسه ، وكان شغله الشّاغل في لحظات حياته كافة ، كأنه لم يخلق إلاّ لخدمة القرآن خدمة محب مغرم بحبه ، يرى خدمة القرآن عبادة من أجلّ العبادات . وقد قلت : إنه عمل مسئولاً في مديرية الإدارة للجيش العراقي في تنظيم ملفات الضباط ، فأوجدها من العدم ، وجعلها تنافس أرقى الملّفات في أرقى جيوش العالم بجهده الخاص ، وإخلاصه لعمله ، ومحاولته جاهداً إتقان عمله ، فعمل في خدمة القرآن في مجال إعداد ملف خاص لكل موضوع من موضوعات الذكر الحكيم ، وتفرّغ تفرغاً كاملاً لعمله ، وأعطى أسبقية لهذا العمل على أعماله الحياتية الأخرى . وكان يعرض ملفاته على الذين يعلمون ، ويسألهم متوسّلاً بهم أن يعينوه في استكمال عمله كما يحب منزل الكتاب ويرضى ، ويدأب على عمله وعلى عرضه على أهل الذكر ، كأنه طالب صغير يسأل أهل الذكر وأهل التقوى من أمثاله ، فاذا أرشد إلى تصويب كبير أو صغيره بادر بحماسة متدفقة إلى تقويم عمله مستفيداً من ذلك التصويب

وهو يقوم بما يقوم به دون أن يخطر بباله أن جهده سيظهر في كتاب ينفع الناس ، وظهور كتابه كان تلبية لاقتراح قسم من إخوانه عليه ، فما كان الرجل يفكّر في اخراج عمله للناس في كتاب، ولكن الله أراد له ذلك، فكان ما أراد الله له .

إنّ كتاب هذا العربيّ المسلم ، كان ثمرة من ثمرات حبه العميق للقرآن الكريم ، وتفرغه لعمله في خدمة القرآن بصدق واخلاص وايمان ، معتبراً عمله (عبادة) من العبادات ، فهو كتاب من ثمرات الإخلاص والتقوى والإيمان ، وصدق الله العظيم : (واتقوا الله ويُعلّمكم الله) (١) .

والتفاضل بين الكتابين : كتاب المستشرق ، وكتاب العربي المسلم ، يستطيع أن يتلمّسه كل قارئ ، وأفضلية كتاب العربي المسلم على كتاب المستشرق ظاهرة للعيان ومع ذلك يبدي المتحدثون عن كتاب المستشرق ابنهارهم به ، فهم مبهورون به انبهاراً ، ويتجاهل هؤلاء كتاب العربيّ المسلم ، وهم عرب مسلمون ، أو يتظاهرون أنهم لم يسمعوا به ولم يطلّعوا عليه على الرغم من صدوره قبل أكثر من سبع سنين ! !

وهذا دليل على أنّ الكثيرين من حاملي الشهادات العالية لايزالون يعانون من عُقدة تّميز الخواجات ، وان مغنية الحيّ مهما تكن شجية الصّوت لاتطربهم ! !

هنات ومقترحات

(١) . إنّ المؤلف الفاضل بذل جهداً كبيراً مشكوراً بجمع آيات القرآن الكريم وترتيبها ، وكنت أحبّ أن يذكر المؤلف في مقدمة كتابه بعض المعلومات الاحصائية المفصلة عن القرآن الكريم ، فيذكر عدد سوره وأجزائه وآياته وعدد كلماته ، وموضع ربع القرآن ونصفه وغير ذلك من التفاصيل

(١) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٨٢) .

التي عنى بها الأولون عناية فائقة في دراساتهم القرآنية ، وهي موجودة في كتبهم مثل كتاب : (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي .

(٢). في الصفحة ٩٤ ، في العنوان : طاعة الله ورسوله ، يضاف إلى العنوان : وأولى الأمر منكم ، فلا يجوز للمسلم طاعة أولي الأمر الذين من غير دينه، لأنه ليس منهم ، كما تنص عليه الآية ، فلا طاعة لمستعمر مثلا ، فمن المستحسن أن يكون العنوان : طاعة الله ورسوله وأولى الأمر من المسلمين .

(٣). لم أجد شيئاً في الفهرست من الآيات تبحث في (سعة رحمة الله) وهي كثيرة في القرآن الكريم .

(٤). في الصفحة ٢٣٠ في ذكر يأجوج ومأجوج ، ينبغي ذكر أنهم مذكورون في سورة الكهف في الآية (٩٥) .

(٥). في الصفحة ٤٧٧ ، ذكر سيدنا شعيب عليه السّلام ، دون أن يذكر المؤلفّ الآيات الواردة فيها : (أصحاب الأيكة) الذين هم قوم شعيب عليه السّلام ، وقد ورد ذكرهم في سورة الحجر : ٧٨ ، وفي سورة الشعراء : ١٧٦ ، وفي سورة ص : ١٣ ، وفي سورة ق : ١٤ .

(٦). في الصفحة ٤٨٢ ، ذكر الآيات التسعة التي جاء بها موسى عليه السّلام ، ويستحسن ذكر الآيات القرآنية الوارد فيها ذكر آيات موسى عليه السّلام .

(٧). في الصفحة ٥٠٦ ذكر عيسى عليه السّلام والنصاري .ولم يذكر في العنوان اسم أمه مريم رحمها الله ، واقتراح إضافة :(وأمه مريم) على العنوان ليكون هكذا : (عيسى عليه السّلام وأمّه مريم والنّصارى) ، فذكرها لايقل أهمية عن ذكر زوجة فرعون المؤمنة .

أ . في الصفحة ٣٢٨ العنوان : القتال مع المشركين والكفار : والصواب أن نقول : قتال المشركين والكفار،فالحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، قاتلوا

المحور ، ولم يقاتلوا معه ، والذي قاتل مع المحور ، هم الدول التي تعاونت في قتال الحلفاء :

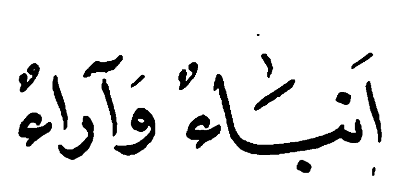
ب . في الصفحة ٣٧٢ ، ورد العنوان : النهى عن الإصغاء الى الأخبار الغير موثوق بها ، والصواب هو النهي عن الإصغاء إلى الأخبار غير الموثوق بها . لأن (ال) لاتدخل على (غير) في رأي جمهرة النحويين :

ج . في الصفحة ٣٩١ ، ورد العنوان : لاعدّة على المرأة الغير مدخول عليها ، والصواب هو : لا عُدّة على المرأة غير المدخول عليها ، للسبب الوارد في الفقرة (ب) في أعلاه .

د. في الصفحة ٣٨٩ ورد العنوان : المحرّمات من النِّساء تحريم مؤبدّ بسبب النسب والمصاهرة ، والصواب هو : المحرّمات من النساء تحريماً مؤبداً بسبب النسب والمصاهرة ، والعلة واضحة جلية أقترح تصحيح ذلك في عناوين الكتاب وفي الفهرس الذي في خاتمة الكتاب .

إنّ شكري لاينقضى لمؤلف هذا الكتاب ، جعل الله كتابه علماً ينتفع به الناس ، وأجراً متّصلا تنفعه يوم تقوم الأشهاد ، وجعله في ميزان حسناته يوم تقام موازين الحساب .





أَنبَاءٌ وَآرَاءٌ

الاعضاء المؤازرون

قرر مجلس المجمع العلمي العراقي في جلسته العاشرة المنعقدة في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ١٤٠٩هـ الموافق للثامن والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٨٩ انتخاب السادة المدرجة أسماؤهم أعضاء مؤازرين تقديراً لمكانتهم العلمية الرفيعة ومجهوداتهم في ميادين اللغة والثقافة مما يُعنى المجمع بدراسته اضافة الى الأعضاء المؤازرين الذين تم اختيارهم سابقاً •

الجمهورية التونسية :

١ ـ الدكتور الشاذلي الفيتوري
٢ ـ الاستاذ عبد السلام المسدي
٣ ـ الدكتور الحبيب باخوجة
٤ ـ الدكتور ابراهيم بن مراد
٥ ـ الدكتور ابو القاسم كرو
٦ ـ الدكتور رشاد حمزاوي

المملكة العربية السعودية :

١ ـ الدكتور عبدالله التركي
٢ ـ الاستاذ عبدالله عمر نصيف
٣ ـ الدكتور علي عبدالله الدفاع
٤ ـ الدكتور عبد الرحمن الانصاري

الجمهورية العربية السورية :

١ ـ الاستاذ عبد الفتاح ابو غدة
٢ ـ الدكتور معروف الدواليبي

دولـة فلسطين :

١ ــ الدكتور عبد القادر يوسف

جمهورية مصر العربية :

١ ــ الدكتور شوقي ضيف

٢ ــ الدكتور رمضان عبد التواب

٣ ــ الدكتور حسين نصار

الجمهورية العربية اليمنية :

١ ــ القاضي اسماعيل الاكوع

٢ ــ الدكتور عبد العزيز المقالح

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :

١ ــ الدكتور محمد عبد القادر بامطرف

جمهورية باكستان الاسلامية :

١ ــ الدكتور عبد الرزاق اسكندر

٢ ــ الدكتور ظهور احمد اظهر

الجمهورية التركية :

١ ــ الدكتور اكمل الدين احسان اوغلو

٢ ــ الدكتور خليل ساحلي

جمهورية السنغال :

١ ــ الاستاذ ابراهيم جوب

اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية :

١ ــ الدكتور وسيم محمد علييف

٢ ــ الدكتور شربا توف

جمهورية المانيا الاتحادية :

١ ــ الدكتور رئيف جورج خوري

الجمهورية الهــندية :

١ ــ الاستاذ حبيب الرحمن الأعظمي



الفهرس

عرض الكتب

انباء وآراء

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريـد

تدفع قيمة الاشتراك سلفاً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٩

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY



Volume 40

Part (1)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1409 — 1989